

دكتورة / عزة علي عزت
مدرس التحرير الصحفي
بقسم الإعلام - كلية الآداب
جامعة المنيا

١٩٩٧م - ١٤١٧هـ

تصميم الغلاف : فكرى توفيق
الجمع والتنفيذ : جورج عطيه

الطبعه الاولى
١٩٩٧

الناشر
مصر العربيه للنشر والتوزيع
تليفون ٢٥٦٢٢٦٨

إهداء

إلى كل من يؤمنون بالعروبة كمفهوم إنساني ،
ويؤمنون بضرورة تكاتف الجهود الفرديَّة ، والجماعيَّة ؛
لصيانة الوجه الإنساني للعروبة من أي تشويه .

د. عزَّة عزَّت

مقدمة الكتاب

تغيير إتجاهات الرأي العام الغربي حيال العرب

يكرس الإعلام الغربي جل جهده للحملة على العرب ، وتشويه صورتهم ، بعد أن انتهى من تشويه صورة الزنوج والهنود الحُمر ، والأقليَّات المختلفة التي تعيش في أوروبا وأمريكا .. وتُدعِّم الصهيونيَّة هذه الحملة وتُساهِم فيها .. بل ويُشارِك العرب في إستكمال ملامح الصورة الممسوخة بالسلوك غير الرشيد ، وغير المسؤول ، الذي يسلُكه بعض العرب في الخارج ، وبالإساءات المُتبادَلة فيما بينهم كدول ، على صفحات صحفهم في الداخل وفي الخارج ، وبالسلبيَّة الإعلاميَّة ، وإنعدام التخطيط ، والإفتقار لى النظريَّة الإعلاميَّة المتكاملة ، التي من شأنها التصدي لهذه الحملة ، وإظهار الجوانب الخيِّرة ، والوجه المُشرق للشخصيَّة العربيَّة .

ويهدف هذا الكتاب أساساً إلى وضع تصوُّر لخطة إعلاميَّة دقيقة ؛ للرد على الحملات الغربيَّة الرامية إلى تشويه الصورة العربيَّة ، ومحاولة تغيير إتجاهات الرأي العام العالمي المضادة للعرب – ليس حيال قضيَّة سياسيَّة مُعيَّنة – ولكن لتغيير الصورة العربيَّة المُشوَّهَة في ذهن الغربيين ؛ ليكون ذلك أساساً لتغيير إتجاهاتهم حيال القضايا فيما بعد .



هذا ويتم هذا التغيير من خلال خطة ونظرية متكاملة ، وبالعمل الجماعي العربي ، من خلال هيئة إعلاميّة عربيّة مُوحّدَة .. واضحة الهدف .. فالعرب في حاجة ماسّة إلى مثل هذه الهيئة الإعلاميّة ، بقدر حاجتهم إلى هيئة دفاع مُشترَك ، أو توحيد الجهود سياسياً أو عسكرياً ، خاصة وأن قضيّة الدفاع عن سُمعة العرب قد لا تصادف العقبات والخلافات العربيّة على التفاصيل والأهداف ، كما هو الحال بالنسبة لأي قرارات بشأن التنسيق السياسي أو العسكري .. إذ أنهم لاشك يجتمعون على وجوب تغيير صورتهم ، أو تحسين الأفكار المتراكمة في ذهن الإنسان الأوربي والأمريكي عن العرب كأفراد وجماعات ، ناهيك عنهم كدول وقيادات .

وفي سبيل الوصول إلى وضع هذا التصوّر لخطة إعلاميّة متكاملة لابد من تحديد حجم ، ونوع ، وأسلوب ، وأسباب الإساءات الغربيّة الرامية لتشويه الشخصيّة العربيّة ، والتي تعمد غالباً إلى إيراد معلومات خاطئة عن العرب عن جهل ، وقلة معلومات أحياناً ، وعن عمد ورغبة في التشويه في أغلب الأحيان ، لذلك سنركز في هذا الكتاب على تحديد ملامح الشخصيّة العربيّة في وسائل الإعلام الغربيّة على إختلافها ، موضّحين أسباب الحملة الإعلاميّة ، التاريخي منها والمعاصر ، والأساليب المُتبَعَة لتحقيق النتائج المرجوّة ، وهو موضوع تطرّقت له الكثير من الكتابات العربيّة ، وإن

لم تضمه دفّتي كتاب وتشرَحَهُ تفصيلاً .

وسنفصل في الباب الثاني من الكتاب لأساليب التصدّي للحملات الغربيَّة على جميع الأصعدة داخلياً وخارجياً ، كرسائل إعلاميَّة مُوجَهَة للغربيين المُطَّلعين على أحوال المنطقة العربيَّة عن قُرب ، بالإقامة فيها أو زيارتها ، ثم رسائل إعلاميَّة خارجيَّة من خلال شتى وسائل الإعلام ؛ كذلك ترشيد إستثمار الأموال العربيَّة في الخارج في قطاع الإعلام – وليس في قطاعات السياحة والفَنْدَقَة – بهدف توصيل هذه الرسائل الإعلاميَّة من خلال صُحف ودور نَشْر ومساحات زمنيَّة في الإذاعات العالميَّة وشراء قنوات فضائيَّة ، وإنشاء محطات أرضيَّة ، وأقمار صناعيَّة عربيَّة تبث إلى كل العالم ، وبكل اللغات وبالأساليب المتطورة من خلال القنوات الإعلاميَّة المملوكة للعرب ، أو التي يمكنهم التأثير عليها والتعاون معها .

وتحديداً للموضوع أو للمشكلة موضوع الكتاب نقول بأنه ليس مجرَّد تعريف بالنمط أو القالب الذي يضع فيه الإعلام الغربي – بشتى وسائله – الشخصيَّة العربيَّة ..

.. ولكن الهدف الرئيسي لهذا الكتاب هو وضع خطة إعلاميَّة ترمي إلى تغيير الصورة العربيَّة .. وتغيير إتجاهات الرأي العام الغربي حيال الشخصيَّة العربيَّة .. والوقوف على حقيقة العرب

بموضوعيَّة وبدون تَجَنّي .. كخطوة لقبول القضايا السياسيَّة العربيَّة وتفهّمها ، واتخاذ مواقف مؤيّدة للعرب ، أو على الأقل محايدة وموضوعيَّة .. بالإضافة إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين ككل في الذهن الغربي .

هذا وتأتي أهمية هذا الموضوع من أنه محاولة لترسُّم أسلوب التصدّي للحملات الغربيَّة .. وليس مجرَّد تعريف بما يُقال عنّا في وسائل الإعلام الغربيَّة .. وهو أمر غاية في الأهمية كمُقدِّمة ؛ لتعريف الغرب بقضايانا ، وقبولنا كأفراد وجماعات كبداية ؛ حتى يتسنى تفهُّم هذه القضايا الإقتصاديَّة والسياسيَّة .

وقبل الولوج إلى أبواب الكتاب وفصوله ، للوقوف على الصورة العربيَّة في وسائل الإعلام الغربيَّة ، وحصر ملامحها وأساليب تشويهها .. لابد من الإشارة إلى أن الإساءة إلى الشخصيَّة العربيَّة ، وتجسيم أخطائها ، لم يكن وقفاً على كتابات الغربيين المُغرضين فحسب .. وانما تناولته الأقلام العربيَّة أيضاً ، وبشكل مُكثَّف خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات ، وبالتحديد بدءً من نكسة يونيو ١٩٦٧ ، التي كانت بمثابة وقفة لمراجعة كل الحسابات ، ودراسة كل نقاط الضَعف ، ونقاط التقصير على المستوى السياسي والاجتماعي – قبل المستوى العسكري – فيما أسميناه عمليّة « نقد الذات » المنطلقة من الرغبة في المصلحة



العامة .. وقد تصدى لهذه المهمة الحسّاسة أساتذة ومختصون ، كما تصدّى لها عدد من الصحفيين والكُتّاب ، حتى أصبحت عمليّة « نقد الذات العربيّة » هي المطية السهلة التي يتنكبها كل من يجد في نفسه القُدرة على الكتابة من مُخلصين ، ومأجورين .. وهنا تكمُن الكارثة !! .

ذلك أن الدراسات العلميّة الموضوعيّة عن العرب ، تُعتبَر قاعدة جيّدة لإتخاذ العديد من القرارات وتطبيق العديد من النُظُم ، على أساس من الفهم الكامل للشخصيّة العربيّة ، وردود أفعالها سلباً وإيجاباً ، في حين أن الدراسات والكتابات المُرتجَلة في هذا الموضوع تضُر أكثر مما تنفع ، إذ يستغلها الغرب في الإساءة إلينا بشهادة كُتّاب منّا - فهي شهادة واجبة التصديق - رغم أن معظَم هذه الكتابات مُرتجَلة ومبنيّة أصْلاً على تأثُر بما يكتبه الغرب عنّا ويُروِّجوه ضدّنا .. فلو قلّبنا صفحات حياة الكُتّاب العرب المُرتجِلون سنجدهم ممّن تعلموا أو نشأوا في مناخ غربي ، أتاح لهم قراءة ما يكتبه الغرب عن العرب ، أكثر من إحتكاكهم الحقيقي بالعروبة كقوميّة أصيلة ، وتراث إجتماعي وفكري متميّز .. فهؤلاء للأسف إما مهاجرون عن العالم العربي لفترة طويلة ، أو متأثرون بالفكر الغربي قراءة وإطلاعاً .. إذَن هُم متأثرون بالغرب ، بالدراسة أو الإقامة أو بكليهما - ولا نقصد هنا بالطبع الدراسات الجادة والموضوعيّة

التي قام بها باحثون عرب ، ركزوا أحياناً على ما في الشخصيّة العربيّة من نقاط سلبيّة ، بغرض كشفها وتعرية أُسُسها الإجتماعيّة والتاريخيّة ؛ كي نتجاوزها ونتغلّب عليها ، أي محاولة لكشف أسباب التخلُّف والنكسات العربيّة ومحاولة تجنبها - بل نقصد الكتب المُرتَجَلة التي تعتمد على أُسس مزاجيّة وإنطباعيّة غير علميّة .. يستغلها الغرب أسوأ إستغلال ، كمَصادر لدراسات أخرى تخدم الاستراتيجية الغربيّة ، وكدعاية مُضادة للعرب تستعدي العالَم عليهم ، وتستثير إحتقارهم لهم .

ولعله من المعروف أن الدراسات العربيّة عن الشخصيّة العربيّة - الجاد منها والمُرتَجَل - كانت أساساً حدَّدَ الباحثون الإسرائيليون بناءً عليه أشكالاً سلوكيّة مُعيَّنة مُرتَبِطَة بالشخصيّة العربيّة ، وبنوا على خلاصتها منهجاً كاملاً إزاء خطط الحرب والسلام في الشرق الأوسط ، غير معتمدين فقط على الأفكار الإسرائيليّة عن الشخصيّة العربيّة ، بل معتمدين على الأفكار العربيّة نفسها ، وعلى دراسات أجنبيّة عديدة تحدثت عن الخصائص القوميّة للشخصيّة العربيّة ..

ولعل أبرز مثال على ذلك ما قام به « معهد ليفي أشكول للبحوث الإقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة » .. إذ عكَفَ باحثوه منذ عام ١٩٧١ على دراسة الشخصيّة العربيّة من كافة جوانبها ؛ لتحديد

مقومات تكوينها ، وخصائص تفكيرها ، وأنماط سلوكها ، وردود أفعالها .. وقد إعتمدوا في كل ذلك على الكتابات العربيَّة التي تناولت الموضوع ، بغض النظر عن مدى مصداقيتها ونزاهة مقصدها .. فغير خفي أن الكثير مما يُكتَب على الساحة العربيَّة ، هو في معظمه مهاترات يكتبها البعض في شكل كُتب أو مجموعة مقالات غير موضوعيَّة من كُتَّاب ساخطين ، يرتدون ثوب الناصح في حين أنهم مأجورون كأسوأ الفروض ، ومُغرَّر بهم كأحسنها .

ولعل أبرز النماذج على هذه النوعيَّة من الكتابات سلسلة المُذكَّرات السياسيَّة التي أخذت شكل الظاهرة الأدبيَّة ، وتبادُل الحملات الصحفيَّة بين الدول العربيَّة التي تُشكك في الزعامات القوميَّة ، وتهدم كل الرموز الناصعة في تاريخنا المعاصر .. كصدى لأغراض شخصيَّة ، أو لخلافات أيديولوجيَّة ، أو إنتماءات مختلفة لأحد الكتلتين الأكبر قبل إنهيار إحداهما .. فيستغل الغرب ما يكتبه العرب بوصفه شهادة شاهد من أهلها ، من الواجب تصديقها .

ويُذكرُنا هذا الموضوع بالضجة التي ثارَت حول كتاب دبجهُ روائي مُسلِم مُرتَد ، أساءَ فيه للإسلام والمسلمين ، فتهافَتَ عليه الغرب ، بوصفه شهادة حق .. رغم أن صاحبها مُلحِد ومأجور .. ولا أريد تكرار اسمه ، حيث أنه لا يستحق الذكر .. لكني أشير فقط إلى أن العاصفة التي أُثيرَت حول كتابهُ الشيطاني هبَّت ثم هدأت ، دون

أن تتخذ أي هيئة إسلاميةُ أو عربيةُ قراراً حاسماً للتصدي لمثل هذه الكتابات ، بشكل علمي وفعّال ، وله صفة الإستمراريةُ ، ودوام التأثير ، فالحقيقة التي لا مراء فيها أن هذا المؤلف ليس هو القضيةُ .. فلا هو أول من أساءوا إلى الإسلام .. أو العروبة كما أنه لن يكُن آخرهم .. لكننا قدّمنا له دون أن نُدرك خدمة جليلة ، برفعه إلى مصاف الكُتّاب الذين تتحرك من أجل ما سطروه دول وقيادات وهيئات ؛ لتتفق أو تختلف حوله الآراء .. وكما هي آفتنا دائماً نُبالغ ونتطرّف في أحكامنا ، ونختلف في وجهات نظرنا فلا نتفق على شيء حتى على من يسيئون إلينا .. رغم أن التجربة قد أثبتت أن المواقف الحادة تُسيء إلينا أكثر مما تحمينا من التشويه .

فما حدثَ من جدل ليس تحسيناً لصورتنا بقدر ما كان تشويهاً لها .. وذلك ما يدعوني هنا إلى التساؤل الملح :

*** ألم يحن الوقت لإستخدام اسلوب علمي ، للرد على الهجمات الشرسة على العرب والمسلمين ؟**

*** وهل حان الوقت لإنشاء هيئة علميةُ مُستقلة ، تكون مهمتها الرد بكافة الوسائل الإعلاميةُ ، وبشتى الأساليب، وباختيار نخبة من العلماء**

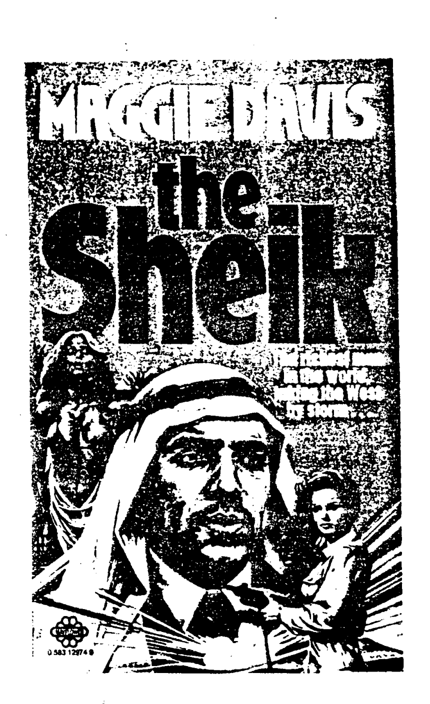


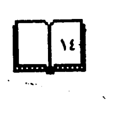
المستنيرين ، والدُعاة المتمكنين ، ورجال الإعلام المتخصصين ، للرد على الكُتّاب الغربيين ، الذين ينالون من سمعتنا ؟!!

أتمنى أن يُجيب هذا الكتاب على العديد من التساؤلات ، حول صورتنا العربيةّ والإسلاميةّ في الغرب ، وأفضل أساليب تحسينها .

د. عزّة علي عزّت

مارس ١٩٩٦


MAGGIE DAVIS
the Sheik
0 583 12974 9



الباب الأول

الشخصية العربية في وسائل الإعلام الغربية

لعله من السهل حصر ملامح الشخصية العربية في الإعلام الغربي ، إعتماداً على ما سبق نشره من دراسات حول هذا الموضوع .. وذكر معاملات إرتباط رقمية واحصاءات لمرات تكرار كل ملمح من هذه الملامح ، أو كل صفة من صفات الصورة الغربية للإنسان العربي .. لكننا هنا لسنا بصدد هذا على سبيل السرد .. وإنما في إطار تقويم الصورة ، وكيف تُقدم في كل وسيلة من وسائل الإعلام .. ولماذا تُقدم مُحاطة بكل هذا التضليل ؟ إن لم نقل التشويه !!

هذا ولابد من الإشارة بداية إلى أن الكُتّاب الغربيين – في إطار إساءتهم للعرب – يتعمدون الإساءة إلى الإسلام والمُسلمين ، فما أن تسنح فرصة للإساءة للعرب إلا وتناولوا الإسلام بالتجريح – والعكس صحيح – فما أن يأتي ذكر الإسلام ، حتى يتخذ ذريعة النَيل من العرب ، والقول بأنه بداية تاريخهم تارة ، وبأنه السبب في تخلفهم تارة أخرى ، رغم ما في هذه الأقوال من تضارب .

ولم يعد النَيل من الإسلام موضوعاً تاريخياً ، تتناوله الكتب



والأبحاث فحسب ، وإنما أصبحَ مادة يوميَّة للصُحف ، زادَ الإهتمام بها إثر الأحداث السياسيَّة ذات البُعد الإسلامي ، كالثورة الإيرانيَّة ، وحادث إقتحام الحرَم المكي ، وتدخُّل الإتحاد السوفيتي المُنهار لقمع الثوار المسلمين في أفغانستان ، إذ يأتي التحليل السياسي لمثل هذه الأحداث مغرضاً ، ومسيئاً للمسلمين ، والعرب والعروبة على حد سواء .

هذا ولابد من الإشارة أيضاً إلى إختلاط معنى العروبة كقوميَّة بالإسلام كعقيدة ، في أذهان بعض الغربيين .. وبروز صورة السعودية كرمز للعروبة وللإسلام معاً .. فإذا ما كان الحديث عن العرب كان النموذج السعودي ، وإذا كان عن الإسلام كان أيضاً النموذج السعودي ، سواء كان ذلك عن جهل أم عَمد .. كما سيأتي بيانه في حينه .

وبالطبع تدور الإساءة إلى الإسلام حول محاور مُحدَّدَة ، وإن إختلفَ أسلوب التناول وموضوعه ، فالهدف دائماً هو التشكيك ، وإثارة الفتنة ، والتشويه ، والنيل من الدين وأهله .. وهُم بالأساس – في نظر بعض الغربيين – العرب لإرتباط العروبة بالإسلام في مفهوم العامة الغربيين .

كما لابد لنا من التنويه إلى وجود إختلافات طفيفة في الرؤية الغربيَّة لنا كعرب ، تختلف من دولة لأخرى ، وتختلف من وسيلة

إعلامية إلى أخرى .. وتختلف كرؤية أو كصورة فرعيَّة لبعض العرب عن غيرهم من العرب ، وإن كان هذا الأمر لم يتضح بجلاء إلا بعد حرب ١٩٧٣ ، حيث بدأ ظهور صور فرعيَّة للعرب في وسائل الإعلام الغربيَّة ، إحداها صورة العربي المصري المُنتصِر في الحرب ، والعربي النفطي الذي يضغط بماله « لإبتزاز الغرب » ، والعربي الفلسطيني الذي يُقلِق العالَم بممارساته التي يصفونها « بالأرهابيَّة » .. ولكن نقاط الإلتقاء والإتفاق بين إعلام كل دولة وأخرى أكثر بكثير من نقاط الخلاف بينها ، إذ لا يوجد خلاف إلا من حيث إختيار نقاط الإساءة ، ومستوى التركيز عليها وأسلوب المُعالَجة ، فقد تتصبّ مُعظَم الإساءات على أمور تمس ضمير الأمة بشكل مباشر لتعلُّقها بالدين ، أو بالقضيَّة العربيَّة الأولى (قضيَّة فلسطين) والتعرُّض لهما بالتشويه .. بينما تتصبّ بعض الإساءات على أمور شخصيَّة وحياتيَّة ، أو تعليقات على أحداث إجتماعيَّة ذات بُعد إقتصادي أو سياسي .

ولعل فهمنا لمُحدِّدات الصورة الذهنيَّة للعرب جملة وتفصيلاً ، بكل تفريعاتها ، يساعدنا في ترسُّم الطريق ، وإختيار الأسلوب الأمثل ؛ لتغيير الصورة ، وتحسينها .. ويأتي إهتمامنا مُكثَّفاً بصورة العرب في وسائل الإعلام الغربيَّة دون غيرها من وسائل الإعلام في أي من دول الشرق حتى التي يُفترَض أنها دول صديقة – رغم أن

وسائل إعلامها تعج أيضاً بالإساءة إلى العرب ، متأثرة بالصورة الغربيَّة عنَّا ، وببعض الأحداث السياسيَّة والعامة - ومن هنا كانت خطورة وأهميَّة التصوُّر الغربي لنا كعرب ؛ لأن تأثيره ليس قاصراً على نطاقه المحلي ، لكنه يترك أثره على الرأي العام المُطالِع لنتاجه في دول الغرب ، وفي كل دول العالَم المُلِمَّة باللُّغتين الإنجليزيَّة والفرنسيَّة ، إضافة إلى الألمانيَّة ، نظراً لخطورة التدفُّق الإعلامي والإخباري الغربي ، وتفوقه على كل وسائل الإعلام العالميَّة الأخرى .

هذا ولا يفوتنا أن ننوِّه إلى أثر الإعلام الصهيوني في تشكيل الصورة الغربية عن العرب ، لإستغلال ذلك سياسياً .. وأبرَز مثالاً لذلك الصورة الأمريكيَّة عن العرب ، والتي تضعهم في نمط أو قالب جامد ، وثابت في أذهان الشعب الأمريكي ، خدمة لأهداف الصهيونيَّة ، والفشل غير المحدود للإعلام العربي أمام النجاح الإعلامي الصهيوني في هذا المجال ، رغم الجهود المبذولة في هذا الصدد .. وذلك لخلو الإعلام العربي من عنصُر التخطيط الإستراتيجي القصير والطويل المدى ، والمُكمِّل لبعضه البعض بشكل يصُب في النهاية نحو الهدف ، وهو تغيير صورتنا إلى الأفضل ، أو بمعنى أدق إزالة الظلال والتشويهات عنها .

وقبل البدء في التعرُّف على ملامح الصورة في كل وسيلة إعلام على حدِة ، لابد من القول بأن الغرب يرسم لنا صورة ، مُضافاً

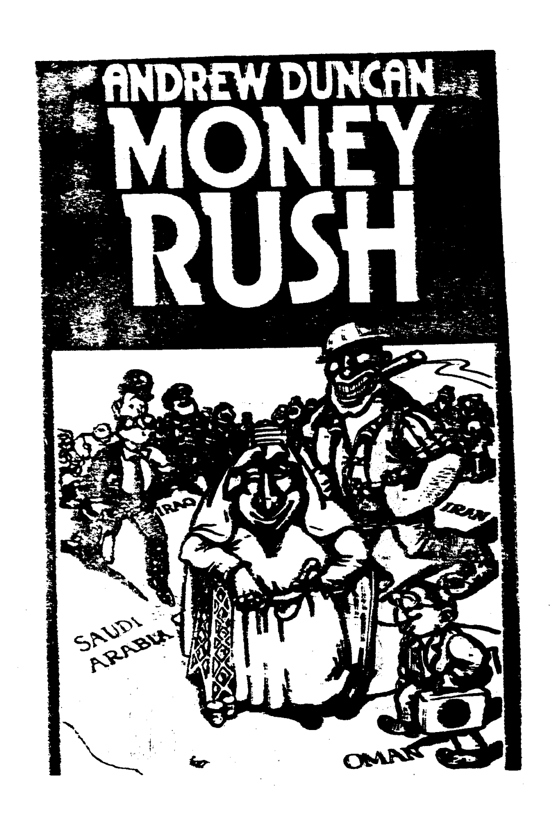


إليها الكثير من الصفات التي يتمنى أن يراها فينا بالفعل ، وفي الوقت نفسه يُكرِّس هذه الصورة بصفاتها ومُحدِّداتها الشوهاء ، بتصدير فكرٍ مريض هدَّام من شأن إعتناقه تحقيق الصورة بكل تفاصيلها ، فهو يرسم الصورة في وسائل إعلامه ، ويستغل هذه الوسائل كجبهة أخرى في تحقيقها ، ونحن عاجزون عن التصدّي له في الجبهتين بعجزنا الإعلامي ، وبانبهارنا وترحيبنا بغزوه الفكري وحربه النفسيّة .



"Now, let's get this quite clear—just who's kidnapping whom?" 23.xii.75




ANDREW DUNCAN
MONEY
RUSH
IRAQ
IRAN
SAUDI
ARABIA
OMAN

الفصل الأول

الصورة العربية في الكتب الغربية

غنيٌ عن البيان ما للكتاب من أهميَّة كوسيلة إتصال لها تأثيرها بشكلٍ عام، ولها تأثيرها في تشكيل الصورة الذهنيَّة بشكل خاص لدى قرَّاء الكُتب، وهُم في الأغلب الأعم صفوة، تفضله على ما عداه من وسائل أخرى. فالكتاب «هو الأداة التي إبتكرَها الانسان لتكون مساعداً لفكره»[1] وهو في نفس الوقت غذاء روحي وعقلي، يُقبِل عليه الناس، ويُفضلُهُ البعض مهما قيل عن منافسة وسائل الإتصال الأخرى له منذ نهاية القرن الماضي، بدءاً بالسينما الصامتة، فالناطقة، فالراديو، فالتليفزيون والفيديو، ومهما قيل عن تأثير الصُحُف عليه، حيث نجد أن أغلب المثقفين يستخفون بما تنشره الصُحُف، لكنهم يحترمون ويتأثرون بما يطالعونه بين دفتي كتاب، لما يتصوَّرونه من جُهد وبحث، وتأليف وراء نشر الكُتب.. رغم أن الغربيين يصدرون يومياً مئات الكُتب، التي تُوزِّع ملايين النسخ، في موضوعات لا تخرج عن كونها تجارب شخصيَّة أو رؤيَة خاصة لأمر من الأمور، وتُحدِث هذه الكُتب تأثيرها لدى ملايين القراء رغم

---

(١) د. خليل صابات، وسائل الاتصال – نشأتها وتطورها، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص ١١.



عدم توافر عناصر البحث الموضوعي لها .. بل وأيضاً تتنوّع موضوعات الكُتب الغربيَّة تنوعاً لا نستطيع حصره - وليس هُنا مجال هذا الحصر - لذا سنُركِز هُنا على أهم أنواع الكُتب ، وهي الكُتب الروائيَّة ، وأدب الرحلات ، وكُتب الأطفال ؛ نظراً لأثرها البالغ على جيل كامل ، في فترة تكوينه الفكري ، وسهولة التأثير عليه في هذه الفترة .. كذلك دوائر المعارف ، لأن ما تضمّه مجلداتها من معلومات يؤخَذ من الباحثين والكُتاب مأخَذ ثقة ، رغم ما قد تضمّه من معلومات أقل ما يُقال عنها أنها مُتحيِّزة وغير موضوعيَّة ، أو مبتورة بشكل مُخِل .. أو مستقاة من مصادر جزئيَّة - كما سيأتي بيانه في حينه عبر الصفحات التاليَّة - كذلك سنتعرَّض لعَدد من دراسات المستشرقين وبعض الكُتب السياسيَّة الواضحة الهدف .

وقبل في التعريف بأثر الكِتاب في تظليل صورة الإنسان العربي ، رغم عدم توفُّر عنصُر التأثير التراكُمي له - مثلما يحدث عن طريق مطالعة الصُحف اليومية كمثال - إلا أننا نُجزِم بأن للكُتب تأثيرها التراكمي أيضاً ، خاصة كما قُلنا على النخبة المُثقَفَة ، وعلى الصفوة صانعة القرار في أي من دول العالم المُتقدِّم ، خاصة إذا ما عرفنا « أن عَدد الكُتب المُنتَجَة في العالَم سنوياً يزيد على نصف مليون كِتاب بصرف النظر عن عدد نُسخه »[1] ، وان المعدَّل العالمي

---

(١) د. خليل صابات ، المرجع السابق ، ص ٤٩ .

لنصيب الفرد من الكتب « يصل إلى ١٦٢ عنوان لكل مليون حسب إحصاء عام ١٩٨١ »(١) ، وليست كل هذه الكُتب بالضرورة تُقدِّم الإنسان العربي بصورة مُرضيَّة .. وبالطبع لا يُقابلها عَدد مماثِل من الإنتاج العربي للكُتب ، إذ تدُل الإحصاءات على أن العالَم العربي « لا يُنتِج أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة كِتاب أي بنسبة ١ .١٪ من الإنتاج العالمي »(٢) .. فإذا إفترضنا جدَلاً بأن نصف الكُتب التي تصدُر في العالم تتناول الصورة العربيَّة في سطر واحد من سطور كل كِتاب ، وأن كل الكُتب العربيَّة تحاوِل في كل سطورها تقديم الإنسان العربي في صورة أفضل – فحتى لو سلَّمنا جدلاً بهذه الفرضيَّة المجازيَّة – سنجد أن ما نُقدِّمهُ كعلاقة رقميَّة لا يكفي لتصحيح الصورة ، بغض النظر عن الكميَّات المطبوعة من الكُتب الغربيَّة ، والمقابل لها من الكُتب العربيَّة ، ومدى إنتشار كل منهم بالمقابل .

يقودنا ذلك إلى التركيز على أهمية الكتاب في رسم الصورة، وأهمية الكتاب في التصدي أو في تصحيح ملامح الصورة ، وذلك لا يتأتى إلا بحركة تأليف ونشْر وترجمة واسعة النطاق ، تتبناها الحكومات ، أو تُشجِّع عليها ، لأن الكِتاب في النهاية وقبل كل شيء جزء من عمليَّة التنميَّة ، بوصفه أداة الإتصال التي تُقدِّم فكراً

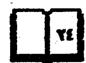
(١) ، (٢) د. خليل صابات ، المرجع السابق ، الطبعة الخامسة ، ص ٥٤ .

موضوعياً وعلمياً جاداً .

الكُتب الروائيةُ :

يُعَد الأسلوب القصصي والروائي منفذاً مشوقاً وجاذباً القارىء ، يمكن من خلاله دس أي مفاهيم ، مهما كانت درجة صحتها أو مقدار المبالَغة فيها ، حتى لو وصلَت هذه المبالَغة إلى حد الإفتراء الذي لا يمكن تصديقه ، فوروده في الرواية يجعل من الممكن تصديقه ، طالما أنه قد أتى في هذا الإطار - ألا وهو القصة - ومن هنا كان إستخدام الغَرب القَصص بكل أنواعه ، سواء الرواية العاطفية ، أو المغامَرات البوليسية ، والخيالية ، أو أدب الرحلات ، أو المذكرات الشخصية التي تتميز بأسلوب السرد القَصصي - الذي يُقبِل عليه الشباب - وصولاً إلى قصص الأطفال المُصوَّرَة ، فالغَرب - ومن وراءه الصهيونيَّة - لله والحقيقة لم يألوا جهداً في إستخدام شتى الأساليب ، للوصول إلى غايتهم في تشويه الصورة العربيَّة بكل وسائل التعبير .. بل وكان الأسلوب القَصصي هو الوسيلة الأولى الناجحة في هذا المجال ، كما سيأتي بيانه مما سنورد من أمثلة ؛ لتبيان مدى تأثير إستخدام هذا الأسلوب ، والذكاء في إستخدامه ، بشكل مباشرٍ وغير مباشرٍ ، كذلك إستخدام أغلفة الكُتب أيضاً كوسيلة للسخرية من العرب والتهكم عليهم .

وقد نجح الغَرب إلى حد كبير في تشويه صورة الشخصية



العربية في أنظار العالم ، ليس فقط بإعداد البحوث غير الموضوعية ، وإصدار كُتب الدراسات المغرضة عن العرب ، بل وبإستغلال الأدب القصصي الذي قد يتصور البعض أنه مجرد روايات جيب ، يُقبِل الجمهور على قراءتها من باب التسلية .. نجد المخطَط المدروس قد إمتدّ إلى هذا النوع أيضاً من وسائل التسلية الأكثر شعبية ، لضمان تحقيق الهدف المرجو على أوسع نطاق ، ومن خلال التأثير على جمهور عريض من القراء يسهُل التأثير عليهم ، وهُم المطالعون من أجل المتعة والتسلية ، والذين يتلقون ما يُدَس لهم في ثنايا الأحداث القصصية ، دون بذل جهد للتفكير في مدى صحة ما يزعم .. إلى جانب أن جمهور هذا النوع من القراءات هو من أنصاف المثقفين ، ومن الشباب المراهق ، وهؤلاء يمكن التأثير عليهم بسهولة ، وإقناعهم بآراء – بشكل غير مباشر – يرددونها بسذاجة وكأنها الواقع .

ولعل ما يهمنا قبل الخوض في تفاصيل ما يحتويه القَصص الغربي ، ذِكر المُرتكزات التي تُبنى عليها خطة الدعاية ، وحملة التشويه من خلال القصص ، ويمكن تحديدها في نقاط هي :

* التركيز على وصف العرب بالسذاجة والبلاهة والسفه ، وعدم القدرة على التمييز ، بحيث يمكن لأي عميل أن يندس بينهم ، ويصبح من المقرّبين من ذوي الأمر ، بل ومستشار لحاكم أو ممثل تجاري لدولة ، بل ووسيط في

الخلافات بين القادة العرب أنفسهم، وهؤلاء العُملاء في النهاية هم مَن يُـألِّفون القصص ، ويكتبون الدراسات عن العرب والمنطقة العربية .

* الإشادة بالصهيونية وعملائها في « إسرائيل » في مقابل إنتقاد العرب والمسلمين ، والتشكيك في قدراتهم ، خاصة على الصعيد العسكري والشُرطي ، إذ يُشار إلى ذكاء المخابرات الإسرائيلية في كشف العمليات العربية وافشالها ؛ بفضل توافر عنصر الخيانة في الصف العربي .... وهو الوصف السائد للعرب في معظم - إن لم يكُن كل - الكتب الغربية .

* إعطاء صورة سيئة مُضلِّلة عن الشعب الفلسطيني ، ووصف العمل الفدائي بأنه عمل « إرهابي » ، يتسم بالوحشية ، في مقابل إستدرار العطف ، وإثارة الشفقة على اليهود المُضطَهَدين في كل أرض .

* التركيز على المساويء الشخصية للعرب كأفراد أثرياء مُسرفين إلى حد الجنون .. الجنس هو المحرك الأول لحياتهم ، وهو المَنفَذ إليهم .

* الإساءة إلى المرأة العربية ، والسخرية من وضعها في ظل الدين الإسلامي ، والمبالغة في ذلك ؛ لإظهار مدى تخلُّف



العرب ، وهذا الأمر بالذات يأتي وكأنه وصف جاء عفو الخاطر ، وكعنصر مكمل للأسلوب القصصي .. إذ يتم توظيف الوصف في هذه الأغراض بشكل مكثّف .

* الإساءة إلى الإسلام ورسوله ، وتسفيه معتقداته بشكل مُبالَغ فيه ، يعتمد على تغيير وقائع التاريخ ، والإعتماد على التحليل المادي لأمور لا تُقيَّم إلا معنوياً .

ولعله من المفيد حقاً قبل البحث بالتفصيل لدراسة هذه المرتكزات الست والتدليل عليها من واقع صفحات القصص .. أن نحدد الخصائص المميِّزة للأدب القصصي الغربي .. داخل هذا الإطار – إطار الإساءة للعرب – فأهم ما يُميِّز القصص الأجنبية الهادفة لتشويه صورة العرب ما يلي :

- خاصية إفشاء الأسرار أو إختلاق أحداث خيالية ، وتغليفها بأسلوب واقعي ، وربطها بأسماء أشخاص وأماكن معروفة كإدعاء غير مباشر أو إيحاء بأنها حقائق .

- حشو القصص بالمواقف الجنسية والمغامرات البوليسية ، كأسلوب جذب وتشويق ؛ لربط القارىء ، والدّس على العرب في ثنايا هذه المواقف (والمزج بين الجنس والسياسة بأسلوب شيّق) .

- السعي للتشكيك والوقيعة بين العرب وبعضهم .



- صفة الإدعاء والإفتراء المُصاغ بأسلوب دقيق مدروس يتوفر فيه بشكل مكثّف عنصر الإيهام بالصدق .

- اللجوء إلى الرمز والخيال والتنبؤات ؛ للحديث عن حقيقة صغيرة يُراد تشويهها ، ولا يتحقق ذلك إلا في ظِل تميّع الأمور بين خيال مغرق أو رمز ساذج ، يكاد يشير إلى الموضوع الأصلي .

- الإعتماد على الأغلفة العارية والرمزية ، والتي تتهكم بشكل واضح على العرب ، كأسلوب جذب للقُرّاء ، وتشجيع على الإقتناء والقراءة .

وفي ظل كل هذه الخصائص المميِّزة ، والمرتكزات التي تقوم عليها الخطة الرامية إلى تشويه صورة العرب تتم عملية (غسيل مخ) بطيئة – لكنها مؤثِّرة – للرأي العام العالمي ضد العرب ، ويتم تحقيق الهدف المرجو – وهو الإساءة لهم .

ولنبدأ في تفنيد وتفصيل ما أوجزناه في نقاط ، والتدليل على كل ما وردَ في الموجَز من عبارات من واقع القراءة في عدد من القَصص الغربي .

تُركِز القصص الأجنبية – كما سبقَت الإشارة – على وصف العرب بالسذاجة – بل البلاهة – ، فتُدلِّل جميع القصص البوليسية التي يعتمد موضوعها على سرد إحدى مغامَرات الجاسوسيّة ، أو عمليات المخابرات الإسرائيلية في المنطقة العربية على سهولة أن

يندس العميل أو الجاسوس الأجنبي في الأوساط العربية ، ويتقرب من القادة والساسة ، ويصل بيُسر إلى أن يكون مستشاراً لحاكم أو ممثلاً تجارياً للمصالح الغربية في الشرق الأوسط ، ووسيطاً في الإتصالات العربية / الأجنبية ، بل ووسيطاً في تصفية الخلافات بين النُظُم العربية ذاتها ، ويوضح هذا النوع من القصص كيف يلعب هؤلاء الوسطاء على الحبلين ، فيوهمون بأنهم يُصلِحون ، بينما هُم في الحقيقة يُشككون الأشقاء العرب في بعضهم ، ويزرعون الفُرقة ، وهؤلاء هُم في النهاية من يُؤلِّفون الكُتب ، والدراسات ، والقصص عن العرب ، ويُسيئون إليهم ، ملتحفين بثوب العارف ببواطن الأمور ، والمُطلع عليها عن كثب ، ولا يخفى ما لذلك من تأثير في القُرّاء .. إذ يضُم كل كِتاب تعريف بالكاتب ، يتم التركيز فيه على أن المؤلف زار المنطقة العربية ، وعملَ فيها لسنوات طوال ، وتولى مناصب هامة ، وكان من المقرَّبين من قادتها ، بل كان له دور في تحريك سياستها .

وأبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في قصة « الفارس المُسافر »(١) للكاتب نيكولاس لورد(٢) .... الذي إختار لقصته هذا الإسم لأنه الإسم الحركي للعملية التي قام بها رجال منظمة أيلول

---

(١) منشورات سفير بوك ليمتد (Safeer Books Ltd.) .

(٢) المؤلف يدّعي أنه يحكي رؤيا عميل أمريكي في المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) عاش في المنطقة العربية ويروي تجربته فيها (هو كولونيل ستيف ولوث) .



الأسود ؛ من أجل إغتيال ملك عربي ، وكان ذلك في عام ١٩٧٣ في قلب لندن .... إذ يصوّر الكاتب أن هذا الملك علمَ بالعملية قبل وقوعها، فقام بإخبار البوليس البريطاني ، الذي وضعَ خطة مضادة لإفشال العملية بعملية أخرى ، إتخذَ لها إسم حركي هو « القبضة القوية » وتحدثَ المؤلّف في أول فصول قصته عن رجل مخابرات أمريكي مشهور هو الكولونيل ستيف ولوث ، وعن علاقته القوية مع الزعماء العرب – ولا داعي لذكر أسمائهم – ويصفُ الكاتب كيف إستطاع ولوث – بفضل معرفته ودرايته بالأمور العربية – أن يصبح مستشاراً للزعماء العرب ، وكيف وثقوا به حتى أصبح ثرياً ، وذائع الصيت .

ويروي الكاتب تفاصيل لقاءات « ولوث » والملك من أجل التوسُّط بين الملك ، وزعيم عربي آخر ، وكيف أنه إجتمعَ بالملك ؛ لتناول العشاء ، ثم قابلَ الزعيم في نفس الأمسية ، عدا عن لقاءات أخرى كثيرة على مدى شهر كان يدور فيها نقاش حول نشاط الفدائيين ، وإتخاذهم الأردن قاعدة لشن غاراتهم على إسرائيل .



كما حملَ مقترَحات من الملك إلى الزعيم ، وكان من شان هذه المقترَحات تخفيف حدة التوتر بين الطرفين[1] ، ويصف المؤلف على لسان « ولوث » كيف حاولَ أن يثبط من عزيمة زعيم عربي ويهزمه نفسياً .

(١) ص ٩ من الفارس المسافر .

ومن بين القصص الأخرى التي تؤكد نفس الأمر قصة « تحطمت الطائرات عند الفجر » لمؤلفها « باروخ نادل » الذي يسرد قصة أحد اليهود الذين كانوا يعملون في المخابرات الإسرائيلية .. ويروي على لسانه كيف أختير لإنجاز عملية في مصر ، ورُسمت له الشخصية بدقة ، بحيث يكون مُقنعاً للعمل الذي سيقوم به ، لحساب المخابرات الإسرائيلية ، وذلك كسمسار سلاح كبير ، يورِّد السلاح للطيران المصري ، وعليه من خلال عمله هذا ، أن يكسب ثقة المسئولين المصريين ، وخصوصاً العسكريين ويتقرَّب منهم ، ويتعرَّف على جميع خططهم ، وأسرارهم الحربية ، وينقلها إلى إسرائيل ؛ حتى تتمكن من وضع خطط مضادة .. ويُدلِّل المؤلف على مدى سذاجة القادة العرب – حتى العسكريين منهم ممَّن يُفترَض حرصهم الشديد – من خلال تصويره للقاء هذا العميل اليهودي بقائد القوات الجوية المصرية في الخمسينيات ، وكيف أنه نجحَ في عقد صفقة أسلحة معه ، كانت فاتحة لما يُريد تحقيقه ، إذ وجهَ المسئولون المصريون إلى الجاسوس الإسرائيلي تاجر الأسلحة دعوة لزيارة مصر ، وفي مصر نجحَ في إقامة علاقات وثيقة مع كبار المسئولين .

ويقول هذا الجاسوس أنه إستغلَّ نقطة ضعف في قادة الجيش المصري ، وهي « حبهم للنساء » ؛ لذلك يروي الكِتاب قصص الحفلات الساهرة الصاخبة التي كان يقيمها لهم الجاسوس .. ومن

نقطة ضعفهم إستطاعَ أن يستقي ما يريد من أسرار عسكرية .. كما يروي المؤلِّف وسائله في نقل هذه الأسرار إلى إسرائيل دون أن ينكشف أمره .. ويحكي عن مدى إكتسابه لثقة القادة ، التي وصلَت إلى درجة تكليفه من قِبل ئيس الوزراء آنذاك ونائب الرئيس أن يقوم بجولة في المطارات المصرية ؛ ليقدم تقريراً عنها ، وعن سير العمل بها(١) .

ويؤكد المؤلِّف أنه بفضل « السذاجة العربية وحُب النساء » نجحَ الجاسوس في عمل حفل صاخب ، إلتهى فيه الجميع في الوقت الذي هجم الطيران الإسرائيلي على جميع المطارات وحطَّمها .

وهناك قِصص أخرى كثيرة يمكننا من مطالعتها تأكيد هذه الركيزة الهامة التي يعتمدها القَصص الغربي للإساءة للعرب .

هذا ويمكننا ذِكر نماذج أخرى للتدليل على مرتكَزين هما تمجيد إسرائيل ، والعطف عليها ، وهنا نؤكد أن القِصص الغربية تحتوي على تمجيد لإسرائيل بنفس قدر ما تحتويه من إساءة للعرب وتشويه لصورتهم ، بل قد يفوق التمجيد أحياناً الإساءة ، فيكشف بذلك عن إتجاهات المؤلِّف وأهدافه ، وبنفس القدر من الدِقة يأتي تمجيد سرائيل أحياناً بشكل مباشرٍ وألفاظ مُحدَّدَة ، وأحياناً

(١) نَصّاً من الترجمة العربية لقصة تحطمت الطائرات عند الفجر ، الكِتاب مجهول المُترجِم والناشر ... ولذلك بالطبع مغزاه .



كمفهوم، ونتيجة مستخلَصَة من أحداث القصة ، بشكل غير مباشر ، كالإشارة - ضمناً وليس لفظاً - إلى قُدرة وذكاء المخابرات الإسرائيلية ، في كشف العمليات الفدائية والخطط العربية وإفشالها، وقدرتها في حَبك عملياتها والتخطيط لها بدِقة لضمان نجاحها .. وفي ثنايا ذلك تَبرُز إحدى الصفات العربية التي يلصقها بنا الغرب وهي صفة « الخيانة » ، إذ تُرجِع معظَم القِصص الغربية أسباب فشل العمليات العربية إلى إفشاء العرب أنفسهم لأسرارهم ، وإمكانية شراء أي عربي وتجنيده كعميل للمخابرات الإسرائيلية أو الأمريكية ، فالعرب كما يرونهم ويريدون أن يراهم العالَم « خونة » ولا يحفظون سر .

كذلك على الصعيد العسكري تُركِّز معظَم القصص الغربية على إعطاء صورة مُشرِّفة عن القدرة العسكرية الإسرائيلية .. في مقابل التقليل من القدرة العسكرية العربية ، ووصف العمل الفدائي بأنه « إرهاب » والفدائيين « عصابات إرهابية » تقتل الأبرياء والأطفال وتختطف الطائرات ، ونوردُ هنا نماذج قليلة مما وردَ لتأكيد هذه المعاني ، وإن كانت معظَم القِصص - إن لم يكن كلها - تتخذ تمجيد إسرائيل والإساءة للعرب ركيزة هامة وأساسية لها ، ففي قصة « جهاد » للكاتب اليهودي « إسرل هارل Isserl Harel »[1]

(١) كان يعمل رئيساً لقِسم في المخابرات الإسرائيلية في الستينيات ، ثم أصبحَ مسئولاً عن العمليات الدولية لملاحقة النازيين .



يحكي الكاتب عملية تهريب أحد الطيارين النازيين على أيدي رجال المقاومة الفلسطينية من أفراد الجبهة الشعبية ، وذلك بأسلوب مشوّق وإن كان مليء بالدّس على العرب ، إذ تُصوِّر القصة أن العرب يتعاونون مع النازيين ، كما تشير إلى أن الشباب العرب المنحدرين من أب عربي وأم أجنبية ليسوا مخلصين لقضاياهم العربية ، ويورد نموذجاً لذلك شاب عربي من أب فلسطيني وأم ألمانية ، ينجرف نحو التيار اليهودي بعد موت أبيه وتعرُّفه على فتاة يهودية فيتزوجها ، ويسافران معاً إلى إسرائيل ، وبذلك يُدلِّل الكاتب أيضاً على ما للمرأة من تأثير على شخصية الرجل العربي .

كما وردَ في نفس الكِتاب وصف للمنظمات الفدائية بأنها عبارة عن عصابات قتل وإرهاب ؛ والفدائيين الفلسطينيين بأنهم قتلة ، وأن غزة مأوى لهؤلاء القتلة .. ويحاول المؤلف تشويه حقيقة العمل الفدائي ، وتصويره على أنه عمليات عشوائية لا يرضى عنها الفلسطينيون أنفسهم ، إذ أنهم يُرعبون حتى النساء والأطفال ، وذلك للتدليل على أن الفدائيين أشخاص لا يعرفون الرحمة أو الشفقة ، كما يُصوِّر في موضع آخر ان ما تُسمى « حرب التحرير » ما هي إلا عمليات سلب ونهب(*) .

وتدليلاً على وحشية العمل الفدائي ، يسوق المؤلف في موضع

(*) من قصة جهاد ، ص ص ١٨ – ٢٠ .

آخر وصفاً مبالغاً فيه(*) لتنفيذ حكم الإعدام في رجل يتعامل مع إسرائيل ، وصلَ إلى حد أن (القتلة) كما أسماهم كانوا يضربون العميل ويطعنوه بخنجر في عنقه حتى بعد موته ، ثم دفنوه عارياً بعد أن أحرقوا ملابسه ، ويصل بالمؤلف الأمر إلى تصوير الفدائيين الفلسطينيين كأناس بلا عقيدة ولا دين ، وأنهم في سبيل أهدافهم مستعدين أن يُحطموا حتى الكعبة ، وأن يحوِّلوا الحجَر الأسوَد إلى رماد ، كما يصفُ عملية فدائية لضرب الكعبة بمساعدة طيَّار نازي هرَّبوه من سجنه ، لكن النازي المشهور بالوحشية يرفض ؛ لتقديره للقيمة الدينية لمكة لدى المسلمين ، بينما الفدائي الفلسطيني المشترك معه في العملية يُصِر متجاهلاً هذه القيمة ، ويهدده بالقتل إن لم يفعل ، ويأتي وصف مسهَب للعملية على صفحات كثيرة من الكتاب(**) ويصوِّر المؤلف أن الجناح اليساري من المنظَمات الفدائية هو المخطط لعملية ضرب الكعبة ، التي فشلَت بسبب الخيانة في الصفوف الفلسطينية نفسها .

وفي نفس القصة(***) يُمجِد المؤلِّف المخابرات الإسرائيلية ، ويُقارِن بين قدرتها وغباء المخابرات العربية ، وسذاجة العرب ، الذين

(*) من قصة جهاد ، ص ٣١ .

(**) من قصة جهاد ، ص ٢٠٥ وما تلاها .

(***) القصة من منشورات مؤسسة كورجي ، وهي دار نشر تكاد تكون متخصصة في إصدار الكُتب الرامية إلى الإساءة للعرب والإسلام .

وثقوا في الطيار النازي واعتبروه منهم ، بينما هو إسرائيلي ، توجهَ إلى ألمانيا بأمر من مخابرات إسرائيل ؛ لأن ألمانيا أقرب الطُرق للوصول إلى الجبهة الشعبية .

ولعل المرتكز الثالث الذي تعتمده القِصص الغربية - والوثيق الصلة بما ذكرناه حول تمجيد إسرائيل ، والتقليل من قدرة العرب - هو إثارة التعاطف مع إسرائيل ، وتصويرها في موقف المظلوم دائماً، وإستدرار العطف والشفقة على اليهود المُضطَهدين في كل أرض ، في مقابل الإساءة بشكل مُركَّز إلى الشعب الفلسطيني ، والتركيز على نعته بأبشع النعوت ، ناهيك عما يوصَف به العمل الفدائي ، ولعل ما سبق ذِكره من نماذج من قصة « جهاد » دليل كافي على الرغبة في وصف الفلسطينيين بالخيانة وبالإلحاد ، وعدم التقدير للقيم الدينية ، والعقائد والمُقدسَات ، وبالوحشية وقتل الأبرياء، وبالفوغائية فيما يقومون به من عمليات .

وهناك قصص أخرى كثيرة تنسج أحداثها على نفس النمط لدَس نفس الأفكار ، وكنموذج قصة « المُدمِّر »(١) التي تُمجِد بطولة رجُل مخابرات أمريكي في محاربة ما أسماه « الإرهاب الدولي » ، كما تصف الفدائيين بأنهم أبعد ما يكونوا عن الإنسانية ، فالقصة

(١) قصة « المُدمِّر » ، من تأليف ريتشارد سابر وارين صورفي ، من منشورات مؤسسة كورجي أيضاً .



تحكي أحداث عملية إختطاف طائرة ، يقوم بها فدائيون عرب ، يتحدث عنهم الكاتب بأسلوب ملؤه السخرية بالعرب ، كما يدَّعي أنهم إغتصبوا إحدى راكبات الطائرة المخطوفة ، ثم قتلوا طفلها الصغير.

هنا ويتَّخذ القَصص الغربي أيضاً ركيزة هامة تدور حولها معظَم رواياته ، وتمتليء بها صفحاتها ، وهي وصف المساويء الشخصية للعرب ، وإبرازها والمبالَغة فيها ، فهُم يُصورون العرب جميعاً على أنهم أثرياء مُسرفون إلى حد الجنون والسفه ، كما أن الجنس وحُب النساء هو المحور والمحرِّك الأول لحياتهم ، وهو المَنفَذ إليهم ، فالوسيلة المثلى للحصول على أي معلومات وأسرار عربية هو تسخير النساء الأجنبيات الجميلات ؛ لضمان نجاح أي عملية يكون العرب طرفاً فيها ، وبالطبع فإن الحديث عن اللهو والجنس والخمر ، والمقامَرة ، وجلسات المجون ، تُعتبَر مادة ثَرية ، تخدم القَصص والروايات البوليسية والغرامية التي يُدَس من خلالها ، وبالطبع يأتي وصف هذه الأمور وكأنه عنصراً مكمِلاً لمقومات القصة ، بينما هو عنصراً وظيفياً فيها ، له غرضه وهدفه ، ولم يأت عفو الخاطر ، كما يبدو للبسطاء من قراء هذه القصص المُسلية .

ولا يقف التركيز على المساويء الشخصية للعرب على الرجال وحسب ، بل إن الإساءة إلى المرأة العربية عنصراً هاماً في القَصص الغربي ، لأنهم في معظَم القِصص يُركِزون على وضعها المُتردِّي ،

وسوء حالها في ظل الإسلام ؛ وذلك للتدليل على مدى تخلُّف العرب وبدائيتهم ، بينما الحال يختلف في مواضع أخرى إذ يصوِّر المرأة العربية على أنها إمرأة داعرة وشاذة ، وأن ما يظهر من تحجُّبها يخفي وراءه أسراراً ، يدَّعون أنهم يكشفونها ، ومن الأمثلة والنماذج على كل ما سبقَ قصة « ضربة قاضية في البحرين »[1] وقصة « الفارس المسافر » وقصة « دُبي »[2] وقصة « بقشيش »[3] .... وغيرها كثير .

هذا ولا أجدُ ضرورة للإشارة إلى بعض – من كُل – مما يُقال في أمثال هذه القِصص عن العرب ، للنيل منهم والإساءة إليهم ، بل يكفي بأن هذه القِصص لا تترُك سانحة إلا وتستغلها السخرية من العرب ، والهزء بهُم وبتقاليدهم وعاداتهم .. بل وتختلق عادات تلصقها بالعرب وهُم براء منها كما في قصة « ماش يذهب إلى تكساس »[4] التي يُقدِّم فيها « شيخ الشيوخ » كما أسماهُ المؤلِّف

(1) قصة فرنسية من تاليف المؤلفة جوزييت بروس التي تُصدرُ مجموعة بإسمها هدفها الإساءة للعرب ، وهي قصص بوليسية تحتوي على أمرين إما سياسة أو جنس ، وتُميِّزُها الأغلفة العارية ، ويُباع منها من ٦٠ : ١٠٠ مليون نُسخة سنوياً .

(2) قصة دُبي ، تاليف روبن مور ، وهي تحكي قِصص تهريب الذهب من دُبي .

(3) بقشيش ، قصة فرنسية ، من تاليف ميشال كليرك ، تُرجِمَت إلى العربية في بيروت بإسم « فئران الانابيب » .

(4) قصة ماش ، من تاليف ريتشارد هوك ووليم بترورث .



«عبد الله بن بزوغ» عَدداً من الجواري كهدية لصديقه الأمريكي الذي يرفضها بسخرية وإباء متهكِّماً على العرب[1] .

وحول نفس المعنى جاء في كِتاب «العرب» تأليف «توماس كيرنان» – الذي يدخل في عِداد كُتب أدب الرحلات بأسلوب السرد القَصصي – يأتي في هذا الكِتاب وصف للكرم العربي في هذا الصدد ، فيحكي المؤلِّف أن شيخ قبيلة «سهول» في السعودية قد عرضَ عليه زوجاته عاريات ، كي يختار منهن واحدة يقضي معها ليلته ، وأنه – أي المؤلِّف – تأففَ ورفضَ ، فعرضَ عليه الشيخ إحدى بناته على نفس الصورة ، وكان الأب سعيداً بصراخها ، متشرِّفاً فخوراً بأن رَجلاً أمريكياً يُضاجعها .... وقد أتى ذِكر هذا الأمر بأسلوب سقيم مُبالَغ فيه ووصف مرذول .... وغني عن البيان ما في ذلك من مغالطة وإدعاء على العرب بعادات ليست لهُم .

ويُدلِّل مؤلِّف قصة «ماش يذهب إلى تكساس» على سفه العرب في أمور أخرى منها الإسراف ، فيصف ما حدث في إحدى الحفلات بحضور «شيخ الشيوخ» حامي حِمى الإسلام – على حد قوله – قائلاً :

" حين إنتهى عبد الله من إلقاء كلمته وحاول

---

(١) قصة ماش يذهب إلى تكساس ، ص ٨٩ .

الجلوس، علقَ الكيس الصغير في الميكروفون فتمزقَ وسقطَت كل الجوهرات والماسات التي كانت في الكيس على الأرض مُسببَةً فوضى كبيرة، فإذا بكل الحاضرين يزحفون على أيديهم وركبهم وهُم يتعاركون من أجل الحصول على الجواهر ....

وتساءلت:

ـ ألم يشعر سموه الملكي بالإهانة؟

ـ أبداً بل كان كلما بدا أن العراك قد خفَّ كان يأخذ بعض الجوهرات من أحد حرّاسه ويرميها على الأرض، وقد إستمرَ ذلك لأكثر من ساعة(١).

وهذا المشهد الذي تُصوِّرهُ القِصة تُركِز عليه أيضاً معظَم الأفلام السينمائية التي تأتي على ذِكر العرب، ومنها فيلم «القرصان» الذي سيأتي ذِكره فيما بعد.

---

(١) من قصة ماش يذهب إلى تكساس، ص ١١٣.



هذا ويُسيء القَصص الغربي إلى المرأة العربية أبلغ إساءة في العديد من الكُتب ، وبأساليب مختلفة ، فقد يصفها بالمجون كما في قصة « ضربة قاضية في البحرين » التي يحكي فيها المؤلف عن :

« فتاة مصرية تعيش وحيدة في البحرين لا تخشى كبقية العربيات رقابة أخ ، أو زوج ، ولا تُغطي وجهها بحجاب .... بل هي تحتقر الشيوخ العرب »(١) .

كما يتهمُ النساء الفلسطينيات أنهن يعملن داعرات في بيوت – خاصة فتيات المخيَّمات – وقد أتى ذكر ذلك في قصة « الفارس المسافر »(٢) ، وحتى المرأة السعودية المُحجَبَة المُحافظة لم تخل القصص الغربية من إساءة إليها ، وكنموذج لذلك القصة الفرنسية « بخشيش » التي تتطرَّق لحياة إحدى الأميرات ، إذ تُسميها وتنسبها إلى إحدى الشخصيات الإسلامية ، وتتهمها بالشذوذ الناتج عن الحرمان الذي يعيشه المجتمع الإسلامي في السعودية(٣) ، ولا يخفى ما في ذلك من إساءة للمجتمع الإسلامي متمثلة في الإساءة

---

(١) قصة ضربة قاضية في البحرين ، ص ٧ .
(٢) قصة الفارس المسافر ، ص ١٢ .
(٣) قصة بخشيش ، ص ص ٥٨ – ٦٠ .

لشخصيات قدوة في المجتمعات المُسلمة .

وفي إطار التركيز على المساوىء الشخصية غير السياسية للعرب كأفراد ، يأتي وصف العرب بأنهم قراصنة ومُهربون للذهب في عِدة قِصص منها قِصة (دُبَي) التي تحكي قِصص تهريب الذهب إلى الهند بمعرفة ، ومعاوَنة ، ولحساب أحد كبار المسئولين فيها .

ولعل الإساءة إلى الإسلام ورسوله إحدى أهم الركائز التي يعتمدها القَصص الغربي ، والمدخل للإساءة للعرب ، وهُم بذلك يريدون التأكيد على مفهوم خاطيء بأن تخلُّف العرب مردُّه إلى الدين الإسلامي ، ويريدون أن يسود هذا المفهوم بين المسلمين أنفسهم فينفضُّوا عن دينهم وتتزعزع عقيدتهم .

وتصدُر الإساءة بشكل مُبالَغ فيه ، يُصوِّر حِدة الرغبة لديهم للنَّيل من الدين الحنيف ، مُترَسمين الحقد طريقاً لهُم ، ولقد جاء ذكر هذه الإساءات إلى الإسلام في كُتب ودراسات وقِصص كثيرة .. لكتنا هنا نذكُر قِصة واحدة كنموذج بلغَت فيها الإساءات مداها وهي قصة « ورثة الملك »[1] التي تتناول الحرب الصليبية الأولى ، وسرد

---

(١) قصة ورثة الملك قصة تاريخية من تاليف « زو اولدنبورج Zoe Oldenbouruig » ، راجع ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ص ٢٠٩ ، ص ٤٧١ ، ص ٤٨٢ ، ص ٥٠٥ من قصة « ورثة الملك » للوقوف على ما وردَ بها من عبارات سفيهة .

وقائعها ، وهزيمة المسلمين واستعادة القُدس ، بأسلوب حاقد بلغت الإساءة فيه ذوتها ، إذ عجّت القصة بالسب والقذف في حق الرسول الكريم (صلعم) ، بأكثر مما قد يتصوره عقل ، وفيها الدليل الكافي على ما يُروجه القَصص الغربي عن ديننا الإسلامي عن جهل به ، ناهيك عما في غير هذه القصة من مغالَطات تاريخية ، ترد وكأنها حقائق مؤكَدَة ، فيكون لها تأثيراً أكبر في النفوس غير المؤمنة ، والمُتشككَة من المسلمين ، ويكون لها أثراً أكبر في إستعداء غير المسلمين على الإسلام ، ناهيك عن إيراد تحليلاً لمساوىء واقعنا الحالي وربطها بالإسلام عن غير علم .

من كل ما سبق يمكننا القول أن الهدف الأساسي للمنشورات الغربية المغرضة وفي مقدمتها القصص ، وأدب الرحلات ومذكرات الوافدين الغربيين على المنطقة العربية هو تشويه صورتنا ، ليس في أعين غيرنا فحسب وإنما في أعيننا ، وتشكيكاً في قدراتنا ، وعقائدنا ، وفي بعضنا البعض ، ومن أبرز النماذج على الهدف الأخير – وهو تشكيك العرب أنفسهم في بعضهم البعض – ما جاء في قصة « جهاد »[1] من بث لبذور الخلاف بين الفلسطينيين المسلمين والفلسطينيين المسيحيين من جهة وبين الفلسطينيين عموماً والعالَم الإسلامي من جهة أخرى ، وذلك من خلال رواية أن هناك

(١) قصة جهاد ، ص ٢٢١ .

خطة سريّةً وضعَتها الجبهة الشعبية - ويرأسها قائد مسيحي - لضرب وتحطيم الكعبة والحجَر الأسوَد ، ثم فشل هذه الخطة بسبب الخيانة ، مما قد يولِّد بين الصفوف شعور بالشك ، وعدم الطمأنينة ، وعدم الثقة ، بين الشباب الفلسطيني بعضهم وبعض .

كذلك ما جاء في قصة « ضربة قاضية في البحرين » من التشكيك في قناعة وإيمان العرب بالقضية الفلسطينية كلها(١) .

ولعل عنصر التشكيك يتضح أكثر إذا ما تعرَّضنا لخصائص الأسلوب القَصصي الرامي إلى مهاجمتنا ، والذي يعتمد على الإدعاء بإفشاء أسرار ، وهي في الحقيقة لا أساس لها في الواقع المُعاش ، وربط ذلك بأسماء أشخاص وقادة معروفين ، وبط الأحداث المختلفة بمسرح واقعي ، أي بأسماء أماكن معروفة ؛ لإكساب هذه الإدعاءات صفة الحقيقة ، وكمثال على ذلك ما جاء في قصة « الفارس المسافر » التي يروي مؤلِّفها على لسان شخص أجنبي متداخل بين القادة العرب أنه إلتقى بياسر عرفات ، وحاول إقناعه بزيارة اسرائيل سراً(*) . وإن كان هذا القول لا يُعَد شيئاً الآن بعد اتفاقيات السلام .. لكنه وقت نشر الكتاب كان يُعَد ضرباً من الخيانة .

ويروي المؤلِّف كيف تمَّت المباحثات بشأن لقاء فلسطيني / إسرائيلي ، وبالطبع لا يخفى ما في ذلك من إثارة البلبلة في الأوساط

(١) قصة ضربة قاضية في البحرين ، ص ٧٨ ، ص ٨٠ .

(*) قصة الفارس المسافر ، ص ١١ وما تلاها .



العربية ، إذا ما أخذ البعض هذه الواقعة آنذاك على أنها حقيقة أو فيها بذور من حقيقة ، وخاصة بالنسبة لقادة ثورة مُسلَّحة كانوا يرفضون التفاوض في حق لهم بأي صورة ، وعلى أي مستوى .

لعلنا بهذا المثال نكون قد دلَّلنا على أهم خصائص القَصص الغربي الموجّه ضد العرب ، وهي الإدعاء بإفشاء أسرار ، وإختلاق أحداث خيالية وتغليفها بأسلوب واقعي ، وربطها بأشخاص وأماكن معروفة ؛ للإيهام بأنها حقائق والسعي للتشكيك والوقيعة بين العرب ، وفي هذا المثال يظهر أيضاً دِقة الأسلوب المدروس الذي يُصاغ به الإفتراء ، وتكثيف عنصر الإيهام بالصدق فيه .

ولعل اللجوء إلى الرمز ، وتصوير الخيال ، والتنبؤ بالمستقبَل ، هي وسيلة أخرى وخاصية هامة في القَصص الغربي ، ويتم ذلك بتناول حقيقة صغيرة يُراد تشويهها ، فتُميَّع الأحداث حولها ما بين خيال مُغرِق ، أو رمز مكشوف يكاد يشير إلى الأشخاص والأماكن المعنيَّة ، وكنموذج لذلك قصة « الواحة المشئومة »[1] التي تحكي قصة رجُل إنجليزي أسسَ هو وابنه غير الشرعي مَشيَخَة بإسم (Safaifa) وهي إمارة من وهم وخيال – كما تقول القصة – تقع على الحدود السعودية ، وقد إعتنقَ الأب وابنه الإسلام ، وتقمُّصا طريقة الحياة العربية ... وقد سعيا لإنقاذ إمارتهم الوهمية من الفناء

(١) قصة الواحة المشئومة ، تأليف هاموند أنز .

والجدب بالري وبحمايتها من زحف الرمال المتدفقة من الربع الخالي، وأخذا يبحثان عن البترول ... وتحكي القصة أن إمارتهما كانت متاخمة لإمارة تُسمى « هاد Hadd » وهي أيضاً من وهم وخيال المؤلف .. وكانت هذه الإمارة تدخُلُ في صراع مع إمارتهما وتقطع عنها إمداد الماء ، وقد جاء ذِكر إسم شيخ إمارة « هاد » في الكتاب[1] وهو « الأمير عبد الله زايد بن سلطان » وهو عدوهم الأوحد حتى الموت[2] .

ورغم الإعتماد على الرمز والخيال في هذه القصة نجد المؤلف يشير في الصفحة الأولى من القِصة إلى أن الواحة المشئومة هي واحدة البريمي ، كما كانت حينما كان الشيخ زايد مجرَّد شيخ قبيلة، وكان « هاموند أنز » المؤلف مرافِق له في ذلك الوقت ، كما جاء في موضع آخر[3] أن المؤلف تلقى المساعَدَة من « نيل أنز » الذي كان يعمل وزيراً للشئون الخارجية لسلطان عربي ، حينما كان المؤلف يقوم برحلته الصحفية في المنطقة العربية .

وبالطبع يمتليء الكِتاب بالإساءة إلى العرب وبالإشارة إلى أحداث تثير الكثير من الحساسية بين الأشقاء العرب ، وكأنه خيال ، والتركيز الأكبر على الصراع العربي على الإمارة الخيالية (البريمي) .

---

(١) ، (٢) قصة الواحة المشئومة ، ص ٨٩ .

(٣) قصة الواحة المشئومة ، ص ٥ .

وعلى نفس النمط وهو إتخاذ الرمز والخيال وسيلة لخلق البَلْبَلَة ، كانت قصة « إنهيار ٧٩ » ، والتي تتنبأ بمستقبل منطقة الخليج خلال عام ١٩٧٩ ، والفَناء الذي سيحسب المنطقة على يد شاه إيران ، أما قصة « منزلَق البترول »(١) التي يتحدث مؤلفاها عن إحدى دول البترول العربية ، ويسميانها « لوبينيا » فيُفهَم من أحداث القِصة أن المقصود ليبيا ، وبالطبع يصفان مدى التأخُّر والتخلُّف في هذه الدولة بأسلوب يدل على الحقد الذي يكنانه للعرب جميعاً .. ورغم الرمز أو إدعاء الرمزية نجد أن الكتاب يكاد يشير إلى المقصود من الرمز(*) . وتسير القِصة لتُدلِّل على أن هذه الدولة تملك فقط المال والغاز لكنها متخلفة ، فكل ما فيها من صُنْع خليط من الجنسيات .

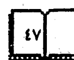
هذا وتجدُر الإشارة إلى الخاصيتين الأخيرتين من خصائص القَصص الغربي والتي يعتمد عليهما كوسيلة لجذب أكبر عَدد من القراء ؛ كي يتحقق الهدف المرجو على أوسع نطاق ، وهاتان الخاصيتان هما :

* حشو القِصص بوصف فاضح للمواقف الجنسية ، والمغامرات البوليسية المشوقة ، والدَّس على العرب في ثناياها .

---

(١) منزلق البترول قِصة من سلسلة « المُدمِّر » من تأليف ريتشارد سابير وراين مورفي .

(*) كنموذج راجع : قِصة « منزلق البترول » ، ص ٤٢ .



* الإعتماد على الأغلفة العارية كأسلوب ناجح في التسويق والترويج ، عدا الأغلفة التهكمية على العرب .

فالإساءة للعرب هي القاسم المُشتَرك الأعظَم في مؤلفات الغرب .

الدراسات السياسية والاقتصادية :

وإذا كان ما سبقَ يتعلَّق بنوعية واحدة من الكُتِب وهي كُتب التسلية (القِصص ، وأدب الرحلات) رغم ما للأخيرة من جمهور عريض من المثقفين .. ورغم خطورة ما يرِد فيها من معلومات يتلقاها القارئ على أنها رؤيا شاهد عيان ، وأنها حقيقة لاشك فيها .. ننتقل إلى نوعية أخرى من الكتب هي الكتب الجادة التي تضم دراسات المستشرقين والكتب السياسية ، ودوائر المعارف .

ولعل هذه النوعية من الكتب لها خطر أشد على نوع خاص من القراء لهم خطرهم ، ولهم دورهم في توجيه السياسات الدولية ، واتخاذ القرارات مع أو ضد العرب .

أولاً : لأن المستشرقين وما يدبجون من كُتب يُعتبَروا مَرجعاً موثوقاً بالنسبة للغرب ، فيما يتعلَّق بكل ما هو عربي أو شرقي .

ثانياً : لأن دوائر المعارف بما تضُم من معلومات منحازة تُعتبَر مَرجعاً في أي دراسة عن العرب .. ويؤخَذ ما يُرد فيها من

مادة على أنه موضوعي ومُحايَد .. وإن كان ذلك ليس مُطابِقاً للواقع في أغلب الأحيان .

أما الكتب السياسية فلها خطرها أيضاً ؛ لأنها غالباً ما تصدر مواكبة لأحداث آنية كتغطية متكاملة ، تُعطي خلفيات تاريخية مغلوطة ، وتحليلات سياسية مغرضة .

ومن أبرز الموضوعات التي تتناولها الكتب الجادة ، والتي تُعتبَر من الموضوعات المطروحة للنقاش في ندوات عالمية وفي الصُحُف عامة .. دور شركات البترول في المنطقة العربية ، وأثره على السياسة العالمية ، وأثر مقرَّرات مُنظَّمة الأوابيك (الدول العربية المُصدِّرة للنفط) على إقتصاد أمريكا وسعر الدولار الأمريكي ، ناهيك عما كانت تطرحه حول أحداث الثورة الإيرانية ، وأثرها على الساحة الخليجية من آثار نفسية ، تُباري الكُتَّاب الغربيين في إبرازها والكتابة عنها بوصفها « خوف متعاظم لدى الأمراء » في الخليج .. ومد ثوري يزحف على المنطقة ، ثم ما كان من تناولهم لحرب الخليج بين إيران والعراق ، وأثرها على المنطقة بأثرها .. وأخيراً ما صدرَ من كُتب وما كُتبَ في الصحف عن أزمة الخليج بين العراق والكويت في أغسطس ١٩٩٠ .

هذا وتحتل الدراسات العربية جانباً كبيراً لا يُستهان به من المؤلَّفات المكتوبة بلغات أجنبية ، ويعكس ذلك مدى إهتمام الغرب

بالمنطقة العربية ، ذلك الإهتمام الذي لا يخلو من جوانب مُغرِضة للنيل من العرب وتشويه صورتهم ، فكَم من المؤلفين الغربيين الذين يزورون المنطقة بهدف إجراء أبحاث ودراسات ، أو حتى متسلسلة مقالات ما تلبث أن تتحول إلى كِتاب تتلقفهُ الأيدي .. ومن جانبنا نُقدِّم لهُم كل الأمكانيات المادية التي تُسهِّل إقامتهم ، ونفتح لهم صدورنا .. وخزائن المعلومات التي تساعدهم في بحوثهم ، دون أي تدقيق في نوعية المعلومات ، ومصداقيتها عن الواقع العربي بكل جوانبه ، فيخرج نتاج هؤلاء المؤلفين أبعد ما يكون عن الواقع مُعتمداً على الرؤية الشخصية للمؤلف .. وعلى وجهات نظر من يلتقي بهم ويخالطهم مصادفة ، من أجانب مقيمين في المنطقة العربية .

ولعل الكِتاب المُسمى « مذكرات في السياسة العربية ودراسات أخرى »[1] واحداً من هذه النوعية من الكُتب الكثيرة ، التي صدرت عن المنطقة العربية ، وإن كان الغرض منها تمجيد اليهود ، بالمقارنة بينهم وبين العرب ، ويتضح منه حقد مؤلفهُ على الأمة العربية ، والدين الإسلامي .. كما يتضح ذلك من وصفه لأخلاق النبي (صلعم) بصفات وضيعة ، وإستشهاده – لإثبات ما يقوله – ببعض أقوال رجال الدين المسيحي ، الذين جاءوا إلى المنطقة العربية

---

(١) تأليف ايلي كيدوري ، والصادر عن دار نشر فرانك كاست المحدودة – لندن .

عن طريق جامعة بيروت الأمريكية ، وإنتشروا في بعثات تبشيرية في كل البلاد العربية ، وذلك ليُثبت أن المسيحيين هُم أيضاً ضد الإسلام، وأن هذا الموقف العدائي من الإسلام ليس موقف اليهود وحدهم .

وقد تناول هذا الكتاب عدة نقاط ، تناولتها أيضاً الكثير من الكتب الغربية ، التي كتبت عن العرب المسلمين ، والتي لا يخرج محتواها عن كونها مقارنة بين العرب واليهود ، ومحاولة نسبة الحضارة العربية إلى اليهود .

والنقاط التي تُتناول في هذا المجال معروفة وهي : التركيز على وضع المرأة المسلمة ، والتركيز على وصف السلوك العربي بالإهتمام بالجنس ، والوحشية ، والتعصب إلى غير ذلك من نعوت يتفنن مؤلفوا الغرب في لصقها بالعرب .. رغم تناقضها في بعض الأحيان .

ويقول كتاب « مذكرات في السياسة العربية » مُعبراً عن وجهة نظره في القضية برمتها بصراحة - حبذا لو إستفدنا منها - فهو يتساءل قائلاً :

« ربما يسأل القارىء لماذا عندما نتكلم عن اليهود نتطرق إلى العرب ؟؟ والجواب هو .. أنه كلما أصبحت إسرائيل على وشك التقدم

والإزدهار والنجاح يأتي العرب ليُعيثوا مسيرتها

.. إن مملكة اليهود القديمة يحل لها أن تتاتل ،

حتى يتغلَّب جانب على آخر ، ومستقبل العالَم

كله مرهون بنتائج هذه الإشتباكات ، لكن

اليقظة العربية لحُسن الحظ تُهزَم وتُحبَط في

الوقت المناسب »[1] .

وهو بذلك يصوِّر أن العرب هُم العقبة في طريق الإزدهار اليهودي ، ويعتبر أن إحباط يقظة العرب في الوقت المناسب من حُسن الطالع ، ولا يكتفي المؤلف بذلك ، بل يدَّعي أن اليهود أصحاب حضارة ، وأن الحضارة العربية بناها اليهود أنفسهم ، وعن ذلك يقول نَصّاً :

« اليهود جماعة لهُم هويّتهم التي إستمدوها

من الدين ، وحفظتهم متماسكين معاً ، وإذا كُنّا

نقيِّم الحياة بالحضارة فإن اليهود لهُم باع طويل

في هذا المجال على مدار التاريخ .. بل إن اليهود

شاركوا ومازالوا يشاركون في حضارة من يُسمّو

(1) كتاب دراسات في السياسة العربية ، ص ١١٢ ، ص ١١٣ .

بالعرب »[1].

ويستمريء المؤلف في التقليل من قيمة العرب وحضارتهم ، ولا يكفيه ذلك فيتناول العرب بالتجريح والإساءة .. وذلك ليس جديداً على الكتابات الغربية .. إذ يقول المؤلف دون مواربة :

« إن العرب أصبحوا يشكلون مصدر إزعاج للعالم ، حتى أن المحاكم العليا والصحف إمتلأت بالشكاوي والمظالم العربية ، حتى أصبح العرب مملين ومضجرين »[2].

ويصف عالم العرب – خاصة أهل الجزيرة العربية – كما يراه أي قادم إلى المنطقة العربية كرحالة أو باحث قديماً وحديثاً فيقول :

« وقبل حوالي ١٠٠ سنة ، كان الرحالة الذي يصل إلى الشرق الأوسط لديه أشياء كثيرة عليه أن يختار منها ما يريد ، فهناك الهمجية ، والوحشية ، والقرصنة ، والرقص وهز البطن ، والتعصب الديني ، والسلاطين ، والباشوات ،

(١) كتاب دراسات في السياسة العربية ، ص ٣٢٢ .
(٢) كتاب دراسات في السياسة العربية ، ص ١٦٢ .

والمستنقعات ، والسكارى المخمورين ، والنساء .
أما الآن فقد تغيَّروا قليلاً .. هؤلاء هُم العرب ...
ولا نقصد بالعرب أولئك الذين يعيشون في
القاهرة أو دمشق أو بيروت أو بغداد بل العرب
(الحقيرين التافهين) الذين جاءوا من قطعة
أرض غير طبيعية هي الصحراء العربية . لقد
هزموا وأخضعوا إمبراطوريتين ، ولكن بعد ذلك
إنقلبَ كل شيء ضدهم حيث إبتلعَهم
واستعبدَهم الأتراك ، ثم الإستعمار
البريطاني ، ثم الفرنسيين ، ثم اليهود »(١) .

ويقول المؤلف في موضع آخر :

« إن الحياة السياسية جلبَت على العرب الذُل في
الخارج والعجز في الداخل »(٢) .

وبالإضافة إلى الإسلام كعقيدة ، يحاول المؤلف التقليل من قيمة الرابطة بين الإسلام والعروبة ، إذ يرى أن الدين الإسلامي لم

---

(١) كتاب دراسات في السياسات العربية ، ص ١٦٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

يوحّد العرب ويقول :

« لم يكن هدف محمد هو أن يخلق من العرب أمة - وهو لم يفعل - لكنه خلق من العرب مسلمين .... »(١) .

وبذلك ينفي المؤلف أن الإسلام وحّد بين العرب ، بل ويدّعي بأن الوحدة العربية رعتها وحفظتها بريطانيا ، وإذا نجده يقول :

« إن بوادر الوحدة العربية بدأت في عام ١٩٤٥، عندما تشكلت الجامعة العربية التي رعتها وحفظتها بريطانيا ، ومنذ ذلك اليوم أخذت أشكال الوحدة العربية تتجسّد في أن تبتلع وتأكل دولة عربية دولة عربية أخرى »(٢) .

ورغم ما في ذلك من مغالطة .. زاد عليها المغالطات المتصلة بالإسلام كعقيدة ، والسلوك الفردي للمسلمين ، نستشعر أن هذا الكاتب يُجسّد الصراع العربي والتناحر العربي وكأنه يعيش فترة ما بعد عام ١٩٩٠ رغم أن الكتاب وُضع قبل هذا التاريخ بعدّة سنوات .

---

(١) كتاب دراسات في السياسة العربية ، ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٦٦ .



وينفرد هذا الكِتاب بالحديث عن البعثات التبشيرية ، ودورها في العالَم الإسلامي ، مصوِّراً أنها الوسيلة الناجحة لخلق رجال مثاليين في المنطقة العربية .. ومؤكِّداً أنه سيأتي اليوم الذي سيتحوَّل فيه المسلمين إلى مسيحيين .. وبالطبع سيكون ذلك بفضل الجهاز التبشيري الأوَّل في المنطقة وهو الجامعة الأمريكية في بيروت التي أفردَ المؤلِّف فصلاً من الكِتاب للحديث عن دورها التبشيري .

وأرى هنا أن مِثل هذا الكِتاب ، والذي غالباً ما يكون موقفنا حياله مجرَّد موقفاً سلبيّاً ، هو إهماله ، أو منع تداوله داخل الوطن العربي ، رغم ما يحمله من مغالطات تسيء إلى صورتنا ، وتعطي فكرة خاطئة عنَّا للعالَم ، أرى أنه يجب إتخاذ موقفاً أكثر حَزماً ؛ للتصدي لمِثل هذه المؤلَّفات ، بمؤلَّفات مضادة لها .. تغيِّر الصورة المشوهَة التي يُروِّجون لها بكل وسائل إعلامهم ، وبكل إمكاناتهم الإتصالية .

وعدا عن الكُتب السياسية ، نجد أن العديد من الكُتب الإقتصادية التي تتناول أي من المشكلات الإقتصادية الدولية ، تتعرض للعرب بالتجريح من مدخل إقتصادي ، وكنموذج لمِثل هذه الكُتب : كتاب " The Control of Oil "(*) أو « السيطرة على النفط » الذي يُعتبَر كتاباً إقتصادياً بالدرجة الأولى ، لا يتطرَّق

(*) من منشورات مؤسسة بنثيون بوك – نيويورك ، ١٩٧٧ .

للموضوعات السياسية إلا من زوايا إرتباطها بالإقتصاد ، وهو مليء بالأرقام والرسوم البيانية والإحصاءات التي تُظهر قوة الدول المُسيطرة على البترول .. وصراع الدول الكبرى للسيطرة عليه ، وفي مُقدمة هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية ، واليابان ، ودول أوروبا الصناعية ، وذلك يتم في رأي المؤلف « جون بيلر » بمخاطبة عواطف حُكّام المنطقة التقليديين ، وبواسطة الشركات العاملة في منطقة الشرق الأوسط ، وباستخدام الشخصيات والأساليب الأمريكية .

والكاتب – بوصفه أمريكياً – يحاول إظهار أن مشاكل النفط لم تتسم بالعنف إلا بسبب سيطرة الشرق الأوسط عليه ، بينما لم يكن ذلك هو الحال طوال الفترة التي كانت فيها تكساس أكبر مُنتجة ومُصدرة للبترول في العالم .

ويشير إلى العداء الذي يكنّه العرب لأمريكا ؛ نتيجة لعلاقتها بإسرائيل – وهو ما أسماه (تورُّطنا مع إسرائيل) – مستثنياً من ذلك السعودية التي لم تتضرر من هذه العلاقة .. وإن كان الخوف من عدم إستقرار هذه المنطقة ، ومن ظهور قادة مثل عبد الناصر فيها قد أصبح أمراً أشد خطورة من ظهور الخطر الشيوعي في المنطقة .. وهو في إطار هذه الأفكار يُسيء إلى القيادات العربية ويصفها بالسخف والفساد .

كما أنه يُظهِر تخوُّف القوى الكبرى ليس فقط من قيام ثورات بل من عمليات التأميم للشركات .

وينتقل المؤلف إلى عام ١٩٧٣ ، حيث يقول بأن الدول العربية المُتحدة في منظمة « الأوابيك » لعبَت دوراً كبيراً في مجال الطاقة ، وهي التي خلقَت ما عُرِف بمشكلة الطاقة ، عندما منعَت البترول عن أوروبا وأمريكا ، أثناء الحرب العربية الإسرائيلية ، وقد حققَت بذلك مكاسباً سياسية ومادية .. ويختتم الكتاب برأي مؤداه ضرورة أن تجد حكومته – الحكومة الأمريكية التي تعتمد على النفط – أساليب جديدة علمية وتكنولوجية كبدائل للنفط .

ومن الآراء التي تضمَّنَها الكتاب :

« أنه إذا كان هناك نيَّة في السيطرة على النفط العالمي فإن البداية يجب أن تكون التحوُّل في السيطرة على منابع الشرق الأوسط »(١) .

« وتُعتبَر منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق خطراً في العالَم ؛ حيث أنها فرس الرهان بيننا وبين الروس »(٢) .

(١) كتاب السيطرة على النفط ، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٦ .



وتحقيقاً للسيطرة على منابع نفط الشرق الأوسط ، يُحدِّد الكاتب الأساليب التي إتُّبِعَت سابقاً ، والتي يجب أن تُتَّبَع ، مُستشهِداً بمجابهة حركة التأميم الإيرانية للنفط ، التي كانوا مضطرين حيالها ، كما يقول المؤلف :

" إلى التعامل مع أي دولة من دول الشرق الأوسط ؛ ولذا كان من المحتَّم مخاطبة عواطف حُكَّام المنطقة التقليديين المحافظين والمناوئين للشيوعية ، وفعلاً بدأنا في الحوار مع الملك إبن سعود ملك المملكة العربية السعودية "[1] .

ولعل ما إستعرضناه من فقرات من هذا الكتاب وغيره يعطينا مؤشراً هاماً ، يعكس الأسلوب الغربي في فهم الشخصية العربية ، والمداخل التي يمكن من خلالها الولوج إليها ؛ لتحقيق مصالحه الإقتصادية والسياسية .

ويرى المؤلف - كما سبقَت الإشارة - أن سيطرة الشرق الأوسط والأوابيك هي سبب كل ما يعانيه العالم من مشاكل ، ليس في مجال الطاقة فحسب .. بل في مجال الإقتصاد أيضاً ؛ لذلك فهو يُحمِّل دول الشرق الأوسط مسئولية ما يجري في مجال التجارة

(١) كتاب السيطرة على النفط ، ص ٤٤ .

الدولية .

كما يُحمِّل الكاتب « الأوابيك » مسئولية التضخم الإقتصادي، الذي تمر به الولايات المتحدة ، وبذلك يُصوِّر للعالَم أن العرب هُم سبب كل الأزمات الإقتصادية ، وأنهم وراء كل المشاكل ؛ بما يمارسون من ضغط وإبتزاز .

ومن مثل هذا الكتاب يمكننا كمُخطِّطين لتحسين الصورة العربية أن نتفهم الأسلوب الذي يُفكِّر به الغرب ؛ لتحقيق مآربه في منطقتنا العربية ، من خلال رؤياه لنا ، ولقياداتنا ، ولأوضاعنا السياسية .. والفهم هو أولى خطوات التخطيط الناجح .. فإذا ما وعينا ما يخططون له ، فلابد أننا سنستطيع التخطيط لإفشاله .. ومن كتاباتهم نتخذ السلاح الذي نتصدى به لهم ، ونرُد الهجوم عنَّا .. سواء كان هجوماً فعلياً أم هجوماً معنوياً بتشويه الصورة .

ومن مثل هذا الكتاب نستطيع أن نفهَم – مما وردَ به صراحة على لسان مؤلِّفه – تخوُّف الغرب من التأميم ، ومن القيادات الثورية في المنطقة – أو التي كانت ثورية .. وأن السعودية في نظرهم هي المفتاح للمنطقة(*) .. ومنه نفهم أيضاً أن الغرب يحاول تصوير العرب على أنهم سبب كل المشاكل الإقتصادية العالمية .

(*) راجع ص ١٩٦ من الكتاب .

هذا ولا تكتفي الكُتب الجادة بمناقشة الأمور السياسية والإقتصادية فحسب ، لكنّها تدّعي أيضاً محاولة فهم الشخصية العربية .. فالكِتاب هو إحدى وسائل الإعلام التي يتوفّر لها عنصر الوقت ، مَن حيث إعدادها كدراسة مستوفاة لكل وسائل الإقناع .. ومن حيث أن فترة وجوده في يد القارىء أكثر من أي وسيلة إعلامية أخرى ، قد يمر القارىء عليها مَر الكِرام ، ويزول تأثيرها عليه بزوال وقتها ، الذي غالباً ما يتميَّز بالقِصر ، فإن كانت مجلة أسبوعية فالقارىء يهملها بعد أسبوع ، وإن كانت صحيفة يومية فعُمرها لا يتجاوز ساعات ، وإن كانت برنامجاً مسموعاً أو مرئياً فتأثيرها لا يتعدى الدقائق – وإن توفَّرَ لهذه الوسائل عنصر الإلحاح – بينما يبقى الكِتاب هو الوسيلة الباقية والدائمة ، والأكثر إقناعاً لأي جمهور، خاصة جمهور المثقفين ، لذلك يعمد الغرب إلى إعتماد الكِتاب كوسيلة رئيسية في تشويه الصورة العربية .

ومن خِضَم الكُتب التي تناولت العرب بالتجريح الكتاب الإنجليزي المُسمّى « العقل العربي في حاجة إلى فهم »(*) فهو دراسة يدّعي مؤلّفها[1] أنه خبير متخصص في الشئون العربية

(*) منشورات شركة كسل المحدودة (Cassell Company Limited) ، ١٩٧٥ .

(١) جون لافين ، إنجليزي يهتم دراسة القضايا العربية كباحث وله عدة كُتب عن الفدائيين ، والنزاع العربي الإسرائيلي ، تخصص مؤخراً في الشئون =

والإسلامية – رغم تناوله الحضارة العربية بالتقليل من قدرها ، والشخصية العربية بالتشويه ، والعقيدة الإسلامية بالإساءة البالغة ، والمغالطة ، وربط كل ذلك بالسياسات العربية .

والكتاب يضمُّ الكثير من المغالطات ، وأقل ما وردَ فيه من إساءة للعرب والإسلام وصفه للعرب بأنهم قوم أشرار ، همُّهُم الأوحد « الجنس » خاصة البدو منهم ... ووصفه الرسول (صلعم) بأنه كان شغوفاً بالنساء ، ووصفه له – وحاشى لله أن تكون هذه صفته – بأنه « قاطع طريق » يعتمد السلب والنهب أسلوباً مشروعاً .. ويتضح من كل ما وردَ في الكتاب من مقارَنات أن المؤلف متعصِّب جداً لليهودية ولإسرائيل ، خاصة في الجزء الثاني والثالث من الكتاب – إذ يُعتبَر أن اليهود هُم همزة الوصل بين العرب كقوم متخلّفين وبين الغرب كحضارة ومدنية ، ولذلك يعج الكتاب بالإساءة للشخصية العربية ، والسلوك والأخلاق العربية ، والتقليل من قيمة حضارتّنا العربية ، والإساءة إلى ديننا الحنيف ، ونبينا (صلعم) ، ويحاول المؤلف الربط بين الطباع العربية والدين الإسلامي ، وانعكاسات ذلك على السياسة العربية .. رغم أن الكتاب ضَمّ العديد من الفصول

== العربية والإسلامية ، إذ يقول أن ١٣٠ مليون عربي يسكنون المنطقة من مراكش إلى أبو ظبي قد إجتذبّني بجوبهم لدراسة شئونهم ، وقد إلتقى بعدد من الشخصيات العربية ، ومنها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وزار المنطقة العربية عدة مرات .



التي تحدثت عن تاريخ العرب ، الذي أسماه المؤلف «*التاريخ القلق*» ، وعن المجتمع العربي ، الذي أسماه «*المجتمع المُخجِل*» ، والذي أفردَ الفصل الأخير من كتابه لدراسة «*العُقد الداخلية*» لهذا المجتمع ، ذلك عدا إفراده فصولاً أخرى للحديث عن «*محمد والقرآن*» ومحمد «*ابن العادات أو التقاليد*» ، كما تناولَ «*الأدب واللغة*» كفصل مستقل ، وأضاف إلى ذلك فصل بعنوان «*العرب يتكلمون العربية*» ، كما أفردَ فصلاً للحديث عن «*نظرة الرجل العربي للمرأة*» تضمَّن الكثير من المبالغة ، وفصل عن «*النظرة إلى إسرائيل والغرب*» ، وأيضاً ربط كل ذلك ببذور ظاهرة «*العُنف*» في فصل مستقل ، وأظهرَ أثر ذلك على السياسة العربية حيث كتبَ تحت عنوان «*الوصول للسُلطة بقوة الجيش*» عن كثرة الإنقلابات في الدول العربية .

ويدَّعي الكاتب أنه رجعَ إلى مَراجع كثيرة في كل ما كتبَ ، ومنها ترجمة القرآن .. وأنه شاهدٍ عيان بالنسبة لأمور كثيرة شاهدها أثناء زياراته المتكررة للمنطقة العربية ، وتعرُّفه على العديد من الأسر العربية المتعلمة والبدوية ، ويؤكد أن ما قاله هو الحقيقة عن مجتمع العرب .

وتحت شعار الحقيقة والموضوعية وصفَ المؤلف حياة العرب

قديماً كتُجّار يركَبون المخاطر ، ويتجهون إلى الصين وأفريقيا ليتاجروا في .... النساء والعبيد(1) ويفاضل بين العرب واليهود الذين يعتبرهم جنس أرقى .

ويتتبع تاريخياً نشاط العرب ، فيقول بأنه إبتداءً من القرن العاشر حينما أصبحت الأمور التجارية أكثر تعقيداً ، وحتى بعد أن أصبح في العالَم العربي بنوك وحكومات وملكيات كان الذين يديرون هذه المؤسسات من اليهود والمسيحيين ، حيث كان المسلمون يخشون من الوقوع في الربا الذي حرَّمَه الإسلام .... وهو بذلك يُغفِل - كغيره من الكُتّاب الغربيين المغرضين - أن هؤلاء المسيحيين واليهود كانوا أيضاً من العرب وُلدوا في العالَم العربي ، ونشأوا فيه ، وإعتنقوا دياناتهم فيه ، بوصفه مهبط الأديان السماوية الثلاث ، وكونهم غير مسلمين لا ينفي أنهم عرب .. لكن المؤلف له غرض غير الإساءة للعرب وهو الإساءة أيضاً للمسلمين .

ويقول المؤلف أيضاً للتقليل من قيمة الحضارة العربية كحضارة خلاقة :

« ليس للعرب أي فضل سوى أنهم جاءوا بمزيج من حضارات ومعتقدات شعوب مختلفة

---

(1) ص ١٦ من الكتاب .



فمزجوها وكوّنوا حضارة جديدة »[1] .

كما يقول بأن :

« حكماء اليهود كانوا ضمن الأوائل الذين أظهروا الإسلام »[2] .

وحتى هذه الحضارة أو تلك المكانة التي كانت للعرب قد فقدوها ، ويؤكد المؤلف أن المكانة المرموقة التي إختارها النبي محمد للمسلمين وهي : *(وكنتم خير أمة)* ... قد إفتقدت ، ويؤكد ذلك بقوله :

« حيث عمّ الفساد ، وأصبحَ العرب الناقمين محكومين من قِبَل أجناس أخرى أجنبية ... ولم يظهر في الساحة أي عربي قوي ليكبح موجة الإنحطاط التي ساروا إليها ... وكان العرب يعيشون فترة إزدهار .... ولكن ماذا قدّمَ العرب الآن لحضارة القرن العشرين ؟ أين مشاركة العرب في التجارب الحالية في الآداب والعلوم

---

(1) كتاب العقل العربي في حاجة إلى فهم ، ص ١٨ .

(2) المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

الحديثة ؟ أننا نعيش في القرن العشرين ومع ذلك فالعرب يسيرون نحو الإنحطاط والجهل والغباء وعدم النُبل أو الشرف ، لذا فإن الشعب الأوروبي لا يرى في العرب سوى أشخاصاً يلبسون ملابساً ملوَّنة ، ويركبون الجمال ويعيشون في الواحات وفي الصحراء .... "(١) .

ويشن المؤلف هجوماً على الإسلام وعلى الرسول الكريم (صلعم) راسماً بذلك الإطار المكوِّن للشخصية العربية وصفاتها ، وهو ما سيُطبقه على مجريات الأمور السياسية المعاصرة ، مؤكداً على أن ما ذكره من صفات هي حقاً صفات العربي المسلم ، التي تؤثر على السياسات العربية ، في الإطار الدولي .

ويمتلىء الكتاب بالكثير من المغالطات التاريخية والإدعاءات الباطلة على الإسلام وعلى النبي ، إذ يدَّعي الكاتب أن النبي محمد (صلعم) :

" أبادَ الكثير من القبائل اليهودية كنوع من العقاب "(٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

ويدّعي المؤلف أن النبي (صلعم) كان يُسيء إلى الأسرى ، وهو الأسلوب الذي يقول بأن العرب إتبعوه حديثاً في حروب الجزائر مع فرنسا ، وفي معظم الحروب الحديثة .

والحقيقة أن الكِتاب يعج بالإساءة إلى النبي (صلعم) مما يعف القلم عن ذِكره .

ويستمريء المؤلف في الربط بين الإسلام وتعاليمه وبين السياسات الحالية ، فيصف العرب الحاليين بأنهم « قتلة » وأن العُنف هو طابعهم .

ولا يكتفي المؤلف بوصف عُنف العرب ضد عدوّهم .. ولكن يؤكِّد بأن العنف في الدول العربية هو السِمة الغالبة ، ويُفرِد فصلاً كاملاً عنه ، يقول فيه أن معظم الزعماء العرب قد جاءوا إلى الحكم عن طريق الإنقلابات الدامية والقتل ، ويُركِّز في هذا الفصل على سوريا كنموذج لِما يقول ، وأيضاً إلى الإنقلابات في العراق ومصر ، كما أشارَ إلى مقتل الملك فيصل دون أن يُعطي تفاصيل ، ويقول حول هذا المعنى نَصاً :

" أما بالنسبة للرعب أو الإرهاب فالعرب أبطال هذا المجـال ، ولو صنّفناهم لوجـدناهم إمـا قـتلة أو مزعزعين ، وخير دليل على ذلك الإنقلابات التي

تحدث في العالم العربي ... وأيضاً خطفهم للطائرات وقتلهم للفريق الإسرائيلي في ميونخ عام ١٩٧٢ وقتلهم روبرت كنيدي .... ولم يقتنوا عند هذا الحد بل تمادوا أكثر عندما أعلنوا في عام ١٩٧٣ حرباً ضد كل شخص في الغرب واليابان ، وذلك عندما أعلنوا حرب البترول ، وبذلك تدخلوا في حياة كل فرد من أفراد العالم المتحضر »(١) .

وفي موضع آخر يقول الكاتب بأن القانون الإسلامي :

« لا يعترف بإمكانية التعايش السلمي بين الجماعات الأخرى أو الملحدين أو غير المسلمين »(٢) .

وكما ربط الكاتب بين الإسلام والسلوك السياسي المعاصر للعرب ، ربط أيضاً بين مقومات الشخصية العربية - كما وصفها - وبين السياسة العربية ، إذ يقول أن العرب ليسوا أهلاً لثقة أحد ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١ .



فقد حكمَهُم الإنجليز والفرنسيين ، وخلال هذه الفترة أصبحوا بلا مواهب .. عدا موهبة الخداع ، ويؤكد بنفسه أن العديد من وسائل الإعلام الغربية ترصد جهوداً مكثَّفة لإبراز صورتهم للعالَم بهذا الشكل فيقول :

" إن العرب بارعين فقط في جميع أنواع الحيل القذرة ، وقد بيَّن صانعوا الأفلام قساوة العرب وجلافتهم في فيلم (أغنية الصحراء) ليس هذا فقط بل مئات الأفلام المنتشرة هنا وهناك تُبيِّن أن العرب لا يتعاملون إلا بالأسرار ، والسلاح ، والمخدِّرات ، والنساء ، وقتل أي إنسان يقف في طريقهم "(1) .

وهنا نجد إعترافاً من كاتب غربي بما تقوم به السينما الغربية من تشويه لصورة العرب – مما سنأتي على ذِكره فيما بعد(*) .

ويقول المؤلِّف أيضاً عن أساليب العرب في الخداع :

---

(1) كتاب العقل العربي ، ص ٢٠ .

(*) للمزيد من المعلومات عن دور السينما الغربية في تشويه صورة العرب ، راجع أحمد رأفت بهجت : الشخصية العربية في السينما العالمية .

« إن السياسيين العرب يستعملون القضية الفلسطينية فقط عندما يجدون في ذلك خدمة لمصالحهم ، وهم يعالجون بها مشاكلهم الداخلية »(١) .

ويقول أن العرب يعلمون تماماً ما آل إليه حالهم ، ويحاولون مسح بعض الخزي عنهم بكل الوسائل ، وفي مقدمتها الوسائل الإقتصادية ، التي يملكونها الآن ، وحول هذا المعنى يقول نصاً :

« ولأول مرة يشعر العرب من المحيط إلى الخليج أنهم أجبروا الغرب على أن ينحني على ركبتيه ، بفضل العوامل الإقتصادية ، فعندما أعلنوا الحرب البترولية أصبح الغرب مستعداً لأن يدفع السعر الذي يطلبه العرب ، وبهذا مسح العرب بعضاً من الخزي والذل الذي يلفهم منذ عدة قرون »(٢) .

ويحاول الكتاب بكل الوسائل تشويه الشخصية العربية

---

(١) كتاب العقل العربي ، ص ٢٠ .

(٢) كتاب العقل العربي ، ص ٢١ .



المسلمة ، في نظر العالم المتحضر ، فيصم العرب - كما سبقت الإشارة - بأنهم قوم يهتمون كثيراً بالجنس ، بعد أن وصمهم بالعنف ، متناسياً أن الجنس الإباحي والعنف هما أبرز سمات العالم الغربي ، الذي يعتبره المؤلف عالماً متحضراً عن العرب ، ويرجع إلى التاريخ الإسلامي ليؤكد إدعاءه ، فيورد مغالطة تاريخية خدمة لأغراضه وهي أن النبي (صلعم) :

« طلّق زوجة إبنه بالتبني وتزوجها فوراً في الحال »(1) .

ثم يتناقض مع قوله بحب العرب للمرأة ، فينكر الكثير عن مكانة المرأة الوضيعة والمحتقَرَة عند العرب ؛ ليُجسِّد مدى تخلّفهم ، ونظرتهم الرجعية ، بل ويُبالغ فيقول نصّاً :

« إن العربي محروماً من الجنس ، وواقعاً تحت ضغط مجتمعه ؛ لذا فإنه أصبح يُشكّل خطراً على نساء أي مجتمع آخر ؛ ولذا نرى أن الكثيرات من الفتيات الغربيات اللواتي يعملن في فروع شركات في البلاد العربية قد أُغتصبن.

(1) كتاب العقل العربي ، ص ٤٢ .

"كما أنه يستحيل على المرأة أن تسير في الشارع ليلاً دون أن يكلفها ذلك ثمناً غالياً"[1] .

ويُضيف أيضاً :

" وإذا تكلّم العربي وفي خلال حديثه تطرّق إلى ذِكر المرأة فإن عليه أن يعتذر للذين يستمعون إليه ، وكأنه قد ذكَر إسم حيوان وضيع دنس "[2] .

ثم يقول في موضع آخر :

" وعندما يختلي العربي مع امرأة ، فأول ما يُفكّر فيه هو ممارسة الجنس معها ؛ لذا فإن العرب الذين يذهبون إلى الخارج يُفكّرون في الجنس أكثر من تفكيرهم في الدراسة أو العمل "[3] .

وإذا كان هذا حال الكُتب التي تحوي دراسات جادة ، وتُوجِّه

(١) المرجع السابق ، ص ٩٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

إلى الصفوة المثقفة ، وإلى صنّاع القرار في الغرب ، متجاهلة لقدرتهم على النقد والتقويم والتحليل !! فما بالنا بالكُتب الموجَّهَة إلى جمهور الأطفال ؟!

أدب الأطفال :

لم يكتفِ الغربيون بالإساءة للعرب في القَصص البوليسي المَوجَّه للشباب ، وفي أدب الرحلات الذي يقرأه بعد المثقفون كما يقرؤه العامة .. بل إتجهوا لإستغلال قَصص الأطفال لتسميم الأذهان الصافية ، وشحنها ضد العرب .. مما يصعب محوه بعد ذلك بسهولة .

وخطورة هذا النوع من التشويه أيضاً تكمُن في إمكانية تداوله بين أطفال الغرب ، وأطفال العرب ، حيث إنتشرَ الإلمام باللغات الأجنبية بين أطفالنا .. ولا يخفى ما لذلك من خطر على فكر النشء ، إذ يتغذى من البداية بمبادىء هدَّامة ، تشوّه عقيدتنا الإسلامية ، ومبادئنا السمحة ، وتُعرقِل خطواتنا نحو بناء جيل جديد قوي الإيمان ، ذلك ما تضمّه كُتب الأطفال ، والمجلات المُصوَّرَة الأجنبية من أفكار هدَّامَة وصور مُشوَّهَة ، تصل إلى الأذهان الغضة فتؤثِّر فيها وتدمغها بصبغتها .. لذا عمدَ الغربيون إلى التسلل من خلال أدب الأطفال الغربي إلى بغيتهم ؛ بهدف نشر أفكارهم في أرض خصبة هي عقول الصغار القابلة للتأثُّر بسهولة ، والتي يمكن



ملؤها بما لا يمكن محوه مهما تقدّمَ العُمر .

ومن هنا كانت خطورة المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال ، والتي يجب أن نوليها إهتمامنا فنحجبها عن صغارنا ، ونحاول التصدّي للرد على ما فيها من إفتراءات ؛ تحسُّباً من خطرها .

وفي مقدمة هذه النوعية من الكُتب .. الموسوعات والمعاجم الخاصة بالأطفال ، والكُتب الدراسية التي تُدرَّس في المدارس الأجنبية المنتشرة في عالمَنا العربي ، وقصص المغامَرات والمجلات المصوَّرة ، والملوَّنة ، والأفلام الكرتون لِما لها من جاذبية خاصة .

وتحديداً للأمر نُعرِّف فيما يلي من صفحات ببعض من محتويات مثل هذه المواد الإعلامية ، إبرازاً لأوجه الخطر الكامنة بين سطورها على أطفالنا المتلقين للثقافات الغربية ، وعلى الأطفال الغربيين الذين تُرضِعهم هذه الرسائل الإعلامية سموم الكراهية للعرب وإحتقارهم ، وتشويه صورتهم . ذلك أن الغربيين يعمَدون إلى التسلل من خلال أدب الأطفال إلى تحقيق الغزو الفكري ، ونشر قيم وإتجاهات مرفوضة في مجتمعنا العربي ، في محاولة لخَلق جيل غير مكترث بقيَمه ، إن لم نقُل رافضاً لها ، غير مؤمن بها .

ويدعِّم هذا الغزو الفكري أنه يأتي في قالب من المتعة ، والتشويق ، والتسلية ، بأساليب مُنوَّعَة ، تعتمد على الجَذب عن طريق الطباعة الأنيقة ، والورق المصقول ، والألوان البرَّاقة ، والصور،

والرسوم ، والرموز الموحية والجذّابة .

وتكمن خطورة التسلل الغربي من خلال أدب الأطفال إلى خصوصية هذا المجال ، ذلك أن الطفل في مراحل العُمر المُبكِّرة يُصدِّق ويؤمن بكل ما يقرأ ، ولا يملك القدرة على التفكير التجريدي ، الذي يحقق له التمييز بين الخطأ والصواب ، مما يؤثّر تأثيراً سلبياً في تكوينه الضميري والفكري ، وتنمية خُلقه وبالتالي سلوكه .... ناهيك عما ينتابه من مشاعر الإغتراب والضياع ؛ نتيجةً لما يقرأه بعيداً عن واقعه المُعاش .. محيّراً إياه ما بين الواقع المحلي وما يقرأه .

ومن المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال باللغتين الإنجليزية والفرنسية والتي من شأنها التأثير على أفكار النشء ، والتي تحظى باهتمام المترجمين ، فتتحول دون تدقيق في محتواها إلى نصوص عربية يطلع عليها كل الأطفال :

- الموسوعات والمعاجم المصوَّرة .
- الكُتب الدراسية .
- القصص .
- المجلات .
- الصور والبطاقات .
- أفلام الكارتون .

ويكثُر تداولها بين الأطفال من خلال المكتبات والمدارس



الأجنبية . وتبرُز خطورة هذه المواد على إختلافها في أنها أكثر من جذّابَة بالنسبة لجمهور الأطفال ؛ نظراً لصدورها في طبعات أنيقة ملوّنة ومصوّرَة ، ولا يخفى ما لهذا العنصر من أهمية بالنسبة للأطفال ، كما تَبرُز خطورة هذه المواد أيضاً - رغم أن غالبيتها باللغة الإنجليزية - نظراً لانتشار هذه اللغة وإجادتها في المجتمعات العربية ، ولاعتماد هذه المواد أحياناً على الصورة أكثر من الكلمة ، مما يمنحها رواجاً أكبر ، حتى بين من لا يجيدون لغة أجنبية .

أما عن أهم الإتجاهات السائدة في مثل هذه المواد جميعاً فهي :

- التبشير .
- الإساءة للإسلام وتشويه التاريخ الإسلامي .
- تشويه صورة العرب في أذهان النشء .
- الترويج للمعتقدات والمزاعم الصهيونية .
- شرح لممارسات إباحية أحياناً .

وتَبرُز أهمية التصدّي لهذه الإتجاهات والأفكار ، من إنتشارها بين جيل بِكر ، يمكن كسبه إلى جانب القضايا العربية والإسلامية ، حتى وإن لم يكن من العرب والمسلمين ... بل من الوافدين إلى البلاد العربية من الأجانب ، الذين يُفترَض أن نقوم تجاههم بواجب التوعية السليمة ، وخلق رأي عام فيما بينهم مؤيّداً



العرب وقضاياهم .... وتعريفهم بالإسلام وقيَمه ، كنواة لخَلق رأي عام مؤيِّد في كل أنحاء العالَم .

فأما بالنسبة للتبشير فنجده مُتمثِّلاً في القصص ، والبطاقات المصوَّرَة ، وأفلام الفيديو ، والرسوم المتحركة التي تُمجِد القديسين ، وتتناول حياتهم .. وهذه المواد يكثر ورودها في مواسم الأعياد ، ويدعم هذا التوقيت وخطورته مواكبته لمظاهر الإحتفال المختلفة التي يلمسها جمهور الأطفال في المحال والمكتبات ، ويغتبطوا لها ، وينبهروا بها ، ذلك بالإضافة إلى القصص المصوَّرَة والمرسومة بالألوان ، والتي تزخر بها معظم المحلات ، ويُقبِلُ عليها الأطفال لسهولتها وتميُّزها بالحركة (الإسكريبت) .

ومن هذه الكُتب التبشيرية ما يصدُر باللغة العربية في أجزاء ، وعلى شكل كتيبات صغيرة ، وأخرى تصدُر باللغة الإنجليزية ، ومن الأخيرة حدِّث ولا حرَج ... ليس من حيث الكمية فحسب .. ولكن النوعية أيضاً ، فمنها الكُتب المُجسَّمَة "Pop-Up Books" التي تقدِّم للأطفال فنّاً جذّاباً كقالب للأفكار المطروحة من خلال القِصص الدينية ، ومِثل هذه الكُتب تُشكِّل خطراً حقيقياً على الإتجاه الديني للطفل المسلم ، إذا سُمح بعرضها وتداولها بشكل عام وتجاري ، بل مكمن الخطر أنها تُوزَّع أحياناً بالمجان على الأطفال . ومن هذه الكُتب نذكر سلسلة « قبس من نور »



التي تحكي إحداها قصة طويلة تدور أحداثها في المغرب ... وتتضمن أفكاراً تبشيرية ، بل وتتجاوز القصة التبشير إلى المقارنة فيرد فيها :

« ويرى أطفالاً في حُجيرة ينشدون بعض الأهازيج العجيبة ، التي هي أكثر إشراقاً من كل ما كُتب في القرآن »[1] .

وتتضمن القصة من خلال السرد شرحاً للديانة المسيحية ، بكل وسائل التبسيط والتقريب من الأذهان ، إلى جانب محاولة الكاتب إظهار غلظة قلب الرجل المسلم ولين جانب المسيحي .. كما يُشار إلى النبي محمد (صلعم) بإسمه المجرد دون تمجيد .... ولا يخفى ما لذلك من أثر في نفوس النشء ؛ حيث يتأثر الصغار بما يحاط بالمسميات والأشخاص من هالات تبجيل وتعظيم .. وبالأسلوب ، دون قدرة على التمييز بين الحق والباطل .

هذا ونجد أن الكُتب الدينية الغربية تتضمن غالباً إيراد معلومات تتنافى والعقيدة الإسلامية ، ومغالطات مرفوضة إسلامياً ، إلى جانب بث قيم وسلوك يتنافى وأخلاق المسلم ، إذ تضم الكثير من المعلومات التي تتنافى مع ما ورد في القرآن ، كالقول بأن سيدنا

(1) Partricia M. ST. John, Star of Light.



نوحاً صحبَ كل أبنائه معه على السفينة ، وذلك يتنافى وما وَرَدَ في القرآن .... وأن سيدنا يوسف(*) كان يَنِم ويفتن لأبيه على إخوته ، ويُعرِّفه بما يفعلون ... وذلك مع بعض التفاصيل الأخرى في قصة يوسف تتناقض وما أتى في القصة القرآنية ، وما إلى ذلك من تناقضات مع العقيدة الإسلامية . كما أن لها تأثيراً على النشء لإعتمادها على الخوارق والخيال ، الذي يُرحِّب به الأطفال ويقتنعون به ، وإن صحَّ التعبير يميلون إلى تصديقه والتمادي في التخيُّل معه أكثر من التفكير السليم والمنطقي .

هذا وتعمد الكُتب التبشيرية والأفلام(**) أيضاً إلى إستغلال سذاجة الأطفال وفطرتهم ؛ لتوجيههم إلى الديانة المسيحية ليس مباشرة فقط .. ولكن من خلال الإيهام بأن هذه الديانة تأتي بالخير لمعتنقيها ، وذلك من خلال قصص تحكي عن البدايات الأولى لدخول المسيحية في المجتمعات البدائية ، وكيف نهضَت بها صحياً وإجتماعياً ، وكنموذج لذلك سلسلة الكُتب المُسماة « حقيبة طبيب الغابة » أو "Jungle Doctor's Case Book" تأليف « بول هوايت » . وقد نجحَت هذه الكُتب أيّما نجاح في أفريقيا السوداء ؛ لذا لا يجب التهوين من خطرها على أطفال المسلمين في بقاع أخرى من العالم .

(١) راجع قصة يوسف "Lucy Diamond, "The Story of Joseph.

(٢) كمثال فيلم الفيديو "....Robin and Seven Hood" .

كما تتسلل الأفكار التبشيرية إلى أذهان الصغار من خلال المناداة بالقيَم الجَمالية المطلَقة كالخير والمحبة والتسامح والتعاون إلى أبعد الحدود ، وهي قيَم ندعوا أبناءنا إلى التحلي بها بمفهوم مختلف ، فتأتي هذه الكُتب لتُعطي للطفل صورة أكثر مثالية تجعله يميل إلى هذا الدين الذي يُمجِد هذه القيَم ويُنادي بها .

وتبسيط المعاني وشرحها بهذا الأسلوب المُقنِع له أثره لاشك على تفكير الناشئة ، وخاصة إذا ما أُضيف إلى ذلك الربط والمقارنة بين المبادىء المسيحية ومبادىء غيرها من الأديان ، بشكل يرفع من شأن المسيحية ويحط من قدر الديانات الأخرى ... خاصة الإسلام ، كما تردُ فيها أيضاً الدعاية للحق الصهيوني من خلال التبشير وعرض قصص العهد القديم .

ويرتبط بالتبشير غالباً الإساءة للإسلام مباشرة ، أو بأسلوب غير مباشر ، وذلك لا يرد فقط في الكُتب والأفلام الدينية ذات الهدف التبشيري الواضح وحسب .. ولكن في الكُتب الدراسية والموسوعات ، وكمثال لذلك الكتاب الدراسي الذي كان مقرراً تدريسه في المدرسة الأمريكية بإحدى الدول العربية ، المُسمى « رحلة الإنسان الناقصة » أو "Man's Unfinished Journey" الذي يُعتبَر موسوعة تاريخية تتناول تاريخ الإنسان منذ ثلاثين قرناً أو أكثر ، من حيث الحضارة والديانة ، والسياسة وشتى مناحي الحياة ...



وفيه يتناول المؤلف الدين الإسلامي ككل ، وبإيجاز مُخل ، يُسيء إلى الإسلام في أكثر من موضع ، ويشير إلى أن الإسلام قد سمحَ للرجُل بالزواج من أربع ، وسهَّلَ له الطلاق ، في حين منعه عن المرأة ، كما أباحَ للرُجل ضرب المرأة(*) .... وقد جاءت العبارة فيه مبتورة ، بما يوحي بأن هذه فقط هي تعاليم الإسلام ، وبما يعني التشهير به ، خاصة وأن الكِتاب موجَّه إلى النشء ممَن لا يستطيعون التمييز بين الواقع والمُبالَغة أو تقويم أسباب الإباحة والمنع في التشريعات الإسلامية .

كما يُشير الكِتاب نفسه في موضع آخر إلى أنه كان ضمن أسباب الفتوحات الإسلامية الرغبة في « *الهروب من الصحراء القاحلة بحثاً عن أماكن أفضَل* »[1] ، ولا يخفى ما في ذلك من تسطيح مُخِل للأمور .

هذا ويقول الكِتاب بأن الرِق في الإسلام أمر شائع وعادي ، وإن نُهِيَ عن إستعباد المسلمين وأُبيح إستعباد الأجانب ، حتى وصلَ الأمر إلى درجة الكراهية ، ويقول أن الرسول كان يرى في ذلك أمراً طبيعياً ، ولم يحاول القضاء عليه .... وأن تُجَّار الرَقيق المسلمين قد كَوَّنوا ثروات طائلة من هذا العمل ، كما أن العبيد ليس لهُم حَق

(*) ص ١١٧ من الكِتاب .

(١) ص ١١٨ من الكِتاب .

كَوّنوا ثروات طائلة من هذا العمل ، كما أن العبيد ليس لهُم حَق التملُك وليس لهم أي حقوق(*) .

ومن أمثال هذا النموذج كتاب دراسي بإسم « حضارات وشعوب » أو "People & Cultures" ، يضم إساءة للإسلام ونبيِّه ، إذ يقول المؤلف :

« ان محمداً علَّمَ أتباعه كيف يعيشون طبقاً لمتطلبات تعاليمه التي كان يعتقد أنه تلقاها من الله .. وقد دُوِّنَت هذه التعاليم بعد موت محمد في كتاب يُدعى القرآن .... »(١) .

« ويُقال أن محمداً تلقى القرآن خلال شهر رمضان .... »(٢) .

« والله كلمة عربية تعني الرب . وهي أيضاً إسم إله كان يُقال بأنه كان يحمي قبيلة محمد .... » .

« وقد أُعجِبَ رجال القبائل بفكرة أن الله

(*) كتاب رحلة الإنسان الناقصة ، راجع ص ١٢٢ .

(١) كتاب شعوب وحضارات ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس الكتاب ، ص ١٦٩ .

كلمهم بلغتهم، ذلك أن القرآن مكتوب باللغة العربية، كما أحبوا فكرة أن الله إختارهم لينشروا الإيمان .... »(١) .

ولا يخفى ما في ذلك من إيهام بان القرآن من وضع سيدنا محمد (صلعم) ، وأنه ليس دين إلهي ، وبالطبع لا يكتفي الكتاب بذلك .. بل يتناول سلوك المسلمين العرب بالإساءة ويُشهِّر بهم كقوم يحتالون حتى على الله ، وكقوم سُذَّج في معتقداتهم .

هذا ويشير هذا الكتاب « شعوب وحضارات » إلى الفتوحات الإسلامية فيقول :

« وعندما إستولى المسلمون على أراضي المسيحيين في آسيا إنتاب الأوروبيون قلقاً شديداً، وإستولى العرب عام ٦٠٠ م على القدس تلك المدينة المُقَدَّسَة لدى كل من المسيحيين واليهود والمسلمين »(٢) .

وعن وضع المرأة المسلمة وحقوقها يقول الكتاب نفسه :

(١) كتاب شعوب وحضارات ، ص ١٧٢ .
(٢) نفس الكتاب ، ص ١٨٦ .

" إن المرأة تتمتع بقليل من الحقوق في الشريعة الإسلامية "(١) .

" ومعظم الدول العربية قد أعطت المرأة حقوقاً قانونية أكثر من تلك التي حصلت عليها في الإسلام "(٢) .

ذلك إضافة إلى أن الكتاب يضم مجموعة من الأسئلة - بوصفه كتاباً دراسياً - مُصاغة بأسلوب إستفزازي لمشاعر المسلمين ، وموحية بإجابات تُسيء إليهم .. وكأمثلة على ذلك :

" هل بإمكان شخص ما أن يؤمن بإله واحد ، وأن يؤمن بالأرواح والشياطين ؟ "(٣) .

وكنموذج آخر للأسئلة عن العرب وردَ سؤال يقول :

" ما هي القيَم التي تُشارك فيها سُكّان الخيمة السوداء ؟ (البدو) وأي منها تجد صعوبة في فهمه ؟ وأي منها تجد صعوبة في قبوله ؟ ولماذا ؟ "(٤) .

(١) ، (٢) كتاب شعوب وحضارات ، ص ١٩٨ ، ١٩٩ على التوالي .
(٣) نفس الكتاب ، ص ١٧٥ .
(٤) نفس الكتاب ، ص ١٥٨ .

وغير خفي ما تتضمنه هذه الأسئلة من إيحاء بإجابات مُعيَّنة ، خاصة وأنها موجَّهَة إلى جمهور غير واع بأساليب التلوين في إيراد المعلومات ، وتغليفها بشكل موحي .

هذا ونجد أن الموسوعات ودوائر المعارف الخاصة بالأطفال تُسيء أحياناً إلى الإسلام عن جهل ، أو عدم تدبُّر لما يُقال ... ففي موسوعة الأطفال المُسماة « تشارلز برونز سيكلوبيديا » التي تُدرَّس للأطفال في بعض دور الحضانة في جمهورية مصر العربية .. وترد بكثرة في الفترات التي يُقام فيها معرض كُتب الأطفال السنوي .. ويُقبل على إقتنائها الكثيرون ، دون وعي بما تضمُّه صفحاتها من مغالطات جاهلة عن الإسلام والعرب ... فعلى سبيل المثال وردَ في أحد مجلداتها الخاص بالأعياد أو المناسَبات ، معلومات عن الأعياد الدينية لكل الديانات وكل الشعوب .. كلها معلومات مُوثَّقة بصور جميلة وجذَّابة .. فيما عدا ما وردَ عن المسلمين في رمضان وكيف يحتفلون بنهاية رمضان .. إذ جاء الحديث مُصاحِباً لصورة كبيرة لجماعة من المسلمين الفقراء الأفارقة يُصلُّون فوق الرمال ، وإلى جوارهم أحذيتهم ودراجاتهم ، بعكس صور الكنائس المنشورة في هذا المُجلَّد ، ومما وردَ من وصف تحت هذه الصورة :

" المسلمون يصومون خلال رمضان من شروق الشمس إلى غروبها وهُم لا يصومون فقط عن



الأكل وإنما تقريباً لا يعملون شيئاً .. وكل الأعمال تتوقف في البلاد الإسلامية ، إذ يقضي الأفراد كل الوقت في الراحة .. ولكن حينما يأتي المساء يستيقظون ليجتمعوا بالأصدقاء والعائلة ، ويتناولون وجبة كبيرة ومتعة كبيرة .. »[1] .

هذا وتُعمِّم هذه الموسوعة ما إطلعَ عليه كاتبها في بلد إسلامي واحد ؛ ليُطلقهُ على كل البلاد الإسلامية .. من حيث عادات الإحتفال بعيد الفطر .. والحَق يُقال أن ما وردَ في هذه الموسوعة – يدلُ على جهل بعاداتنا وبأعيادنا .. ناتج عن قصور في المعلومات – نحن كمسلمون وكعرب مسئولون عنه – حيث لا نتابع ما يُكتَب عنّا ، ولا نحاول تصحيحه .. رغم خطورته ، نظراً لأن الناس في الغرب يؤمنون إيماناً راسخاً بكل ما يَرِد في الموسوعات ودوائر المعارف ، بوصفها مراجع مدققة لا تُورِد إلا معلومات صحيحة .. وهنا مكمن الخطر .. فماذا فعلنا حيال ذلك ؛ لتغيير صورتنا ، وإحقاق الحَق !!؟

أما عن الإساءة للعرب ، وبالمقابل تمجيد الصهيونية ،

---

(1) Charlis Brown's Cyclopedia, Vol. 12, p. 534, Junk & Wagnalls Inc.

وتكريس الحق اليهودي في الأرض العربية ، فنجده أيضاً في الكُتب الدراسية والموسوعات المُصوَّرة الخاصة بالأطفال . والتي تُعرِّف بإسرائيل وعلَمها وشعارها وخريطتها .. وتذكُر معلومات مغلوطة ، من شأنها تكريس حق اليهود في أرض فلسطين ، وكنموذج لذلك الموسوعة المُسماة "Black Children Encyclopedia" والتي جاء فيها :

" إن إسرائيل منذ إستقلالها عام ١٩٤٨ ، وهي تعاني من عداء العرب لها ، وعاصمة إسرائيل هي القدس "(١) .

" والقدس كانت مُقسَّمة حتى عام ١٩٦٧ ، لكن إسرائيل سيطرت عليها كاملة وأصبحت عاصمة لها "(٢) .

" وقد كان اليهود شعباً مُضطهَداً منذ العصور القديمة ، وكثيراً من علماء العالم من اليهود .... ولليهود الآن دولة خاصة بهم تُسمى

(١) موسوعة الأطفال ، ص ٣٦١ .
(٢) نفس الموسوعة ، ص ٣٦٨ .



إسرائيل »(١) .

كذلك نجدُ أطلس الأطفال المصوَّر والمسمى : "The Children's Picture Atlas" يكرِّس المفاهيم نفسها لدى الأطفال ، إذ تَرِد فيه صورة لامرأة إسرائيلية وسط حقل قطن وكُتب تعليقاً عليها :

« إن شعب إسرائيل بكفاح وكدح عظيم قد حوَّل الصحراء القاحلة إلى جنّات (حقول مُزهِرة مُغِلّة) »(٢) .

وبالطبع يُشير الأطلس إلى أن القدس هي عاصمة إسرائيل .

أما الكتاب المدرسي المُسمى « رحلة الإنسان الناقصة أو "Man's Unfinished Journey..." فقد جاء فيه عن الفلسطينيين :

« ان الفلسطينيين قد خلقوا المشاكل والأخطار في الأردن وسوريا ولبنان ، حيث أثَّر وجود عَدد كبير من الفلسطينيين في الأردن على

(١) موسوعة الأطفال ، ص ٣٧١ .
(٢) أطلس الأطفال المُصوَّر ، ص ١٣٩ .



مركز الملك حسين ؛ مما دفعه لتصفيتهم وإخراجهم من بلده ، وبالنسبة لسوريا فقد فقدت بسببهم جزءاً من أرضها ، وكذلك لبنان الذي وقع فريسة الصراع بين المسلمين والمسيحيين بسبب الشعب الفلسطيني ؛ مما دفع الجيش السوري للوقوف مع المسيحيين ضد الفلسطينيين »[1] .

وعن الحق اليهودي في أرض فلسطين جاء في الكتاب نفسه :

« إن اليهود سكنوا فلسطين منذ القدم ، واتخذوا القدس عاصمة لهم ، وكان إبعادهم عن فلسطين فيما بعد سبباً في تآلف قلوبهم وازدياد طموحهم في العودة إلى فلسطين ، والعمل على ذلك »[2] .

« إنهم شعب عظيم أخرج للعالم أعظم

(1) كتاب رحلة الإنسان الناقصة ، ص ٧٩٠ .

(2) نفس الكتاب ، ص ٧٩٦ .

منكريه أمثال ماركس وفرويد واينشتاين ، وقد أخذوا من الحضارة الأوروبية الحديثة جزءاً كبيراً ، مما يُثبت قدرتهم على التكيُّف والحياة في بيئة مُعادية لهم »[1] .

ولا يخفى ما في ذلك من مفاهيم مقلوبة تُلقَّن للأطفال فتترسَّخ في نفوسهم ، وتدفعهم إلى الإعتقاد بأن اليهود أصحاب حَق ، وأنهم شعب عظيم ، ناهيك عما تناوله نفس الكِتاب من وصف لظروف اليهود أيام النازية ، وما لاَقوه من عذاب ، وإيراده لجزء من صلوات اليهود تقول :

« إنفخ البوق إيذاناً بحريّتنا ... واجمع اليهود المُشتّتين من أرجاء الأرض الأربعة ، واذهب بهم إلى فلسطين القدس ... دعنا نعود إليها ونُعيد بناءها اليوم وإلى الأبد »[2] .

وعدا عن ذلك ، يتناول الكِتاب الأحداث المُعاصِرَة بوجهة نظر مغلوطة ، تقول بأنه من نتائج الصراع العربي الإسرائيلي في عام

---

(١) كِتاب رحلة الإنسان الناقصة ، ص ٧٩٦ .

(٢) نفس المرجع السابق .

١٩٤٨ لم تقم أي دولة فلسطينية ، ولم تُوثّق معاهدات سلام .. بل ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، متجاهلاً إتفاقيات التقسيم ، والمعاهدات المختلفة منذ ذلك التاريخ وحتى وُضِع هذا الكِتاب .. كما يتحدث عن نظرية التفوّق الإسرائيلي ، وانتصارها الساحق في حرب ١٩٦٧ الذي أدى إلى ظهور المنظمات الفلسطينية " التي إتخذت من التخريب وخطف الطائرات طابعاً لها " .

ويقارِن الكِتاب نفسه بين العرب وإسرائيل ، فيتطرّق إلى ما أسماه " مشاكل العالم العربي كإنتشار الفقر والجهل والمرض، وعدم الإستقرار السياسي ، والتضخم السكاني " ويقول أنه :

> بالرغم من أن إسرائيل تعاني من عداء العرب المحيطين بها ، والخوف من جيرانها .. إلا أنها إستطاعت أن تتقدّم في كافة المجالات الأخرى ، وتتفوق عليهم ، بالرغم من إنفاقها العسكري الضخم ؛ وذلك بسبب هجرة اليهود من كافة أنحاء العالَم الذين يتمتعون بقدر كبير من العلم والتكنولوجيا الحديثة(*) .

ويرِد في الكِتاب الكثير من الإساءات إلى العرب فيما يتعلّق بحياتهم وتقاليدهم ، فمثلاً يضُم الكِتاب صورة لرجُل وعائلته وصورة

(*) كِتاب رحلة الإنسان الناقصة ، ص ص ٨٠٢ : ٨٠٥ .



لبئر بترول وقد أتى تعليقاً عليهما أنه :

" بالرغم من أن الرجل العربي يعمل في البترول إلا أنه يعود للعيش في خيمة نائية مع أسرته . وبينما يرسل أبناءه للمدرسة ، مازالت ربة البيت ترتدي الحجاب السميك التقليدي "(١) .

وعلى نفس المنوال نجد كتاباً آخر مدرسياً - سلف ذكره - يتحدث عن « الشعوب والحضارات » "People & Cultures" فيتناول حياة البدو ، ويستشهد بأسوأ الصور التي تُسيء إليهم ، كما يقول في مواضع مختلفة عن المرأة وعن البدو - الذين أسماهم « سكان الخيمة السوداء » :

" من وجهة نظرنا فإن المرأة البدوية ليست أكثر من عبد لا يتمتع بأي حقوق "(٢) .

" إن الكثيرين من سكان الخيمة السوداء منهمكون بالبقاء على قيد الحياة مما لا يسمح لهم بالتفكير كثيراً في الحياة بعد الموت ....

(١) كتاب رحلة الإنسان الناقصة ، ص ٧٩٠ .
(٢) كتاب شعوب وحضارات ، ص ١٥٢ .



وتعتقد إحدى القبائل البدوية أن الجنة تقع تحت سطح الأرض ، وأن القبيلة تعيش هنالك ككل ، وأن أعضائها لا يشيخون أبداً ، وأن كل رجل يعيش في خيمة كبيرة ، ويمتلك قطيعاً كبيراً ، وينجب الكثير من الأولاد .... إلخ »[1] .

وبالطبع يُدلّل الكِتاب - عن جهل بمعتقدات العرب المسلمين أو عن عمد - على سذاجة العرب واعتقادهم في أباطيل .

وعدا عن الكُتب الدراسية - سالفة الذكر - نجد أيضاً أن الكُتب التبشيرية تعمد أحياناً إلى الدعاية لشعب إسرائيل ، من خلال نشر بعض القصائد والأدعية التي تتغنى بالقدس ، وتتنبأ بأن شعب إسرائيل لابد عائد إلى أرضه « فلسطين التي طُرِدَ منها » ، إلى غير ذلك من مفاهيم .

كذلك الحال بالنسبة لبعض مجلات الأطفال ، مثل مجلة "MN-Conny" التي تنشر قصصاً كاريكاتورية تُظهر فيها العرب بصورة وحشية غير إنسانية ؛ وذلك بالطبع يُحدث أثراً سلبياً لدى الأطفال تجاه العرب .

(١) كِتاب شعوب وحضارات ، ص ١٧٥ .



وحتى كُتب الصلوات أو التي تُعَرِّف بالديانات ، تُكرِّس أيضاً حَق اليهود في أرض العرب ، وكنموذج لذلك الكتاب المُسمى : "The Golden Treasury of Prayers for Boys and Girls" الذي يُورِد الصلوات اليهودية التي تُكرِّس هذا الحَق ، كما ونجد أن أفلام الرسوم المتحركة تورِد بإلحاح رموزاً يهودية ، وكمثال فيلم الفيديو مصباح علاء الدين "Alaa El-Din's Lamp" وغيره من أفلام الكرتون التي تورِد شخصيات خارقة يُرمَز لها غالباً برموز يهودية ، في حين ترِد صورة العرب مشوَّهَة في هذه الأفلام . فلا يُصوِّر العربي إلا بدوي ساذج ، يجُرُّ جَمَلَه ، ويحمل خنجره ، وهو رث الثياب ، متلصص النظرات !!!

هذا وتعمد بعض المجلات أحياناً إلى الإساءة بشكل مباشر ، كما وردَ في المجلة الفرنسية « تان تان » المُسماة "Les Advintures de Tintin" التي نشرَت مغامرة لبطلها في « بلاد الذهب الأسود » ، تصفُ فيها العرب بأنهم " جهلة ، أُميّون ، سُذَّج ، جُبَناء ، ملاعين ، وكلاب " إلى آخر مثل هذه الإهانات المُتعمَّدَة والمباشرة .

وهذه المجموعة القصصية المُسلسلة « تان تان» "Tin Tin"

بالذات يغشاها الدس في ثنايا القصص المصوَّرَة الملوَّنة ، التي تُرصَد لها أعلى الإمكانيات الطباعية والفنية ، كأسلوب جذب ، فهي تُصوَّر في باريس ، وتُطبَع في بلجيكا ، وتكرَّس الجهود لتوزيعها على أوسع نطاق ، في شتى دول العالَم ، وسنشير هنا إلى قصة واحدة مما وردَ في هذه المجموعة ، وهي مُغامَرَة للفتى (تن تن) تجري حوادثها في الصحراء ، وبالتحديد في منطقة الخليج والجزيرة ، وعنوانها - كما سبقَت الإشارة - « تان تان في بلاد الذهب الأسود » .. وهي تحكي عن تهريب صفقة أسلحة إلى أحد الشيوخ ، ويُفاجيء البحارة بأنها مادة الكوكايين ، ويتم اكتشاف شخص أجنبي مُتخفي لوضع متفجرات في بترول محركات السيارات ، وإذكاء حرب في المنطقة .... وهذه القصة مليئة بالعبارات التهكمية على العرب - خاصة عرب الخليج والبادية .

وهي ليست عبارات سخرية وحسب بل ألفاظ بذيئة ، وتصوير للعرب وكأنهم قوم جهلاء سُذَّج ، ولأبناء الشيوخ أو الأمراء بالذات بأنهم مُدلَّلين لا يتحملون أدنَى مسئولية ، ويطلبون كل شيء .. وهذا في حد ذاته يكمن خلفه خطورة التعميم .. الذي يُعتبَر من أخطر العوامل المُتعلِّقَة بالصورة الذهنية .. فما يُقال عن فئة يُعمَّمَ الذهن على الكل .

كذلك نجد مجلة أخرى(*) لها جانبية خاصة للأطفال ، لاشتراكهم في تلوينها وقراءة مغامَراتها الكرتونية ، نجدها تعج بالإساءة للعرب .. ونجد الموسوعة المُصوَّرة المُسماة "Disney's Wonderful World of Knowledge" التي تورد معلومات عن كل بلدان العالم تشير إلى صعوبة الحياة في إحدى الدول العربية ، فتقول :

« إذ لولا ظهور البترول بها لأصبحت الحياة بها مستحيلة »(٢) .

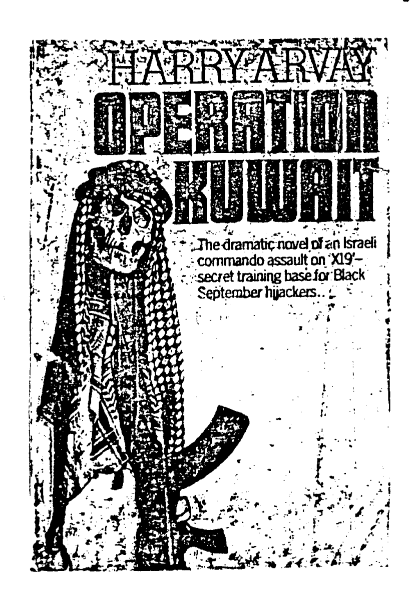
من كل ما سبقَ يتضح لنا كيف يحاول الغربيون من خلال أدب الأطفال نشر أفكاراً هدَّامة ، والتشكيك في الإسلام كدين .. وتشويه صورة الإنسان العربي ، والتبشير بديانات أخرى ، والترويج لمُعتَقَدات تتناقض ، وتخالف القناعات العربية ، خاصة فيما يتصل بقضيتنا الكبرى مع الصهيونية ... كل ذلك في إطار جذَّاب ، وبأسلوب يتفق وميول الأطفال ، ويؤثر فيهم أعظم تأثير .

ولعل ما إقتطفتهُ من المراجع سالفة الذكر يُمثِّل صدمة للمشاعر العربية ، لِمَن لا يقرأون لغات أخرى ، إذ لا يتصوَّر الفرد

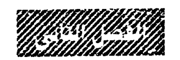
(*) Bugs Bunny Comic Album.

(٢) الموسوعة ، ص ٥٥ .

العربي العادي أن صورته مشوهة إلى هذه الدرجة ، وأن سُمعَته يلوكها الغرب على هذه الصورة ، لكننا هنا حرصنا على ذكر هذه النماذج المُفجِعَة لعلها تُحدِث لدينا صحوة ، وإنتباه لما يُقال عنّا ، حتى فيما يُقدَّم للأطفال ، لنشعر بحجم الهجمة الغربية الشرسة التي ترمي إلى تشويه الصورة العربية .. كخطوة على طريق تصحيحها .







الصورة العربية في الصحف العالمية

بعد إستعراض ملامح الصورة العربية في الكُتب الغربية بكل أنواعها .. نرى أنه من الواجب تحديد ملامح هذه الصورة في الصُحف ؛ للوقوف على مُحدِّداتها ؛ حتى يتسنى لنا ترسُّم الخطوات اللازمة للتصدي لِما يُكتَب عنّا كعرب في شكل حملات صحفية أحياناً .. وفي شكل أخبار متناثرة هنا وهناك من آن لآخر .. لكنها تصُب جميعاً في خط واحد ، هو التشهير بالعرب وتشويه صورتهم .

وفي محاولة لِفهم أبعاد الصورة .. وإنطلاقاً من الإهتمام بالتصدي للحملات الغربية بكل أساليبها ، ونظراً لأهمية الصحافة ، وأثرها المُلِح ، والمتكرر على الأذهان ، نستعرض في هذا الفصل نقاط النقد التي تهتم صحافة أربعة من الدول الغربية بإبرازها ؛ تشويهاً لصورة العرب أمام الرأي العام العالمي ؛ وذلك للوقوف على نقاط أو محاور الإلتقاء بين صحافة كل دولة وأخرى ، والفروق في الرؤية بين كل منها .. هذه الدول هي فرنسا ، وألمانيا ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نُلِم بأوجه الإتفاق والإختلاف بين كل منها ، وأكثر الأمور التي تهم كل دولة أكثر من غيرها فتُبرِزها في صحافتها .. وذلك لاشك له فائدة في تحقيق

أفضل الأساليب للرد على كل منها وفقاً لإهتماماته .

ثم نستتبع ذلك باستعراض لنماذج مما يُكتَب عنّا في صحافة بعض الدول الصديقة ؛ حتى نرى التوافق أو الاختلاف في ملامح صورتنا في صحف العدو والصديق .. وأخيراً نتابع ملامح الصورة كما ترسمها الصحف العربية المهاجرة خارج الوطن ؛ لنرى ما تقدمه من مادة ترسم صورة عربية شوهاء ، تستغلها صحف العالَم وتعتبرها شهادة شاهد من أهلها .. لنقول في النهاية : هذه هي صورتنا كما نرسمها نحن ، ونقدمها مادة سائغة لغيرنا ؛ ليضعوا لها ظلالاً ورتوشاً موحية ، ويقدموها في أسوأ صورها .





العرب في الصحافة الفرنسية

لاشك أن الصحافة من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً على الرأي العام بإلحاحها اليومي والأسبوعي .. وقوة إمكانياتها في التوزيع والإنتشار .. وأيضاً كثرة المنافذ التي يمكن أن تنفذ من خلالها إلى الهدف المرجو ، عن طريق تلوين الأخبار تارة ، والمقالات ، والصور والرسوم الكاريكاتورية تارة أخرى ، وشتى أساليب الصحافة المعروفة .

ذلك أن مَقالاً في صحيفة توزِّع آلاف الأعداد ، قد يكون له تأثيره الذي لا يقل عن مائة كتاب لا يُطالعها إلا الخاصة المُثقفَة ، ولا يتحقق لها الانتشار المرجو .. وقد لا يتوفر لها عنصر الجذب ، والأسلوب الخاطف المؤثر ، المُعتمِد على التكرار ، مع التنوع في الموضوع ذاته ، وفقاً للأحداث الجارية .. ومحاولات تغطيتها بشكل مُغرض يؤدي إلى أهداف مُحدَّدَة .

ولصحافة كل دولة أسلوبها في رسم الصورة المُنفرَة لشعب ما ، أو أمَّة من الأمم ؛ لخلق كراهية لهذه الأمَّة في النفوس ، وبالطبع هناك فروق - وإن كانت طفيفة - بين صحافة الدول الغربية في تناولها للعرب وتعريف الرأي العام الغربي بهم ، من خلال إستعراض أخبارهم وتناول الأحداث العربية بالتحليل ، وربطها بالماضي والتاريخ العربي ، والطبيعة العربية .

فإذا تناولنا الصحافة الفرنسية وكيف ترانا وترسم صورتنا .. آخذين بمبدأ التدرُّج ، فالصحافة الفرنسية والشعب الفرنسي – من خلال صحافته – لا يكِن كعداءً مقيتاً للعرب كشعب ، بوصف الفرنسيين قوماً ذوو حضارة وثقافة ، لا يتعصبون تعصباً أعمى تجاه الأشياء والأشخاص ، وإنما يأتي رفضهم وكرههم من منطلق تهديد مصالحهم ؛ لذلك نجد أن الصحافة الفرنسية قد خفَّت فيها حِدة الهجوم على العرب بوجه عام .. وإن ظلَّت الإساءة مُركَّزَة على عرب النفط ، من منطلَق إهتمام فرنسا بتوفير الطاقة ، وعلى ليبيا بسبب الشعور الغربي بأنها وراء الأعمال التي يصفونها عادة «بالإرهاب» .

ولمَّا كان التقارب الفرنسي العربي قد بدأ بشكل جدّي في السنوات الأخيرة على المستوى الرسمي ، فإن الصحافة الفرنسية قد إنعكس عليها هذا التقارب الرسمي بصورة أو بأخرى ، وعلى سبيل المثال بالنسبة لنظرة اليهود الفرنسيين إلى الإعتراف الفرنسي بحَق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، على أنه أسلوب تبادل مصالح تتبعه فرنسا ؛ من أجل توفير الطاقة بشكل منتظم ، وكثمن لهذا الإعتراف ، وقد حفلَت الصحف الفرنسية بتغطيات واسعة لزيارات الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان المتكرر لمنطقة الخليج والسعودية ومصر ، وتبادُل حُكام المنطقة العربية ومسئوليها الزيارات

معه ، ثم تبادُل الرئيس ميتران الزيارات مع مصر ، وإستقباله للرئيس اللبناني عدة مرات ، ثم تبادُل الزيارات بين الرؤساء العرب وخليفته جاك شيراك منذ توليه السُلطة ، وما ينتُج من هذه الزيارات من بيانات مشتركة ، وتصريحات متبادَلة ، تتضح بالتفاهم ، وتحقيق التعاون ، والتوازن بشأن المصالح المتبادَلة ، بين فرنسا وعرب النفط .. وعلاقتها بمصر ، ودورها في الحرب اللبنانية .

ورغم إنعكاس هذا التقارب على الصحف الفرنسية إلا أننا نجدها لا تخلو من محاولات للإساءة إلى العرب ، تدور في فلك الإساءات الغربية الأخرى .. وإن كانت أخَف منها حدة ، وأكثر منها إعتدالاً .

وقبل الخوض في تفاصيل هذه الإساءات نوجز محاورها في نقاط مُحددَة هي :

* التهكُم الخفي على أساليب الحكم العربي ، وخلافات الحكام ، وسوء توزيع الثروة .

* الخوض في مسائل شخصية تتصل بقيادات منطقة الخليج .

* نشر المعلومات العسكرية وصفقات السلح الفرنسي إلى العرب .

* حملة يهود فرنسا على التقارب الفرنسي العربي من أجل البترول في مقابل الإعتراف بالحَق الفلسطيني .

* التتبُّع الإخباري – المُتحيِّز أحياناً – للصراع العربي الإسرائيلي .

* التركيز على التصريحات العربية لدول النفط حول الأسعار والتخوف العربي من التهديدات الغربية المقابِلة لذلك .

* الإهتمام بالسعودية بشكل خاص ومناقشة قضايا الشرق الأوسط من خلالها .

* ثم أخيراً وصف العرب بالإرهاب خاصة الليبيين والفلسطينيين ؛ نتيجة لبعض الأحداث التي راح ضحيتها أفراد فرنسيين .

هذا ولابد من الإشارة إلى تطوُّر شكل الإساءة في الصحف عامة بتطوُّر الأحداث .. إذ سنلاحظ أن كل مرحلة قد واكبتها أساليب تتناسب معها ومع أحداثها .. ومن خلال إستعراض نماذج الإساءة للعرب في الصحف الفرنسية في هذا المبحث – ثم الصحافة الألمانية فالإنجليزية والأمريكية في المباحث التالية – سنستطيع إستخلاص أساليب كل مرحلة ، ومعرفة الفروق في الرؤية الغربية لنا وإختلافها من دولة لأخرى .. وترتيب درجة عداء كل منها للعرب ، متمثلاً فيما تنشره صحافتها ، ودوافع هذا العداء الطبيعية ، أو



المتعلقة بالمصالح العامة الإقتصادية والسياسية .

فالملاحَظ أن الصحافة الفرنسية تنجح إلى حد كبير في الربط بين المسائل الشخصية وأساليب الحُكم العربية ، والتعرُّض للخلافات بين الحكام العرب ، وسوء توزيع الثروة في بلاد النفط .. كل ذلك من خلال الحديث عن السعودية بشكل خاص كنموذج لبلاد النفط .. ويبدو هذا النجاح في الربط بين كل من هذه الأمور في عِدة نماذج نختار منها ما كتبَته « فرانتس سوار » "France Soir" تحت عنوان « السجَّادة الحمراء » واصفة المجتمع الراقي ، وأطرَف أحداثه في العالَم كلّه ، ذاكرة السيد عدنان خاشقجي كصاحب ملايين ، يمتلك السيطرة والتحكُّم في قطاعات كثيرة من العالَم ، وعلى سبيل المثال : الفنادق في مصر ، والبيوت الجاهزة في كوريا الجنوبية والسنغال ، والمصانع في البرازيل ، والسُفُن في أندونيسيا ، وتعمُد الصحيفة بعد ذِكر كل ذلك إلى وصفه بأنه « ليس أكثر من سمسار سلاح » ، إذ تقول الصحيفة :

« إستغلَّت شركة لوكهيد رغبته في شراء إحدى الطائرات لحثّه على إقناع الأمير سلطان وزير الدفاع الذي كان صديقاً حميماً له لشراء مُعظَم طائرات لوكهيد العسكرية وتلقّى في مقابل ذلك ستمائة مليون

دولار من الشركة خلال خمس سنوات ، وبعد عدة أشهر تلقى من شركة نورثورب دفعة قيمتها ٥٥٠ مليون دولار لقاء خدماته .... حيث يقال بأن خاشقجي يستعمل أسلوبه ببراعة ودبلوماسية .... فهو الأفضل في تدبير كل شيء لمصلحتها بدون عجرفة أو إساءة ، من بين المفسدين والفاسدين ، فهو يحترم القرآن ، وله مبادىء معيّنة في معاملاته وتصرفاته بين تكنوقراطيو البترول »(١) .

وعن التهكم على أساليب الحكم العربي آخذين نموذجاً السعودية كتبت « ديمان لافريك » "Demain L'Afrique" تحت عنوان « ربّ واحد لأفريقيا » مقال بقلم « ديك ساربي » "Dick Thuraby" يقول فيه :

« الوقت ليس مهماً اليوم لخلق دولة قوية ، فالأمر أن تستغل الوقت لخلق صناعة كبيرة ودولة قوية ، وذلك ما تفعله السعودية ، فالحكم أوتوقراطي بسبعة أخوة تحركهم أمهاتهم كلاًّ تبعاً لعشيرته .



---

(١) فرانس سوار ، في ١٩٧٨/٧/١١ ، ص ٢ .

« وقد أصبحَ السعوديون قوة مؤثرة ؛ والفضل في ذلك يرجع إلى الدخل الذي يربو عن ٤٢ مليار في السنة ، واحتياطيها الضخم الذي يُشكّل ٢٢٪ من النفط العالمي » .

« ولتفادي الخطر الذي يهدد العالَم ، وحماية للأماكن المقدسة ، فان الرياض بدأت تخطو نحو دورها المفقود في إعادة توزيع الدخل »[1] .

وحول نفس الفكرة – وهي السخرخية من نُظُم الحكم العربي– تعني الصحافة الفرنسية من أن لآخر بالتعرُض لخلافات بين القيادات ، خاصة في دول الخليج من مُنطلَق المساس بالنُّظُم العربية من طرف خفي ، والسخرية منها في معرض سرد خبري يبدو للعامة موضوعياً ومجرَّد تحليل إخباري .

ففي « الميد »[2] نُشِرَ مقالاً يشير إلى تبعية السياسة الخارجية للإمارات لسياسة السعودية ، رغم تعاطف أفراد الأسرة الحاكمة مع السياسة المضادة . وذلك يقودنا إلى الحديث عن اهتمام الصحافة الفرنسية بالسعودية بشكل خاص ، إذ تأتي مناقشة

---

(١) ديمان لفريك ، في ١٩٧٩/٢/٢١ ، ص ٣٩ .

(٢) الميد ، مُلحَق الميد ، في ١٩٧٩/١٢/١٥ ، ص ٣ ، ٤ ، ٦ .

قضايا الشرق الأوسط غالباً من خلال السعودية ، كما أنها دائماً مضرَب المثل في كل مناقشة لأي من الأمور المتصلة بالعرب ، وبشكل خاص عرب الخليج .. وكمثال مناقشة الأمور الشخصية المتعلقة بالنساء ، والقضايا الأخلاقية ، وكنموذج ما كتبَته مجلة « جورنال أفريك » في تحقيق بعنوان « أمراء حقيقيون أم مُزيَّفون ؟ » يشير إلى إستخدام العرب ألقاب أمير أو شيخ ؛ لشراء أنفَس السلع دون دفع الثمن ، كذلك يفعل بعض الأوربيون ، إذ يحتالوا على أصحاب محال المجوهرات ، ويدَّعون بأنهم عرب .. وفي خِضَم الحديث عن الشيوخ والأمراء الحقيقيين ، وما يمارسون من أعمال لا أخلاقية في أوروبا كتبَت المجلة تقول :

« يقع إختيار الأُمراء الحقيقيين على أوروبا لقضاء أوقات لهوهم ؛ لأنهم يجدون هناك حريتهم الشخصية بشكل أوسع ، فالكثيرون منهم تعيش عشيقاتهم في باريس أو لندن ، وأكثر الأماكن التي يعشقونها في أوروباهي محلات القمار . وعلى سبيل المثال وبالتحديد (فرج) السعودي الذي خسر ٣٠ مليون فرنك في ملاهي أوروبا ، والذي يقول : إن القمار أعظم متعة عندي حتى لو خسرت . وبذا يُسيء العرب إلى سمعة

العرب ، ولكن من يجرؤ على الإعتراف بذلك »[1] .

كذلك نجد مجلة "June Afrique" الفرنسية تصف المرأة العربية بما لا يليق في مقال مشفوع بالصور ، يصف العالَم المُغلَق للمرأة العربية ، وذلك تحت عنوان : « إمرأة حضرت لقريتها »[*] ، هذا وقد دأبَت هذه المجلة بالذات على التركيز على أمور شخصية أكثر من تركيزها على الأمور السياسية والاقتصادية ، فقد نشرَت تحت عنوان : « من أجل حفنة من البترودولارات » تتحدث عما أسمته « تجارة النساء تجتاح المدن الأفريقية ، في سياق التقرُّب من الأخوة في الخليج » ، حيث يمضي المقال في وصف سهرات إحدى الملاهي الليلية التي يقصدها عدد من العرب كروّاد جُدَد ، من السعودية والكويت ، جاءوا وهُم يلبسون عباءاتهم وكوفياتهم ، ويرد في هذا المقال :

« ان ورقة المائة دولار كانت تخرج من جيوب هؤلاء الخليجيين بسهولة لا يتصورها الخيال ، فهُم يعتقدون أن الدولارات هي التي تصنع الرجال .... وعندما يبدأ الرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة يبدأ الخليجيون

(1) جورنال أفريك ، في ١٩٧٩/١٠/٢٤ ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(*) جين أفريك ، في ١٩٧٦/١١/١٩ ، ص ٦٤ .

ينشرون نتودهم على هؤلاء الفتيات ، فيضع الواحد منهم ورقة نقدية هنا وأخرى هناك .... »[1] .

وان كانت هذه النغمة – وهي الإساءة للعرب من مُنطلق شخصي ، والتهكم على تصرفاتهم الشخصية ، وعاداتهم – لم تعد ذات موضوع بالنسبة للصحافة الفرنسية .. ولكن التركيز الآن على الشئون البترولية ، وتبادُل المصالح الفرنسية العربية بشكل خاص .

وبعدا عن النواحي الشخصية ، وضرب الأمثلة على السعوديين بالذات ، نجد الصحف الفرنسية ترى كل قضايا الشرق الأوسط من خلال السعودية وتعتبرها أكبر دولة في منطقة الخليج ، والمحرِّك لكل السياسات الخارجية لدول المنطقة العربية .

وقد كتبَت مجلة « لو بوان » "Le Point" تصف السعودية بأنها « القلعة المتهاوية » ، وتصف الوضع السياسي فيها بصورة توحي بأن الوضع على وشك الإنهيار ، نتيجة لتفشي الرشوة والفساد ، داخل مراكز الحكم والعائلة المالكة ، وتوقُّع قيام الجيش بانقلاب عسكري على يد « فدائي سعودي » ، وتشير المجلة إلى أن عملية مكة ، وأحداث أفغانستان ، وثورة إيران جعلَت الرعب يسود بلدان الخليج[2] .

---

(١) جين أفريك ، العدد ٩٩٤ ، الصادر بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٣ ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) لو بوان ، العدد ٣٨٩ ، في ٣ – ١٩٨٠/٣/٩ ، ص ص ٦١ : ٦٣ .



أما عن التقارب العربي الفرنسي من أجل الحصول على البترول ، في مقابل الإعتراف الفرنسي بالحَق الفلسطيني ، وإمداد دول الخليج بالسلاح بقصد تنويع مصادر التسلُح ، فياتي ذِكره من خلال نشرات المعلومات العسكرية وأخبار الصفقات تفصيلاً .. وتغطية رحلات المسئولين الفرنسيين والعرب ، واستعراض تصريحاتهم المتبادّلة .. خاصة تصريحات المسئولين البتروليين ، حول أسعار النفط ، وإستخدامه كأداة ضغط ضد الدول الغربية ، ثم تتبع الصراع العربي / الإسرائيلي بشكل أكثر إعتدالاً ، ودون تعصُب واضح ضد العرب ، مما أثار حفيظة يهود فرنسا على هذا التقارب ، وهذه المصالح المتبادّلة بين العرب وفرنسا ودوافعها .

هذا وتشير الصحف الفرنسية إلى أنه بعد أن كانت السعودية - حتى وقت قصير - تتمسك بالصناعات العسكرية الجوية الأمريكية، أصبحَت تُفضّل الإنشاءات الفرنسية ؛ بسبب وقوع فضيحة لوكهيد .

والحقيقة أن التركيز على الزيارات العربية الفرنسية المتبادّلة كان قد بدأ بإظهار النوايا الفرنسية الحَسَنة تجاه العرب ، والتي تظهر في تصريحات الرسميين الفرنسيين .. فقد أشارَت «لوموند»(١)

(١) لوموند ، في ١٣/١١/١٩٧٦ ، ص ٦ .



إلى زيارة السيد « ريمون بار » لمصر ، حيث صرَّحَ الوزير الأول بأن : فرنسا مستعدة لتقديم العون التقني للبلاد العربية المُنتجَة للمادة الدفاعية .

هذا وتعكس الصحافة الفرنسية إهتمام المسئولين الفرنسيين بالبترول وأسعاره وأن الرئيس الفرنسي يتحرك في كل صوب في المنطقة لتجنُّب حدوث أي هزَّات تتعرض لها فرنسا في مجال البترول؛ و" لتحاشي حدوث أي معامَرات ولحماية الخليج الذي تُعتبَر حمايته هامة بالنسبة لإيران ولفرنسا أيضاً "[1] .

هذا وتنشُر صحف فرنسا آراء الرسميين البتروليين في قَطَر والجزائر والإمارات نقلاً عن الصحف الأخرى الأمريكية واللبنانية كما هي دون إساءة[2] وإن كان الأمر لا يخلو أحياناً من بعض التهكُّم في إطار السرد ، خاصة في مجلة « جين أفريك » التي تُعتبَر من أكثر المجلات الفرنسية إساءة للعرب في أمور كثيرة شخصية وعامة . فقد كتبت هذه الصحيفة قبل سنوات ساخرة من التقارب الفرنسي السعودية مشيرة إلى دوافعه بأسلوب تهكُّمي قائلة :

" ذكَرَت مجلة لوكنار إنشن Le Canard Enchaine

---

(١) الفيجارو ، في ٤/١٠/١٩٧٦ .

(٢) الفيجارو ، في ٧/٢/١٩٧٧ ، كمثال .

الأسبوعيـــة الفرنسية المقالة التالية بعنوان (بالأرقام العربيـــة ...) أحصى أحد الأخصائيين عدد زيارات رؤساء الدول والوزراء إلى السعودية عام ١٩٧٦ فوجد أن السعـوديـة إستقبلت ٢٣ رئيس دولة و١٩ رئيس وزراء و٣٠ وزير خـارجيـة و١٠٠ وزير ، وتضـرب هذه الأعداد الرقم القياسي بالنسبة للدولة التي لا يتعدى سكانها بعض الملايين ، وتمتد على صحراء شاسعة . وبالتأكيد فان تلك الزيارات المتعددة للملكة السعودية ومنها زيارة جيسكار ديستان في يناير ١٩٧٧ ليست فقط من أجل طلب رضا الملك الخالد والإعراب عن الاعجاب بلحيته ، بل إنه البترول الذي يجذب ، وعشرات المليارات التي لم يقدر أعضاء العائلة السعودية على إنفاقها كلها على طاولات القمار (الروليت والباكرا) . وما نقترحه هو جعل الرياض مركزاً للأمم المتحدة بدلاً من نيويورك ، أليست الرياض اليوم هي العاصمة الدولية ؟ »[1] .

(١) جين أفريك ، في ١٠/٦/١٩٧٧ ، ص ٧١ .



هذا وكانت زيارات الرئيس الفرنسي المتكررة إلى منطقة الخليج ، فرصة للصحافة الفرنسية كي تكتب عن دول المنطقة ، وبالطبع جاءت بعض الكتابات مطابقة للواقع ، وإن كان فيها تركيز على السلبيات أكثر من الإيجابيات ، وتناولت أمور شخصية أكثر منها سياسية ، في إطار تعريف الشعب الفرنسي بعادات وطبيعة البلاد التي يزورها رئيسهم ، كما جاءت بعض الكتابات إساءة صارخة للعرب في الخليج ؛ من مُنطلَق رفض اليهود الفرنسيين للتقارب العربي الفرنسي ، ومحاولة إعطاء صورة مشوهَة عن هؤلاء العرب .

وقد جاء ما نشرته « الفيجارو »(١) عن قطر ودولة الإمارات ، غير مُسيء بقدر ما هو تعبير عن رؤية أجنبية لمجتمع غريب عليها ، فقد وصفت دُبي بأنها " الواجهة الغربية للدولة " لما تتميز به من طابع غربي ، وذلك في حد ذاته يُعتبَر رؤية خاصة أكثر منه محاولة إساءة . وقد أوردَ هذا المقال سرد لمراحل التعاون بين الإمارات وفرنسا ، ولمحة تاريخية عن دولة الإمارات ، ونظامها السياسي .. وان جاء في خضم هذا الحديث إشارة إلى أن سكان الإمارات كانوا في السابق يُسمَّون " قراصنة الساحل " ، وذلك إن كان يسيء للإمارات ذِكره الآن ، إلا أنه تسمية وردَت في عَدَد من الدراسات

(١) الفيجارو ، في ١٩٨٠/٢/٢٩ .

التاريخية المُغرضة ، التي كانت بريطانيا صاحبة المصلحة في إطلاقها ، وقد جاءَ ذكر نفس التسمية في مجلة « باري ماتش » مُدعُماً بصورة تؤيّد هذه الصفة التهكمية ، وإن جاء مَقال « باري ماتش » أكثر إساءة من مَقال الفيجارو ، والذي ذكرَ بعض السلبيات المتداوَل مناقشتها في صحافة الإمارات نفسها ، مثل عدم التنسيق في السياسة العمرانية بين الإمارات ، مُرجعاً ذلك إلىٰ أنه بسبب الإستشارات الأوروبية الخاطئة ، وهذه في حد ذاتها حقيقة ، وإن كُنّا نكرَه أن نذكُرها ، وتذكُرها عنّا الصحف الأجنبية ، كذلك موضوع كثرة عدد الوافدين إلى دول الخليج ، خاصة من الهند وباكستان ، والدول الآسيوية .

أما عن مَقال « باري ماتش » – المشار إليه سلفاً – فقد زادَت فيه رنة التهكم ، ووضح أن كاتبه يتعمد التركيز على المساوىء .. إذ ذهبَ كاتبه إلى وصف النساء المواطنات في أسواق الإمارات بسخرية ، وإلى إنتقاد الشكل المعماري ، والهياكل المعمارية «البشعة» المنقولة عن أسوأ النماذج الأوروبية ، ناهيك عن رنة السخرية العالية في المَقال عن حُب البدو للصحراء ، بما فيهم رئيس دولة الإمارات ، وترديد الطُرف المتداوَلة في العديد من الكُتب الأجنبية عن الشيخ شخبوط الحاكم السابق لأبو ظبي ، ومحاولة حصر ممتلكات الشيخ زايد وقصوره وتقدير دخله اليومي ، ويتضح

من المقال مصدر الحقد على العرب – وهو البترول – إذ يقول المقال عن مظاهر التقدم والتحديث بفعل البترول :

" إن سكان هذه البلاد كانوا في يوم من الأيام يتوقون ويشتاقون للحصول على نزر يسير من هذا التحديث ، الذي كان بعيد المنال .... ومع ظهور البترول تحوّل قراصنة الخليج الفارسي الذين كانوا يهاجمون السفن لسلبها إلى قراصنة من نوع آخر عن طريق الابتزاز الذي يمارسونه بواسطة البترول "(1) .



هذا ويعج المقال بالمقارنات والمفارقات بين القديم والحديث والربط بينهم بسخرية ، وكمثال الجمل والبنايات العالية والسيارات الفارهة ، والصيد بالصقور بهذه السيارات ، وحنين رئيس دولة الإمارات إلى الرمال ، وعودته إلى الصحراء ، وعروض الأزياء العالمية في الفنادق في غيبة النساء في الحريم ، ومحاولة نشر صور لتضخيم هذه المفارقات .

والواضح بصفة عامة وجود مجلة فرنسية بعينها يتضح في كل ما تكتب التحامل على العرب هي مجلة « جين أفريك »(*) التي

(1) باري ماتش ، في ١٩٨٠/٣/٧ ، ص ص ٣ – ١٢ .

(*) جين أفريك ، في ١٩٨٠/٣/١٩ ، ص ٣٨ .

أشرنا سلفاً إلى نوعية الموضوعات التي تتناولها ، ونشير هنا إلى موضوع نشرته بمناسبة زيارة الرئيس ديستان لدولة الإمارات في مقال بعنوان « الهدايا » تطرقت فيه إلى الهدايا التي أعطيت للصحفيين (وعددهم ١٣٨) المرافقين للرئيس الفرنسي أسوة بالرئيس نفسه ، وهي هدايا قيّمة تلقوها من حاكم أبو ظبي .. والتي حولوها إلى تبرعات لمؤسسات خيرية ، على إعتبار أن رفض الهدية أمراً غير مستساغ عند العرب ، مع محاولة لتبرير هذا التصرف بأنه نزاهة صحفية ، وبالطبع لم يخل الأمر من سخرية وتشبيه لهذه الهدايا بهدية الإمبراطور بوكاسا إلى الرئيس ديستان .

وكنموذج آخر لما تنشره الصحافة الفرنسية نجد فيما كتبته الكاتبة الفرنسية « جوزيت عالية » في العدد رقم ٣٩ من مجلة لونوفيل أوبزرفاتور الصادرة في باريس تحت عنوان « الخوف المتعاظم لدى الأمراء » خير مثال لما سبق ذكره ، وذلك لإتصاله بموضوع آثار الثورة الإيرانية على المنطقة .. والمقال يعكس تصور الغرب لهذه الآثار ، إذ تقول في مقدمة مقالها :

« لم يعد أغنى شخص في العالم أمريكياً . أنه شخص عمره ٦٠ سنة ، ذو وجه مالس وعيون سوداء لطيفة ، وذو لحية صغيرة ، وقلب طيّب ، ورأس مملوء

بالفلسفة ، يقول بصوت ناعم : (الملك أو الشحاذ ذلك يكون لمُدة قصيرة فقط ويتغيّر دائماً ، إن الله أعطاني الفرصة وكذلك يمكن أن يعود فيأخذها منّي ولا يهمني ذلك) .

ذلك الرجل هو حالياً ملك وأمير وشيخ أبو ظبي – إحدى إمارات البترول – وهو يملك كل ما فيها ، وتُشكّل عائداتها أعلى نسبة للدخل الفردي في العالم .



لكن الشيخ زايد يتذكر أنه فيما مضى بكى من الجوع ، وقد كان ذلك قبل ١٥ سنة ، وذلك تحت أحد خيام الشعر التي أيبستها الشمس ، حيث كان يملك آخر حبّات تمر وكان عددها ٣ حبّات . وفي الحرم الذي يُشبه إحدى النبيلات في موناكو اليوم ، وداخل حديقة عملاقة لا يمكن أن يقربها أي شخص إمرأة عجوز تذكُر من تحت حجابها أيام الماضي ، وكيف كانت القوافل تسير في الصحراء ، حيث كان المرء

يمشي أيام وأيام مع الجمال حتى يصل إلى العين ، وكان يلجأ إلى تقطيع الولد قطعة قطعة لضمان سلامة الأمر ، وبعدئذ كان يُداوى الجرح بقليل من الملح .

في الإمارات ترى مسحة من الخيال ، وكذلك بعض المعجزات ، هنا ترى سيارات الكاديلاك والقصور ، والمستشفيات ، والعمارات الفخمة ، وكل هذا لم يؤدِّ إلى حمل أهل هذه البلاد على نسيان الماضي ، وكما يقول الشيخ زايد : (كل شيء أعطاه الله بإمكانه أن يأخذه) » .

والحقيقة أن التهكُّم في الصحافة الفرنسية يأتي من مُنطلَق ضرورة الأسلوب الصحفي ، أكثر منه من مُنطلَق الكراهية والحقد على العرب ، فالمعروف أن الصحافة غالباً ما تميل إلى الموضوعات الحريفة ، ونقل الصور المستترة والخافية على القراء ، إذ يُعتبَر الموضوع الصحفي الذي ينكُر المحاسن دون المساويء تقريراً رسمياً ، وليس تحقيقاً صحفياً ناجحاً .. وإن كان الأمر لا يخلو بالطبع في بعض الصحف والمجلات الفرنسية (كجين أفريك) من بقايا حقد في النفوس على عرب النفط بشكل خاص ، كجزء من

التحامل الغربي العام ضد العرب .. وإن كانت الصحافة الفرنسية بالذات قد بدأت تعتدل إلى حد كبير في عرضها لتصريحات الرسميين العرب ، وفي تتبعها للصراع العربي الإسرائيلي ، وذلك إنعكاساً للإعتراف الرسمي الفرنسي بالحَق الفلسطيني ، وبمنظمة التحرير الفلسطينية ، ثم أخيراً بالدولة الفلسطينية .. ونجد أن أي إشادة بالصهيونية أو تحقير مُتعمَّد للعرب لا يرد إلا في المجلات التي تسيطر عليها عناصر يهودية .

ذلك عن نوعية الإساءات التي ترِد في الصحافة الفرنسية للعرب ، والتي لن تقُل كلمتنا الأخيرة بشأنها لتقييم مداها ، إلا بعد استعراض الصحافة الألمانية ، والصحافتين البريطانية والأمريكية ، للوقوف على أوجُه الإختلاف بينهم في رؤياهم للعرب ، ومدى ودرجة تحامُل كل منهم علينا .



(١) د. سامي مسلّم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الإتحادية ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ .

العرب في الصحافة الألمانية(*)

قبل الولوج إلى تحليل الصحف الألمانية لابد من الإشارة إلى ملاحظة من واقع الإطلاع على الصحف الغربية عامة ، هي أن الصحافة الفرنسية تُعتبَر أقل الصحف الغربية إساءة للعرب ، وأن ما يرد فيها من إساءة يرد في إطار الأسلوب الصحفي ، وسرد الأحداث الجارية التي يأتي المساس بالعرب كجانب منها ، وليس كأساس .. لكن الحال يختلف بالنسبة للصحافة الألمانية كما سيتبيَّن لنا في هذا المبحث ... فالصحافة الألمانية تتفق مع الصحافة الفرنسية في نقاط هي :

* الإهتمام بالسعودية بشكل خاص كمرآة للعرب .
* التتبع الإخباري لإنعكاسات الأحداث على المنطقة العربية .
* الإهتمام بالأمور الشخصية المثيرة للسخرية (وهي أشَدّ في الصحافة الألمانية وبتركيز مُتعمَّد) .

بينما تختص الصحافة الألمانية أكثر من الصحافة الفرنسية بمجالات :

* النيل من الإسلام ونُظُم الحكم الإسلامي .
* الدعاية الصهيونية السافرة والنيل من الفلسطينيين .

---

(١) من أرشيف الرقابة الإعلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة .



ذلك على الرغم من الكراهية لتقليدية التي يُكنُّها الشعب الألماني لليهود ، فنجد أن محاولة خَلق مقارنات بين العرب واليهود أمر شبه دوري في الصحافة الألمانية ، وكان التعصُّب الألماني ضد اليهود قد تحوَّل برُمته نحو الأمة العربية . كما تحوَّل التعصُّب الأمريكي ضد السود أو الهنود الحُمر إلى العرب .

وتتبُّعاً لنماذج مما يرِد في الصحف الألمانية من خلال المنطلَقات السابقة ، يمكننا التعرُّف على الأسلوب الألماني في الإساءة إلى أمة العرب والإسلام .

ولنبدأ بتفصيل النقاط التي تختص بها الصحافة الألمانية عن الصحافة الفرنسية ، وأولها النيل من الإسلام ، فالنيل من عرب فلسطين ، ثم نستعرض بعد ذلك نماذج لِما تتفِق فيه الصحافة الفرنسية والألمانية مع بعضهما البعض ، ومع غيرهما من صحف إنجليزية وأمريكية .

فأمَّا عن الإسلام والنيل منه ، ومحاولات تشويهه بتعمُّد ، وعن جهل بالحكمة من تشريعاته ، فنجد على سبيل المثال في مجلة دير شبيجل[1] مَقالاً يصف الإسلام بأنه مجموعة قوانين وتنبيهات ، ويُبيِّن هذا المَقال أن الإسلام لا يعي معنى الحياة العصرية ، وأنه لا علاقة للإسلام بالمجتمع المعاصر ، كما يلوم الدول الإسلامية الحديثة

(١) دير شبيجل ، في ١٩٧٩/٢/١٢ ، ص ص ١٠٢ : ١١٢ .



على أن نُظُم الحكم فيها لا تتطابق تماماً مع القواعد الإسلامية ، والقرآن الكريم ، ولا يكتفي بالقول فقط ولكن يعمد أيضاً إلى الصور ليستعرض أساليب القصاص الإسلامي من القتلة(١) .. كما وينشر صورة يدَّعي أنها للنبي تُعطي تصوُّراً خاطئاً - بل ومُخيفاً - لمن لم يقرأ المقال بعناية .

كما نجد مجلة « بوينتي » تنشر سلسلة مقالات بقلم « ماكس بيير شيفر » ، عن حياة الرسول (صلعم) تُعطي صورة مشوَّهة عنه ، وتصفه بما ليس فيه - وحاشاه أن يكون كذلك - ومن هذه الصفات أنه :

« رجل ماكر يجري وراء المال ؛ ولذلك تزوَّجَ إمرأة تكبُرُه بخمسة عشرة سنة »(٢) .

ومن منطلَق الحديث عن الرسول (صلعم) ، وعن الإسلام يتحدث هذا الكاتب عن التخوُّف الغربي والسوفيتي من إنتشار ما أسماه « حُمَّى الدعوة الإسلامية » ، خاصة بعد أحداث إيران وأفغانستان .

وحول نفس الموضوع كتبَت « إشترن » تحت عنوان « ساعة

---

(١) الصور على صفحات ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٩ من المجلة .

(٢) بوينت ، العَدَد ٥ ، في ١٩٨٠/١/٢٤ ، ص ص ٣٦ - ٥٢



المحاربين المُقدَّسين » ، تتحدث عن الوضع في الدول الإسلامية ، وتتناول الدوافع والأسباب التي أدَّت إلى قيام الثورات الإسلامية ، وعودة البعث الإسلامي ، وتقول في هذا التقرير أنه :

« بعد ١٤٠٠ سنة من تأسيس الإسلام نجد حرباً جديدة على وشك أن تبدأ كتتمة للحرب المُقدَّسة التي بدأها المسلمون ضد غير المسلمين منذ ١٤٠٠ سنة »(١) .

كما يتناول هذا التقرير سيرة الرسول كمؤسِّس للإسلام ، يعتمد على عدة وقائع حقيقية .. لكنه يُحوِّرُها ويُفنِّدُها في غير صالح النبي (صلعم) إجمالاً ، بحيث تعطي صورة خاطئة عن الإسلام ورسوله .

وبنفس الأسلوب كانت نفس المجلة قد نشرَت قبل ذلك بعدة أشهُر تقريراً مشابهاً عن الإسلام تحت عنوان « قوة النبي – الإسلام بدأ يغزو العالم بأسره » ، وفي هذا التقرير تعريف بحقائق تاريخية عن الإسلام هي إجمالاً صحيحة ، وكلها عن العقائد والممارَسات الإسلامية ، وتبدو موضوعية وإيجابية بالنسبة للإسلام ، وفي صالحه .. لكن التقرير مُدعَّم بصور تستعرض وسيلة الإعدام وفقاً

---

(١) اشترن ، العدد ٥١ ، في ١٣/١٢/١٩٧٩ ، ص ص ٢٧ – ٣٢ .



الشريعة الإسلامية ، وصور تُظهر إحتفالات الشيعة بالعاشوراء من محرم ، وتتضح هذه الصور بالدم[1] ، مما قد يثير الإشمئزاز في نفوس الغربيين ، وذلك دون الإشارة إلى أن هذه الممارسات غير مقبولة من جملة المسلمين ، وأنهم يعترضون عليها ..

والحَق يُقال أن الصحف الألمانية – في تركيزها على النيل من الإسلام – تنهج جميع السُبُل ، وتستخدم شتى الوسائل ، من استشهاد بوقائع التاريخ ، أو ممارسات العقيدة أو حتى القرآن .. ودليلاً على ذلك ما نشرَته مجلة « دير شبيجل » تحت عنوان : « الأصابع الذهبية في الخليج – الثورة المعمارية في بلاد البترودولار العربية » ، إذ تقول :

« تُعتبَر شبه الجزيرة العربية الآن أعظم ورشة بناء في العالم ، فبواسطة مليارات البترودولارات تنمو مدن بأكملها وعمارات رائعة في الصحراء .

ذلك أن الإمارات التي كانت في يوم من الأيام أفقر البلاد أصبحَت الآن الأكثر تطوُراً »[2] .

(1) اشترن ، العدد ١٢ ، في ١٩٧٩/٣/١٥ ، ص ص ٣٨ – ٦٥ ، ص ١٩٥ ، ص ١٩٦ .

(2) دير شبيجل ، العدد ٣٧ ، في ١٩٧٩/٩/١٠ ، ص ص ٢٤٣ – ٢٤٤ .

ومن خلال مثل هذه الملاحظات الآنية ، والتي تبدو ظاهراً أنها موضوعية ليست ضد دول الخليج أو أي دولة عربية ، بل تبدو وكأنها حريصة على إنفاق أموال البترول فيما يفيد ، والاستغناء عن مثل هذه البنايات الفارغة ، ومن خلال هذه النظرة الموضوعية إجمالاً ، يعرج المقال على النيل من الإسلام عن طريق القول بأن هذا التعمير لا يتفق والإسلام والقرآن الكريم ، ويستشهد في ذلك بسوَر من القرآن ، ذكرَ أرقامها (٨٩ ، ٢٦)[1] من سورة الشعراء وسورة الفجر ليُدلل على أن الإسلام ضد البناء والعمارة ، كما يشير إلى حديث نبوي[2] يعطي هذا المعنى .. وبالطبع يكون الإستدلال خاطئاً لأنه مبني على فهم خاطيء لمعنى الآيات الكريمة ، وإن أعطى الثمار المرجوة في مجتمع يجهل تماماً الإسلام وتعاليمه ، ويُصدِّق أفراده كل ما يُقال لهُم عنه .

هذا ويتباكى المقال على مخالفة دولة الإمارات لتعاليم الإسلام ، وإضاعة التقاليد العربية ، وتلاشيها وسط الإنشاءات الحديثة ، مغالطين في تفسير الآيات ، فالإسلام لم ينه عن البناء

---

(١) « أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، سورة الشعراء ، آية ١٢٨ ، ١٢٩ . « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد » سورة الفجر ، آية ٦ : ١٠ .

(٢) « لا تبنوا ما لا تسكنون .



وإنما نهى عن الإفتتان به ، والإلتهاء به عن طاعة الله ، والتجبُّر والغرور بالعمارة ، متصورين أنها مصدر خلود ، مُذكِّراً أن لهُم رجعة إلى ربهم ، فلا يتصورون أن البناء سيحميهم من يوم الحساب .

هذا وقد عمدَت الصحافة الألمانية إلى التهكُّم على الإسلام ، متمثلاً في الثورة الإسلامية في إيران ، والمد الإسلامي عموماً ، ومحاولة تصوير أن الإسلام قد خوى من أي مضمون ، حتى أن رجال الدين الإسلامي يبحثون عن عمل لهُم ككرادلة كاثوليك ، وذلك في رسم كريكاتيري نشرته مجلة « بونتي » .

وإنطلاقاً من وضع السعودية كقوة لها تأثيرها ؛ بوصفها مهبط الدين الإسلامي ، ومصدر التأثير على السياسة العربية – من منطلَق قيمتها الدينية – يكثر الهجوم عليها ، وحينما تُتناوَل بالهجوم يكون له جانبان : سياسي ، وديني ، ويُساء للإسلام والمسلمين من خلالها ، وعلى سبيل المثال التقرير المُعادي الذي نشرَتهُ « دير شبيجل » تحت عنوان « هل أقمت صلاتك » والذي جاء فيه :

" إن بعض الناس قد تعبوا من الصلاة طوال اليوم ، ومن العيش من أجل الدين فقط .

ومعظم السعوديين وخصوصاً القادة يعيشون



حياة مزدوجة ، فمن ناحية هُمْ يُظهرون التديُّن
الشديد ، ومن ناحية أخرى يتمتعون بمباهج
الحياة على الطريقة الغربية .

فالسعودية كانت حتى اليوم إحدى القوى
العُظمى التي تحكم العالم بنفطها وأموالها ،
لكن هذه القوى بدأت تضعف ، فالنقود لا
تستطيع أن تشتري لهم الأمن – كما كانت
تفعل للشاه – لذلك فمن المحتمل أن يحدث لهم
ما حدث للشاه .

وهُم يحاولون عن طريق أموالهم السيطرة على
كل شيء ، وعلى كل الناس ، بل هُم سبب
الفساد المستشري .

والملك خالد كريم جداً مع منظمة التحرير وفي
نفس الوقت قد وعد بتزويد الولايات المتحدة
بمزيد من النفط .

والمرأة مازالت عبارة عن ملكية منقولة للرجل،

فهي لا تتمتع بأي حقوق ، وبأي قدر من الحرية .

والحكومة السعودية تُعامل الأجانب كما لو كانوا عبيداً ، فهُم يتمتعون بحقوق ضئيلة ، ومزايا قليلة جداً .

والمؤسَّسات الحكومية شديدة الفساد ، فأي رجُل بوليس يملك إعتقال أي شخص .. ورغم أن الكحول مُحرَّمَة فالسعودية تُعتبَر أكبر بار في الشرق الأوسط ، والحوادث الجنسية منتشرة ، وكذلك العلاقات الجنسية المزدوجة »(١) .

وعن السعودية نشرَت « إشترن »(*) تحت عنوان « ليس كل ما يلمع ذهب حقيقي » تقريراً يصف السعودية الحديثة ، والتأثيرات السيئة والحَسنة للثروة الفاحشة على هذه البلاد وأهلها ، ويقول هذا التقرير أن السعودية أصبحَت غنية جداً وأن السعوديين لا يعرفون كيف ينفقون ثرواتهم ، وماذا يفعلون بها !! ورغم أن السعوديين أكثر شَعب مُسرِف في أمواله ، فهُم « طماعون جداً » يستغلُّون العُمال

(١) دير شبيجل ، العدد ٣٤ ، في ١٩٧٩/٨/٢٠ ، ص ١٨٠ ، ص ١٢١ .

(*) اشترن ، في ١٩٧٩/٨/٢ ، ص ص ٢٢ – ٣٨ .

الأجانب ويطالبون بأجور عالية للسكن ، كما أن الأجانب لهُم حقوق أقل من المواطنين ، وفقاً للقانون الذي يُطبَّق بصرامة على الأجانب فقط .

ويؤكّد التقرير أنه رغم كل ذلك فان الفساد منتشر بين المواطنين السعوديين .

ولعل النغمة الثانية الغالبة في الصحافة الألمانية ، والتي تتناقض تماماً وكراهية الألمان لليهود هي الدعاية الصهيونية السافرة، ومحاولات النيل من كل ما هو فلسطيني .

ففي العديد من الصحف الألمانية نجد النيل من الإسلام ، ثم النيل من الفلسطينيين ، وتمجيد إسرائيل ، وكمثال ما نشرته « إشترن »(*) عن الموساد ، واصفةً إياه بأنه أكثر جهاز سرِّي يُخشى منه في العالَم ، وأخطر هذه الأجهزة على الإطلاق .

ويستشهد على ذلك « بالأعمال الضخمة لجهاز المخابرات الإسرائيلية » مثل الإنتقام من عملية ميونخ بقتل الفلسطينيين في بيروت وحادثة عنتيبي ، مما يُعَد بحَق خير دعاية للمخابرات الإسرائيلية .. ناهيك عن محاولات إستثارة العواطف تجاه اليهود ، حتى لو إقتضى الأمر ذِكر المذابح الألمانية لليهود ، وكمثال التحقيق

(*) إشترن ، في ١٣/٣/١٩٨٠ ، ص ص ١٣٠ - ١٣١ .



الذي نشرَته إشترن(*) عن المحرقة ، والذي تضمَّن وثائق وتصريحات من بعض اليهود المُسنين الذين عاصروها ، ويُعتبروا شهود عيان لِما جرى في المحرقة ، التي أُقيمَت لليهود خلال حكم هتلر .

كـذلك تَبنِّي مـجلـة « دير شـبـيـجل »(**) لآراء اليـهـود الإسـرائيليين ، في تحـمـيلهم الذّنب لألمانيا فيـمـا جـرى لهُم من إضطهاد ، ومطالبتهم لها بأخذ موقف في صفِّهُم ، كل ذلك في مقابل الإسـاءة لعرب فلسطين ، وكمـثـال مـا نشرته نفس المجلة في نفس العدَد قائلة :

« إن الكثيرين من الإرهابيين من أعـضاء منظمة التحرير الفلسطينيـة الذين هربوا إلى إسـرائيل يقولون أن ياسر عـرفات يُحضِّر لأعماله الإرهابية في السـفارة السوفيتية في بيروت ، وأن الإتحاد السوفيتي يزوِّدهُم بالبنادق والمُدرِّبين والخُبراء ، وأن الروس يـحـاولون الدخـول إلى الشـرق الأوسط عن طريق منظمة التحرير »(١) .

(*) اشترن ، العدد ١٢ ، في ١٩٧٩/٣/١٥ ، ص ص ٧٤ - ٩٠ .
(**) دير شبيجل ، العدد ٣٨ ، في ١٩٧٩/٩/١٧ ، ص ص ١٩ - ٢٢ .
(١) دير شبيجل ، العدد ٣٨ ، في ١٩٧٩/٩/١٧ ، ص ص ١٥٦ - ١٦٠ .

ولا يخفى ما في ذلك من وصف للفلسطينيين بالإرهاب ، ومحاولة لإدخال الريبة في نفوس العرب منهم ، لأنهم رأس الحربة التي سيستخدمها السوفيت لغزو المنطقة .

وصفة الإرهاب سائدة في الصحافة الألمانية بالنسبة لعرب فلسطين . بل وفي مُعظَم الكتابات الغربية سواء الصحفية أو الأدبية وفي الكُتب السياسية أيضاً .

وكمثال مكرَّر نشرَت « إشترن » تحقيقاً إعداد « برن دورلر » بعنوان « مدرسة الإرهاب » يدَّعي فيه أن الطفل الفلسطيني يُلقَّن مشاعر الكاهية منذ الصغر ، إذ يتحدث التحقيق عن مُعسكَر للأشبال من أطفال الفلسطينيين ، الذين كانوا يحصلون على ثقافة حرب عصابات خاصة في المخيمات اللبنانية ، وتتراوح أعمارهم بين ٨ : ١٤ سنَة ، يتدربون ليصبحوا فدائيين ، إذ يتعلَّمون كيف يستعملون كل أنواع البنادق والأسلحة « كما يتعلَّمون من يجب عليهم أن يكرهوا »(١) وهُنا أيضاً لا يخلو الأمر من دَس وتأليب ، إذ يقول التحقيق « إن حكومة لبنان ليس لها أي سيطرة على أرضها ، لذلك فهذه المدارس تتركز في لبنان »(٢) .

هذا وتزخَر الصحافة الألمانية بالتتبُّع الإخباري للأحداث ذات الانعكاس على منطقة الخليج ، وتحليل هذا الانعكاس بإغراض

---

(١) (٢) إشترن ، العدد ٣٦ ، في ١٩٧٩/٨/٣٠ ، ص ص ٣٢ - ٤٠ .



واضح ، إلى جانب الربط بين هذا التحليل والأمور الشخصية ، ومحاولة السخرية من الخلافات العربية ، وكمثال محاولة الإشارة إلى التهديد الأمريكي لبلاد النفط ، والإيحاء بتوقُّع قيام حرب نفطية جاء ذكرها في مجلة « بونتي »(*) .

كما نشرَت « دير شبيجل »(**) كاريكاتيراً لكيسنجر وشيوخ النفط ، في مجال عَقد صفقات نفطية ، وتساؤلات عما إذا كان هناك حرب نفطية أم لا ؟! .

وحول صفقات النفط وأسعاره نشرَت نفس المجلة في عدد آخر مَقالاً بعنوان : « شيوخ البترول البهلوانات » يتناول بالإساءة شيخ إحدى الإمارات ويقول :

« إنه وجدَ طريقة مثيرة لتجاهل أسعار البترول الرسمية لمنظمة الأوبك .. إذ يقوم بإجبار شركات البترول الأجنبية العاملة في بلاده على بيع كل البترول له بالسعر الرسمي ، ثم يعيد هو بيعه لزبائنه بأسعار السوق السوداء »[1] .

هذا وتتفنّن الصحف الألمانية في الإيحاء بتصدُّع الجبهات

(*) بونتي ، العَدَد الصادر في ١٦/٨/١٩٧٩ ، ص ص ١٢ - ١٥ .

(**) دير شبيجل ، العَدَد ٣٨ ، في ١٧/٩/١٩٧٩ .

(١) دير شبيجل ، العَدَد ٤٥ ، في ٥/١١/١٩٧٩ ، ص ١٣٩ .

الخليجية الداخلية ، والخوف المتنامي لدى المسئولين فيها ، والخلافات القائمة بينهم ، والتي توحي بالإنهيار الداخلي الكامل ، وعلى سبيل المثال ما نشرته مجلّتي « ديازيت » و« دير شبيجل » من تحقيقات قامت بها إحدى الصحفيّات والتقت فيها بعَدد من المسئولين ، لتأتي على ألسنتهم بتصريحات تستغلها فيما تهدف إليه من إيحاءات ، إذ قالت « ديازيت » :

« لم يحــــدُث أن تنازلَ أي من الحُكام عن سُلطته وهو على قيد الحياة لكن الشيخ شخبوط فعلَ ذلك .

فبعد أن حكمَ أبو ظبي وبني ياس لمُدّة ٣٨ سنَة وبعد شدّ وجذب مع الإنجليز أقنعة أبناء قبيلته بالتنازل عن السُلطة لأخيه الأصغر الشيخ زايد. فتركَ الحصن البدوي الذي قُتل فيه والده عام ١٩٢٦ بواسطة عمّهُ الذي قُتل بدوره عام ١٩٢٨ بواسطة إبن أخيه .

وقد نقل شخبوط إلى منفاه في لندن بطائرة من طائرات الطيران المَلكي ، وأعلنَت العائلة بأنه



قد قرر اتخاذ هذه الخطوة من أجل مصلحة المجتمع ؛ لأن الشيخ شخبوط لم يكن قادراً على إدارة قضايا بلده المالية بما يتفق ومصلحة شعبه ..... .

فقد كان الشيخ شخبوط في ديوانه الأميري يُقاتل تقدُّم الزمن ، إذ كان يُخبِّىء الملايين من البترودولارات ، وكان يقول لمستشاريه الإنجليز : (لا أريد أن أعرف منكم كيف يجب أن أنفق النقود ، ولكن أريد أن أعرف كيف أدخرها) .

كما كان يقول شخبوط : (إن الذي جعلَ العرب عُظماء هو النفط وليس قوة العقل) »(1) .

أما « دير شبيجل » فقد كتبَت تحت عنوان « إنهيار الإتحاد » تقريراً سلبياً عن دولة الإمارات أشارَت فيه إلى أن خلافات قد تؤدي إلى فصم عُرى الإتحاد ، يتضح منه أسلوب الربط بين التاريخ والأحداث المُعاصرة ، وإستغلالهما في الإيحاء بالتصدُّع الداخلي .

(1) دياتزيت ، في ١٩٧٩/٧/٢٠ ، بقلم كول شارتر .



إذ ذهبت تقول :

" تتعرَّض الإمارات إلى خطر الإنهيار بسبب الصراعات القائمة بين الشيوخ .... .

وسبب ذلك قيام كل إمارة بإجراءات خاصة بها من شأنها أن تُفكِّك الإتحاد .... .

والأمثلة كثيرة على هذه الإجراءات ، التي تدلُّ على الغيرة والتنافُس بين حكام هذه الإمارات ، التي زادت حدتَّها منذ سقوط الشاه في إيران ، الذي كان يمنحهم حماية مجانية "(1) .

ومن الواضح وبعد مرور سنوات بل عقود على هذه التحليلات والاستنتاجات أن دولة الإمارات وإتحادها مازال قائماً .. وأن التناقض في الإجراءات التي طالما تناولته الصحف الغربية بإختلاف جنسياتها ليست أكثر من التناقضات في الإجراءات والقوانين بين الولايات الأمريكية على سبيل المثال .

من كل ذلك يتضح لنا كيف تُلوَّن الأحداث والأخبار ، وتُحلَّل وفق المطلوب الإيحاء به !! وكيف تُستغَل الفُرَص بوقوع حدث لتُبنْج

(1) دير شبيجل ، العدد ٢٨ ، في ١٩٧٩/٧/٩ .

المقالات ، وتجري التحقيقات التي تضرب على كل الأوتار في آن
واحد ، وتُعطي صورة عن السلبيات دون الإيجابيات ، بما يعطي
تصوُّراً لمدى ما يكنُّه الإعلام الألماني للعرب ، ومحاولات تصيُّد
أخطائهم على المستوى الشخصي والرسمي ، بشكل يفوق الإعلام
الفرنسي .. وإن كان موازياً لمثيله في الصحف الإنجليزية والأمريكية
كما سيتضح لنا فيما بعد .

ولعل ما تكتبه الصحافة الألمانية مُسيئة إلى العرب هو ما
حدى باحث عربي هو د. سامي مسلّم إلى تقديم رسالته للدكتوراه
عن « صورة العرب في صحافة ألمانيا الإتحادية » كما إهتمّ
مركز دراسات الوحدة العربية بطبع هذه الأطروحة ضمن سلسلة
« أطروحات الدكتوراه » .

وقد تعرّضَ الباحث في دراسته لملاحظات أوليّة حول صورة
العرب في صحافة ألمانيا الغربية ، والعوامل المكوِّنة لأبعاد الصورة ،
ودور وسائل الإعلام في تكوين الصورة ، ثم تناول العناصر
التاريخية للصورة العربية عند الألمان ، من الحرب العالمية الأولى ،
وحتى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأثر السياسة العربية حيال ألمانيا في
هذه الصورة ، ثم تعرّض لصورة العرب في ضوء حرب الشرق
الأوسط الرابعة .. وفي خلال هذا العرض إهتمّ بأثر الإنتصار
العسكري في تغيير الصورة المقولبة ، بسبب الإعجاب بالإنجازات



العسكرية ، وعنصر المفاجأة الذي كان سمة أساسية في هذه الحرب، والذي كان من شأنه التشكيك في الصورة المقولبة الموجودة ، وعلاقة ذلك بتقويم إسرائيل .

وقد ركّزَ الباحث على صورة الإنسان العربي المصري ، والإنسان العربي السوري ، والإنسان العربي الفلسطيني .. وما تلى الحرب من عمليات إنسانية كتبادُل الأسرى ، وتقويم دور القادة السياسيين ، إذ بدا الرئيس السادات كليبرالي واقعي ، والرئيس الأسد كبعثي معتدل ، وفيصل كمُدافع عن التراث ، وحسين كملك شجاع .

وأخيراً إهتمَّ الباحث بشكل مكثّف بما نشرته الصحف الألمانية عن الفلسطينيين ، ودورهم في حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وكيف أن الصحافة الألمانية قد قلّلت من شأن إشتراك الفلسطينيين في القتال ... وصنّفت الفلسطينيين كمُعتدلين ومُتطرفين .

هذا وقد خلُصَ الباحث د. سامي مسلّم إلى عدة إستنتاجات حول صورة العربي في صحافة ألمانيا الإتحادية مؤدّاها أن هذه الصورة قد تطورت حتى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ بشكل يتوازى وتطوُّر العلاقات بين ألمانيا وكل من إسرائيل من جهة ، والأقطار العربية من جهة أخرى بشكل سلبي ؛ نتيجة لتدخُّل العرب في مسألة إعتراف ألمانيا بإسرائيل ، وقيام تبادُل دبلوماسي معها .



وقد نُعِتَت إسرائيل في تلك الصحافة على أنها " البلد الصغير الشجاع المُدافِع عن وجوده ضد التهديد العربي " . وأُمتُدِحَ الجندي الإسرائيلي عبر هذه الأجهزة الإعلامية " لإنجازاته البطولية المُتسِمَة بنكران الذات " .

وبالمقارنة مع هذه الصورة لإسرائيل ، فقد صوَّرَت هذه الصحافة العرب ونعتَتهم " بالمتأخِّرين ، وغير المُتطوِّرين " ، وبأنهم بشكل عام " لم يكونوا جنوداً شجعاناً ، فهُم يفرون جزعاً أمام الجيش الإسرائيلي المنتصِر " .

« وأدانَت هذه الصحافة المقاوَمة ضد الإحتلال الإسرائيلي ، ووصمَت الفدائي الفلسطيني بالإرهاب »[1] .

بينما أكَّدَ الباحث على أن حرب أكتوبر قد حسَّنَت الصورة العربية في صحافة ألمانيا ، نتيجة لتعرُّضها لإختيار العرب توقيت مناسب للحرب ، ونجاحهم في كتمان السر ، وكيف كان ذلك مفاجأة للصحافة الألمانية .. التي أشادَت أيضاً بفعالية التنسيق بين الأقطار العربية المُشارِكة في الحرب .. وبشجاعة الجندي العربي وثباته ، وهي حقيقة تناولَها بحث آخر للدكتورة نادية سالم عن « صورة

---

(1) د. سامي مسلّم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الإتحادية ، ص ١٨٣ ، ص ١٨٤ .

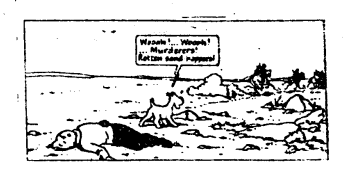


العرب في الصحافة الأمريكية » سنعرض له فيما بعد .

من كل ما سبق يمكننا القول بأن نقاط الإلتقاء بين صحافة أربع دول غربية تكاد أن تكون أكثر من نقاط الخلاف بينها .. إذ لا يوجد خلاف تقريباً إلا في إختيار نقاط الإساءة ، ومستوى التركيز عليها ، وأسلوب معالجتها .

وقد وضحَ من إستعراضنا لِما تنشره صحافة كل من فرنسا وألمانيا .. أن الصحافة الألمانية تفوق الصحافة الفرنسية إلى حد كبير في درجة إساءتها للعرب ، وفي إختيارها لأهم النقاط السيئة ، وهي التي تمس ضمير هذه الأمة مباشرة لتعلُّقها بالدين ، وبقضية العرب الأولى (قضية فلسطين) أو قضية الشرق الأوسط المُسماة الآن بقضية السلام ، والتعرُّض لهذه النقاط بالتشويه .

وفيما يلي نستعرض بعض ما كتبته الصحف الإنجليزية لنتبيَّن موقفها منَّا !! .





العرب في الصحافة الإنجليزية

لابد في البداية أن نُحدِّد المحاور التي تدور حولها الصُحُف البريطانية في إساءتها للعرب ، والتي لا تختلف كثيراً عن مثيلتها في الصحُف الغربية الأخرى .. وإن تميَّزَت بالتركيز على تناول المسائل الخُلُقيَّة والشخصيَّة بشكل مُكثَّف ؛ لتشويه الصورة العربية في نظر الرأي العام كبداية وأساس يمكن بعد تحقيقه إيراد أي إساءات حول نقاط أخرى ، فتجد صدى وقبولاً لدى الرأي العام العالمي ، الذي تكوَّنَت لديه خلفيَّة سيِّئة عن العرب كأُمَّة .

وبإختصار شديد نذكُر محاور إساءة الصحُف البريطانية للعرب بصفة عامة ، وفقاً لترتيب أهميتها بالنسبة للصحُف ، وكثرة ورودها فيها وهي :

- تناول الشئون الشخصية والخُلُقية بالتشويه .
- إستعراض السياسات الداخلية للدول العربية بإغراض (والإهتمام بالسعودية بشكل خاص) .
- الإساءة للإسلام والمسلمين .
- تشويه التاريخ العربي .
- إحقاق اليهود في فلسطين كبديهية .

هـذا وتنجـح الصحافة البريطانية بدرجة كبيرة في الربط بين



هذه النقاط ، وعلى سبيل المثال الربط بين المسائل الشخصية والسياسات الداخلية ، والشئون المحلية العربية .

كذلك الربط بين المسائل الشخصية ، والإسلام كدين ، مع التركيز على السعودية كنموذج للدول العربية ، وكنموذج للدولة الإسلامية معاً ، من مُنطلَق شعورهم بأهميتها إقتصادياً بالنسبة للغرب ، وأهميتها الدينية والسياسية بالنسبة للعرب ، و(عرب الخليج بشكل خاص) .

وبعد ، لابد من إيراد نماذج لما تنشره الصحف البريطانية للإستدلال على أسلوب الإساءة بالنسبة لكل نقطة من النقاط السابقة، فبالنسبة للأمور الشخصية والخُلُقية ، نجد أن الصحافة البريطانية لا تألو جهداً ، مُستخدِمَة شتى الأساليب ، مُدعِّمَة لما تقول بالخبر والصورة ، مُعتمِدَة على الكاريكاتير ، كأسلوب ساخر يخدم بنجاح في هذا الصدد على المستوى الجماهيري ... مُدعَّمَة من أجهزة الإعلام الأخرى – كالتليفزيون – التي تُركِّز على إبراز العيوب الشخصية للعرب . وكمثال إستغلال قضية جَلد إمرأة إنجليزية ، وسَجن زوجها في السعودية للإساءة للعرب ، من خلال إنتاج فيلم تسجيلي عن إعدام الأميرة السعودية .

وقد بذلت الصحافة البريطانية قصارى جهدها للدعاية له ، والكتابة عنه ، وعن أصداء عرضه في المنطقة العربية ، وفيما يلي نستعرض ما كُتِبَ في صحُفُ المملكة المتحدة منذ بداية عام ١٩٨٠



حول الشئون الشخصية ومحاولات تشويه الشخصية العربية ، فنجد جريدة « الديلي ميرور » اللندنية تورد تحقيقاً بعنوان :

« فتيات الجنس يغوين الأغنياء العرب بالذهاب إلى النوادي » .

جاء فيه

« كما تُغري النار الفراشة أُغريَ أغنياء النفط العرب بالذهاب إلى أرقى الأماكن الليلية حيث يُقدَّم الجنس »(١) .

وكمثال أخرى أكثر لَفتاً لنظر القارىء ما نشرتْهُ « الديلي إكسبريس » على صفحتها الأولى ، تهكُّماً على العرب ، وسخريةً منهم في صورة رسم كاريكاتيري يُمثِّل رجُلاً عربياً باللباس الخليجي ، ومعه إمرأة ، وهو يخاطب رجل دين إسلامي قائلاً :

« لقد حصلتُ عليها لتوي من التصفيات ! »(٢) .

وهذا نموذج من آلاف الرسوم التي تسخَر من العرب فيما يختص بالغنى الفاحش ، والشغف البالغ بالنساء ، والتصرُّفات الشخصية المتميزة بالنزق .

هذا وليست الصحف الشعبية وحسب ، بل حتى المجلات

---

(١) الديلي ميرور ، في ١٩٨٠/١/١٢ .

(٢) ديلي إكسبريس ، في ١٩٨٠/١/١٥ .

النسائية لا تخلوا من موضوعات تتفكّه على العرب وتصفُ إسرافهم وبذخهم ، وكمثال الموضوع الذي جاء في مجلة "Woman Own" تحت عنوان : « مَن يريد أن يصبح مليونيراً ؟! » ، والذي تطرّق إلى الحديث عن الثري العربي « مهدي التاجر » كأحد أثرياء العالم ، والذي قالت المجلة عنه :

« إن له أكثر من نمط في الحياة ، وهو يقول عن نفسه : إنني أشعر دائماً بأنني واحداً من أغنى الرجال في العالم .... فأنا أملك من بليون إلى بليونين ، وأشعر أني أستحق أكثر من ذلك ، وأعرف أنه لا يوجد سوى حكومات قليلة تستطيع أن تعطي وخلال ساعات قرضاً بمليار دولار كما أستطيع أنا » .

« والتاجر أنيق إلى حد ما - فخلال سنتين انفق أكثر من ثلاثمائة ألف دولار لحساب خياطه الخاص ، أما ممتلكاته في المملكة المتحدة وحدها فتضم قصراً في مواجهة الهايد بارك ، والآخر في كنجزتون هيل ، ومكتباً في ماي فير ، ومنطقة للصيد بثلاثة ملايين دولار في اسكتلندا .... ويقول التاجر ضاحكاً : إنني أريد فراغاً أكبر في بيتي لتعليق لوحاتي

الزيتية[1] .

هذا ويستطرد المقال في وصف تاريخ مهدي التاجر وعلاقته بحاكم دبي فيشير إلى أنه :

« بدأ في الظهور كأكبر الأغنياء عندما أخذ يدير مكتباً للجمارك في دبي كميناء للتهريب سيىء السمعة ، وقد كان ناجحاً جداً في جمع ريع أو مصدر دخل وفير عن طريق جعل رجال الأعمال يطلبون مساعدته في مفاوضاتهم بشأن تعاقداتهم مع الحاكم الذي كان يصغي إلى نصيحته »[2] .

وطالما الحديث عن الثراء والأثرياء يورد الموضوع مثالاً عربياً آخر من السعودية فيقول عنه :

لقد ذهب إلى ماربيلا في أسبانيا لينثر بعضاً من الجنيهات على مزرعة للنقاهة الصحية ، فهو وأولاده الذكور احتلوا أكثر من طابقين في فندق يتكلف أربعة آلاف دولار يومياً .... وقد أحضر لهم معه ثلاثة طائرات إحداها بوينج ٧٠٧ والأخرتان هليكوبتر ، بالإضافة إلى خمسة وعشرين سيارة رولز رويس ومرسيدس

(١) ،(٢) "Woman's Own" ، ١٦٠ : ٢٣ فبراير ١٩٨٠ ، ص ٤٤ - ٤٥ .

وكاديلاك وثلاثة يخوت . وقد قيل أنه لم يكن هناك نساء .... لأن الأمير كان يرتاح لأيام قليلة »[1] .

كما يورد المقال نفسه نموذجاً عربياً ثالثاً هو السيد « عدنان خاشوقجي » الذي يورد صورة له داخل طائرته الخاصة .. توضح مدى البذخ ، مع إشارة إلى سفراته المتعددة التي تبلغ ١٦٠ ألف ميل شهرياً .

هذا ونجد في عدد واحد من مجلة المُفتَرَض أنها للمغتربين وتصدُر في لندن ، سلسلة من السُخريات من الشئون الشخصية للعرب ، تتمثل في كاريكاتير يُصوِّر رجُلاً عربياً حوْلَهُ مجموعة من النساء العاريات يتحدث في الهاتف[2] .

وعلى صفحة أخرى خبر بعنوان « بطلات السرقة من المحال » جاء فيه أنه :

« وفقاً للتقرير الوارد من لندن فإن النساء العربيات يتربعن على قمة دوري السرقة من المخازن التجارية ، حيث أنْهُن تفوقْن على الإيطاليات والأسبانيات والسريلانكيات ،

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) المجلة الدولية للمغتربين "Expots International" ، فبراير ١٩٨٠ ، ص ٤ .

وحتى السارقات الأمريكيات ، ويذكر مثلاً لذلك أن سيدة عربية إستطاعت سرقة ١٣ محلاً في يوم واحد ، وهذا دليل على حبها لمهنتها ، وأنها كانت تسرق أغلى الملابس والجواهر والعطور »[1] .

هذا وتعْمد الصحُف البريطانية عامة إلى الربط بين الأمور السياسية والشخصية ، وإرجاع كل خطأ عربي إلى الإسلام ، في محاولة لتشويه صورته ، وكنموذج لذلك ما كُتبَ في الصحُف الإنجليزية حَوْلَ فيلم « موت أميرة » وأسيء فيه إلى المملكة السعودية، وإلى الدين الإسلامي معاً .

فمثلاً إستعرَضَت ثلاث صُحُف ومجلات إنجليزية هي « الديلي إكسبريس » ، و« الديلي ميل » ، « ومجلة « ناو » قضية عرض فيلم «موت أميرة » بأسلوب مُغرض دُسَّ من خلاله عن الإسلام والأوضاع الإجتماعية في مجتمع السعودية كنموذج للدولة الإسلامية ، فقد جاءَ في « الديلي إكسبريس » تحقيق بعنوان « لماذا لا تزال الحياة بالنسبة للمرأة كابوس مزعج » دُعِّمَ بصورتين لعملية قطع رأس بواسطة السيف ، إحداهما حقيقية والأخرى للفيلم المُشار إليه، والذي كانت « الديلي إكسبريس » قد نشرَت عام ١٩٧٨ خبراً عن إعدام أميرة سعودية بعنوان : « تسرق حب أميرة - القتل بعد

(١) مجلة "Expots Internationa" ، ص ٥ .



السيف » وتجدَّدَ هذا الحديث بمناسبة معاقبة السعودية لمواطن بريطاني وزوجته بالجَلْد لمخالفتهما لقوانين تحريم المواد الكُحوليَّة .

وقد علَّقت الصحيفة على ذلكْ بعبارات سيِّئة منها :

« كَم هو العدل منقوص وجائر وغير متوازٍ بالنسبة للمرأة في هذه الدولة الصحراوية ...

أما جريمتهم فقد كانت الزنى ، تلك الجريمة التي يُعاقَب عليها بالموت طبقاً لقوانين الصحراء القبلية القاسية .... » .

« لطالما تمتَّع الأمراء والشيوخ بالحُريَّة التي تتيحها لهم عائدات النفط فانغمسوا في مراتع البغاء في بلدان الغرب ....

« إن عدداً كبيراً من النساء العربيات لازلن يُعامَلْنَ كالعبيد في قصور الحريم »(1) .

وتحت عنوان « الليالي العربية » نشرَت الديلي ميل مقالاً عن الفيلم نفسه جاء فيه :

« إن عرض فيلم (موت أميرة) في تليفزيون اي تي في ... قد جعلَ شيوخ جدة والرياض يلتزمون منازلهم ليلاً .... » .

---

(1) ديلي إكسبريس ، في ١٩٨٠/٤/١ .

« وقد تم تهريب وتسريب هذا الفيلم للسعودية رغم الجهود المكثفة التي بذلتها مكاتب الجمارك لعدم إدخال هذا الفيلم ... وهو يشاهد بالفيديو في بيوت سرية هناك »[1] .

أما مجلة « ناو » فقد نشرت مقالاً حول الموضوع نفسه بعنوان « *مجلس حرب ملكي وراء موت أميرة* » جاء فيه :

« *إستدعى الملك الحاكم خالد أقرباءه من المملكة المتحدة هذا الأسبوع ... وجاء هذا الرحيل الجماعي عقب عرض فيلم تليفزيوني عن الحب المحرم الذي أعدمت من جرائه الأميرة ميشه قبل ثلاث سنوات ....* » .

« *إن السعوديين كالإنجليز يحبون العيش في لندن ، ويأتي بعضهم دون شك من أجل المتع والتسهيلات المتوفرة هنا كالنساء والكازينوهات والمشروبات ....* » .

« *إن الشعب العربي شعب حساس جداً ، وسرعان ما يغضب من الفكرة التي تحمل أي تهكم من قبل الغرب ....* » .

(١) ديلي ميل ، في ١٩٨٠/٤/١٩ ، ص ١٩ .



« والمسلمون الورعون يرون أن البريطانيين قد ذهبوا بعيداً هذه المرة ... ويرون أنهم أصابوا طرف العصب الديني .... » .

« إن الإجراءات التي أُتُخِذَت كانت هي الإجراءات التي تفرضها العادات القبلية أكثر مما تفرضها التعاليم الدينية . لذلك فالقضية جرَت تسويتها فيما بين العائلة السعودية الحاكمة .... » .

« وقد واكبَ ذلك قضية أخرى أصبحَت تواجه الملك خالد المريض من جراء مقال نشرته الفاينننشال تايمز حول عمولات دخلَت حسابات بنوك بعض أبناء العائلة السعودية من جراء صفقات بترول أُجريَت حديثاً »[1] .

ومما سبق يتضح كيف تُستغَل قضية واحدة لتفتيح ملفّات أمور أخرى كثيرة لإستكمال الصورة المُشوَّهَة التي يحاول الغربيون رسمها للعرب .

ومن خلال الحديث عن الفيلم نفسه كتبَت « الأيكونمست » مُسيئة إلى الأسرة المالكة السعودية فومدافعة عن التعاليم الإسلامية

(١) "Now" ، في ١٩٨٠/٤/١٨ .

التي يتضح منها نظرة المجلة الموضوعية إلي الفرق بين الإسلام والمُمارسَات القبلية ، ومنها يتضح أن صُحُف الصفوة تختلف في تناولها للأمور عن الصحف الشعبية ، التي لا تتوخى الدقَّة ، بل تُهاجِم لمجرد الهجوم ، ويتضح هذا الفرق بمطالعة ما كتبَته الاكونوميست :

« « إن موضوع فيلم (موت أميرة) أثارَ نقطتين :

أولاً : المزج بين الحقيقة والخيال .

ثانياً : إنحراف السعودية عن العدالة الإسلامية ، فالمُخرج كان يحاول أن يعطي صورة عن الخلفية الوحشية كما في العصور الوسطى ... فهو ليس رومانسياً ، بل يحكي قصة فتاة طائشة قُبِضَ عليها وهي تبحث عن اللذة والسعادة غير الشرعية ، دافعة حياتها وحياة شريكها ثمناً لذلك .... » .

« فالإعدام نُفِذَ فيها وفي عشيقها دون مُحاكَمَة ، بل بناء على أوامر جدِّها .. وهذا لم يتم بقانون الإسلام بل بقانون القبيلة »(١).

---

(١) الأكونمست ، في ١٩ - ٢٥/٤/١٩٨٠ ، ص ١٣ ، ١٤ .

ذلك في حين ربطت مـجلة « ناو » بين هذا الموضـوع وبين العلاقات السياسية السعودية / البريطانية بأسلوب ساخر في كاريكاتير يُمثِّل رجُلاً يتحدث في الهاتف مع مسؤول ، ووقفَ خلفه إثنان باللباس العربي وهو يقول :

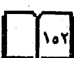
« اعتقدُ أن رسالة من مدير التليفزيون يذكُر فيها انه كان يفضِّل لو تُقطَع يده اليمنى عن أن يخالف قصراً »(١) .

وذلك تعليقاً على المساعي الجارية لإصلاح العلاقات السعودية البريطانية التي أثَّرَ عليها كثيراً عرضُ هذا الفيلم . هذا وقد كانت السعودية دائماً محوراً للإساءات الغربية من مُنطلَق كونها المَركَز الإسلامي الأول ، والطعن فيها هو طعن في التعاليم والعقائد الإسلامية من خلال الإساءة إلى شعبها ، وعاداتها ، وتقاليدها .

كما كانت خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٩ بسبب أحداث الحرم المكّي ، وآثار الثورة الإسلامية في إيران ، والتي أُستُغِلَّت في الصحافة الغربية والإنجليزية بالذات كثغرة هوجِمَ من خلالها النظام السعودي ، والإسلام ، والحياة الإجتماعية في السعودية ، ثمَّ كانت مُناسبَة عرض فيلم « موت أميرة » مُناسبَة أخرى للإساءة للسعودية، ناهيك عن الإساءات التي تأتي عَرَضاً دون مناسبات تُستغَل لعمل

---

(١) "Now" ، في ٢ : ٨ مايو ١٩٨٠ ، ص ١٨ .



حملات صحفية مكثفة ضد هذه الدولة بالذات ... وقد تركزت الكتابات الصحفية عن السعودية في إستعراض آثار الثورة الإيرانية داخل السعودية ، ومظاهرات الشيعة في المنطقة الشرقية ، وبروز خلافات بين الأمراء ؛ مما هزّ وضع الأسرة الحاكمة ، وأدى إلى تغييرات في المناصب القيادية .. ونشطت لذلك الصحف الغربية في نشر إنتقاداتها لتصرفات الأمراء .. وتصوير الأحداث داخل السعودية على أنها سخط عام على النظام القائم .. مما جعل الصحف تجزم بأن بقاء النظام السعودي لن يزد عن عامين إلى خمس أعوام على الأكثر(*) .

أما عن الإساءة إلى الإسلام من خلال الإساءة إلى السعودية فنورد نموذجاً عليها من مجلة « التايم » التي أوردت مقالاً بعنوان «*الإسلام في مواجهة الغرب* »(1) جاء فيه أن هذا النفوذ المُعادي للأئمة بدأ يُقلق الزعماء المسلمين الآخرين كالعائلة الحاكمة السعودية .. كما جاء في المقال ما مؤداه أن عداوة الإسلام للغرب ناتجة عن إدخال الغرب للحضارة في قراءة الفارقة في اللازمن ، وأن العلم والتكنولوجيا الغربيين قد جرحا الكبرياء الإسلامي جرحاً غائراً ، فأصبح الإسلام أداة لبعض الكراهيات ضد أمريكا والغرب ، كما تناول المقال السنّة والشيعة بالمُقارنة ، وقال بأن الفرق بينهم أكبر

(*) راجع « الفاينتشال تايمز » في ١٩٨٠/٢/٥ و« الميدل ايست » ، عدد يناير ١٩٨٠ ، ص ١٠ .

(1) التايم ، في ١٩٧٩/١٢/١٧ ، ص ٢٢ – ٢٣ .

من الفرق بين الكاثوليك والبروتستانت .. وأن على الإسلام إذا أراد أن يُصبح منافساً للرأسمالية والماركسيه أن يأخذ بالتطوُّر ، وذلك قد يُضعِف تركيبه الأخلاقي والروحي إلى الأبد .. ذلك أن الإسلام لم يُثبِت حتى الآن أنه أداة تغيير إجتماعي أو أن له برنامجاً يستطيع مجابهة العالَم الحديث(*) .

هذا ونجد أن التهكُّم على الإسلام كدين وفكر يرِد كثيراً في الصحُف البريطانية في شكل رسوم كاريكاتورية وأخبار طريفة ساخرة .. وعلى سبيل المثال ما نشرَته مجلة المغتربين تحت عنوان : « التغلُّب على مشاكل اللغة » والذي يقول أن :

« امرأة عربية من سلالة الرسول محمد (ص) قامت بتأليف كتاب بعنوان (التغلب على مشاكل اللغة) عدد صفحاته ٢٧٤ صفحة منها ٢٦٠ صفحة بيضاء تماماً ولذا فهي مقروءة تماماً »(١) .

ولا يخفى ما في ذلك من تهكُّم على الفِكر العربي الإسلامي.

وفيما عدا الشئون الشخصيَّة والإساءة إلى الإسلام تعتني الصحُف البريطانية باستعراض أحداث المنطقة خبرياً ، وإيراد تحليل للشئون والسياسات العربية الداخلية خاصة في منطقة

(*) التايم نفس المرجع السابق .

(١) مجلة المغتربين العالمية ، في فبراير ١٩٨٠ ، ص ٢ .



الخليج، والجزيرة العربية .. ومن خلال مقالات التحليل الإخباري ، وتلوين الأخبار تُستكمَل الصورة المُشوَّهة للعرب في الصحافة البريطانية .

وكنموذج للإهتمام البريطاني بعلاقات دول الخليج وخلافاتها ما نشرَته « الفاينتشال تايمز » في مقال تحليلي إستنتَجَت فيه أن عُمان بعد أن إستقرَّت داخلياً سوف تتجه إلى ترسيم حدودها الشمالية ، لتحديد المناطق المُختَلَف عليها خصوصاً واحة البريمي ؛ ذلك أن الخلاف ليس على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية إذ أن معظم الحدود مُتفَق عليها بإستثناء هذه الواحة(*) .

وكانت مجلة « ايفنتس » "Events" قد كتبَت تحت عنوان «حرب المستشارين »[1] عن ترسيم الحدود بين السعودية والإمارات العربية المتحدة . فأفاضت في الحديث عن تاريخ المنطقة منذ سنة ١٩٦٥ ، ثم ذهبَت إلى موضوع الحدود فنشرَت تفصيلاً للإتفاق بشأنه مشيرة إلى أن من قامَ بالمجهود الكبير في الوصول إلى هذا الإتفاق ، هو مهدي التاجر .. وإلى وجود خطأ في ترسيم الحدود بعد الإتفاق كان نتيجته ضم بعض الأراضي العُمانية إلى المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة .

(*) راجع « الفاينتشال تايمز » في ١٩٧٦/١١/١٧ .
(١) ايفنتس ، في ١٩٧٦/١٠/١٥ .

ولا يخفى بالطبع ما يرد في ثنايا مثل هذه المقالات من دس وإثارة للحساسيات لأن الحديث عنها يستتبع بالضرورة الولوج إلى مناقشة قضية التجنُّس في دولة الإمارات ، وإلى موضوع قبائل الشحوح المتواجدة في رأس الخيمة .. وإلى محاولات إبراز نقاط الخلاف وتجسيدها .

وما يحدث عادة في كتابة الموضوعات ذات الطابع السياسي هو محاولة الصحُف البريطانية إيراد خلفيّات تاريخية يتم فيها تشويه أحداث التاريخ ، ووصف عرب المنطقة بالقراصنة ووصفها بأنها « ساحل القراصنة » والقول كمثال بأن :

> « أسرة القواسم إشتهرت شُهرة واسعة واكتسبت صيتاً سيئاً كقوة بحرية كبيرة في منطقة الخليج ، وكان أسطول تلك الأُسرة مصدر رُعب لسُفن اثرياً التجارة بسبب اعمال القرصنة »(١).

هذا وتتبنى الصحافة البريطانية مُهمَّة التلويح بالتهديدات الأمريكية في ثنايا ما تكتبه عن الأحداث الداخلية في منطقة الخليج، كما تحاول الإيهام بخطورة الموقف ، والتخوّف والقَلَق السائد في

(١) هنا لندن ، فبراير ١٩٨٠ ، ص ١٢ ، مقال بعنوان « أصول دولة الإمارات العربية المتحدة » .

المنطقة .

وعلى سبيل المثال ما نشرته جريدة « هيرالد تريبون » تحت عنوان « الإضطرابات سوف تتركز في مضيق هرمز[1] .

هذا وتعنى الصحافة البريطانية بإنعكاسات الأحداث العالمية على المنطقة العربية ، كما تعنى بالشئون الداخلية وتأثرها بهذه الأحداث ، ويتمثل ذلك فيما نشرته « الفاينشال تايمز » تحت عنوان « كيف يستفيد معيدو التصدير بسوق دبي من التناقض الإيراني » ويستعرض هذا المقال كيف إستفادت دبي من أحداث إيران في تجارتها ، وقد جاء في هذا المقال ما نصه :

« إن بإستطاعة دبي دائماً العودة إلى ممارسة تجارتها القديمة فيما إذا نفذ النفط ، هذه التجارة التي تعتبرها الحكومات المجاورة تهريباً ، بينما يراها المسئولون في دبي بصورة أخرى نوعاً من إعادة التصدير .... » .

« وقد علق أحد المراقبين على ذلك قائلاً : عندما تحدث أي ثورة أو فوضى سياسية في أي من الهند أو إيران أو باكستان فإن دبي تحصد الأرباح .... » .

(1) هيرالد تريبون ، في ١٩٧٩/١٢/٢٢ .

« ومنذ الثورة الإيرانية وإحصائيات حكومة دبي تُظهر إرتفاعاً ضخماً في التجارة ....

« وتعتمد معظم الأسماء الكبيرة في دبي وأغلبها إيراني الأصل على هذه التجارة »(1) .

وتناولت هذا الموضوع أيضاً مجلة « الميد » ، وهذه المجلة بالذات كان لها النصيب الأكبر بين الصُحُف والمجلات البريطانية التي تهتم بمناقشة الشئون الخليجية في أدّق تفاصيلها المتعلقة بالشئون الداخلية لكل دولة(*) .

والحقيقة أن المحوّر الأخير الذي ذكرناه سلفاً والذي لا يرِد ذِكره كثيراً في الصحُف البريطانية هو إحقاق اليهود في أرض فلسطين ، فهو ما لا تُركِّز عليه صُحُف المملكة المتحدة إلا بصفة عابرة في المجلات المتخصصة التي تورده وكأنه معلومات بديهية ، وكمثال مجلة « عالَم المعرفة » التي أوردَت موضوعاً بعنوان « إسرائيل أرض الميعاد » تحدثَت فيه كخلفية تاريخية لدولة إسرائيل وكأنه دعاية صريحة لها(**) . والواقع أن عدم الإهتمام

---

(1) الفاينتشال تايمز ، في ١٩٨٠/٢/٢٨ ، ص ٦ .

(*) الميد ، في ١٩٨٠/٤/١١ ، مايو ١٩٧٩ ، ١٢ مارس ١٩٨٠ .

(**) راجع عالَم المعرفة "World of Knowledge" ، العدد ١٣ ، في ١٩٨٠/٤/١٩ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٩ .

بهذا الأمر يتناقض وتاريخ بريطانيا ، التي منحت اليهود هذا الحق من البداية .. ولكن الصحافة البريطانية لا تُركِّز عليه حالياً بشكل مُباشر .. إلا أنه في ثنايا تناوُلها لأي حدَث يُشتَم هذا الإحقق .. ويرِد وكأنه بديهيّة لا جدال حولها .

هذا وقد كان لي شرف إعداد دراسة ميدانية وتحليلاً لمضمون الصحافة البريطانية فيما تنشره حول صورة عرب الخليج بالذات(*) ومن خلالها إطلَعتُ على كَم هائل مما تنشره الصحف البريطانية على إختلافها كصحُف صفوة ، وصحُف شعبية ، وخلصتُ إلى عدة نتائج حول الفروق في الرؤية الصحفية البريطانية لنا ، والصورة الذهنية المنطبعة لدى الشعب البريطاني ، حول عرب الخليج بالذات ، فوجدتُ أن صحُف الصفوة تتناولهم بموضوعية ، حيث يتم هذا التناول من خلال موضوعات جادة عادةً .. في حين أن الصحُف الشعبية أو ما يُسمى بـ صحُف النفاية » تُسيء إليهم كثيراً ، إذ تتناول أموراً شخصية ، وتُركِّز على المساويء والفضائح ، وهذا الأمر ليس جديداً عليها ، فهي صحُف صفراء تبحث غالباً عن هذه النوعية من الأخبار الطريفة ، حتى بالنسبة للبريطانيين أنفسهم ، وليس العرب فقط .

(*) أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الصحافة من جامعة القاهرة - كلِّية الإعلام ، أكتوبر ١٩٨٨ .

كما خلصتُ إلى أن الصورة الذهنية المُنطبِعَة لدى البريطانيين عن عرب الخليج ، صورة طيبة ، إذ أنهم مقبولون في معظم العلاقات الإجتماعية – كالصداقة والجيرة والزواج والزيارة .... وما إلى ذلك ، خاصةً بالنسبة لمَن عاشوا فترة في المنطقة ، ويعرفون أهلها عن قُرب، ويقوِّمونهم بموضوعية ، إذ يذكرون المحاسن والمساوىء ، ولا يُركِّزون على جانب واحد من الصورة .

كذلك إهتم بهذا الموضوع – صورة العرب في الصحافة البريطانية – باحثاً آخر هو الدكتور حلمي خِضر ساري(*) ، إذ كانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه بمثابة دراسة إجتماعية ، تتبُّعَت الصورة من زمن الحروب الصليبية إلى القرن التاسع عشر ، ثم القرن العشرين ، من خلال الأدبيات الأكاديمية والتعليمية ، والكُتب التعليمية الشعبية ، وكُتب التاريخ والعلوم الإجتماعية المُقرَّرَة للتدريس ، ثم في وسائل الإتصال الجماهيرية والتليفزيون .

وقد تعرَّضَت الدراسة لحَربي يونيو ١٩٦٧ ، وأكتوبر ١٩٧٣ ، ثم المبادرات السلمية وأثرها في تشكيل الصورة .. وهي على أي حال دراسة جديرة بالمُطالَعَة .

(*) منشورات دراسات الوحدة العربية – سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم ١١ ، « صورة العرب في صحافة بريطانيا – دراسة إجتماعية للثبات والتغيُّر في مُجمَل الصورة » .



« الصحافة الأمريكية »

من خلال مُطالَعَة عينة عشوائية من الصحُف والمجلات الأمريكية خلصنا إلى أن محور إهتمام الصحافة الأمريكية المكتوبة عن العرب، هو تشويه صورتهم ، في مقابل تمجيد إسرائيل ، كنتاج عام لكل ما يُكتَب عن الشئون الشخصية وعن السعودية ، وسياسة الأُسر الحاكمة في الخليج ، وعن آثار الثورة الإسلامية ، وعن الإشارة إلى الذُعر العام في الخليج من جراء قيام الثورة الإيرانية .. كل ذلك يُوظَّف لخدمة القضية السياسية الأم التي يهتم الإعلام الأمريكي ككل بشحن المواطنين الأمريكيين بالنسبة لها ضد العرب ، ومع إسرائيل على طول الخَط ، وذلك حتى يتسنى لأمريكا دعم إسرائيل بشتى الوسائل دون إعتراض ما من أي هيئة برلمانية أو شعبية .. فالكل مشحون ضد العرب ، ومع اليهود كأفراد ، وكأُمَّة على مستوى الفهم الشخصي ، أو السياسي .

والحَق يُقال أن الصحافة الأمريكية قد نجحَت إلى حد كبير – في غياب الإعلام العربي المدروس – في وضع العرب كقوم في صورة سيِّئة ومُشوَّهَة في ذهن المواطنين الأمريكيين ، وذلك بإتباع أساليب شتى ، يحكمها بالأساس فهم ووعي إعلامي بكيفية توجيه الرأي العام ، فالصحافة الأمريكية تختار الوقت المناسب تماماً للترويج لأي فكرة ، متمشية مع الأحداث ، كما أن الصياغة الصحفية



تخدم الفكرة من حيث إختيار الألفاظ السلبية والمُسيئة دائماً ، في مقابل إختيار العبارات والصفات الإيجابية بالنسبة لليهود عامة ، وإسرائيل خاصة ، في مقارنة مُباشرة أحياناً ، وغير مُباشرة أحياناً أخرى .

كما أن إختيار مكان نشر المادة الصحفية يترتب عليه أيضاً الوصـول إلى الهدف ، فعلى سبيل المثال تُبرَز الأخبار المُسيئة للعرب ، وتُنشَر في الصفحات الأولى وبعناوين مُلفتَة للنظر ، في حين يُراعى عدم إبراز ما يشين إسرائيل من أخبار .. ناهيك عن إستخدام الكاريكاتير كأسلوب عميق التأثير ، يعمُد إلى التشهير بالعرب ، ويؤتي نتائج أفضل مما تأتي به مئات الأخبار والمقالات .

وتُركِّز الصحُف الأمريكية على السعودية بالذات أكثر من غيرها فيما تكتبه عن العرب ، سواء على المستوى الشخصي أو السياسي ، ونورد فيما يلي نماذج لِما تكتبه الصحُف والمجلات الأمريكية عنها في مناسبات عديدة ، منها حادثة مكّة وإرتباطها بثورة إيران ، ومنها إنتاج فيلم « موت أميرة » ، وكلها فُرَص تنتهزها صحُف أمريكا ، وتستغلها أسوأ إستغلال ، سواء كسرد خبري مُغرِض ، أو كتحليل لخلفيات الأحداث . وكمثال لذلك ما كتبَته «النيوزويك » مُستغلّة خبراً عن المرض المفاجيء للملك الراحل خالد ، لتنتهزها فرصة للحديث عن الأسرة السعودية ومدى الإهتمام الغربي

بالمملكة العربية السعودية ، الذي يتضح من تحقيق مطوَّل جاء فيه :

« جعلت احداث إيران وافغانستان المملكة السعودية بمثابة الدعامة الأساسية لأمن المعسكر الغربي في المنطقة العربية ، ولقد وضعت هذه الأحداث السعودية تحت المجهر الدولي »[1] .

ويخوض المقال في الحديث عن الأمن السعودي الذي إهتزَّ كأسطورة ، وإلى أن النظام السعودي هَش ، وإلى موضوع خلافة الملك خالد ، والحوادث الشيعية في المنطقة الشرقية من السعودية والتي كانت من آثار الثورة الإيرانية وإذاعتها التي تبثُّ للخليج ، كما يشير إلى الفساد المُستشري في السعودية على أنه أكبر خطر يُهدِّد العائلة السعودية الحاكمة ، والذي كان نتيجة من نتائج البترول والثراء الفاحش لثمانمائة أمير سعودي ، ويشير إلى فضائح وعمولات يتقاضاها الأمراء لتسهيل عَقد صفقات مع شركات مقاولات عالمية .

هذا وقد كان إنتاج فيلم « موت أميرة » دافعاً ثانياً للخوض في السياسة السعودية والإساءة إلى الأسرة الحاكمة فيها ، وتناوُلها

(١) نيوزويك ، في ١٩٨٠/٣/٣ ، تحت عنوان « الدعاية الأمنية المزعومة لأمريكا » .

بكل سوء .. وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كتبَت مجلة « تايم » الأمريكية تحت عنوان « *مسرحية موت تُعكّر صفو عائلة مالكة* » ، مقالاً جاء فيه :

« *إن الذي أغضبَ السعوديين إلى جانب عرض الفيلم الذي يتضمّن بعض الحقائق الإجتماعية والتاريخية المجهولة هو الطريقة التي صوّرت بها حياة نساء العائلة المالكة . إذ يصوّر الأميرات العربيات كمُغفّلات ليس لهن من هَم سوى مشاهدة التليفزيون ، وسماع موسيقى الرقص ، وممارسة الجنس المُحرّم .... كما تظهَر بنات العائلة المالكة وهنّ يقطعن الصحراء في سيارات ليموزين بحثاً عن علاقات غرامية عابرة* »(١) .

ويشير المَقال – المُدعَّم بالصوَر لمقتَل الأميرة – إلى إضطراب العلاقات بين السعودية وكل من بريطانيا وأمريكا ، بسبب هذا الفيلم .. ولا يخفى ما في هذا المقال من إشارة إلى أن الفيلم يصوّر واقع الحياة في السعودية ، بل إن بعض الصحُف الأمريكية الأخرى عمدَت إلى الإشارة إلى أن الفيلم قد تمَّ عرضه على ٥٠ من الخبراء

(١) تايم ، في ١٩/٥/١٩٨٠ .

في الحضارة العربية والإسلامية فقالوا بأن الفيلم « متوازن وحساس »[1] .

هذا وتهتم الصحافة الأمريكية برصد آثار الثورة الإيرانية على البلاد العربية ، وتصويرها على أنها أثارت الرُعب في المنطقة المحيطة بإيران . وعلى سبيل المثال ما نشرَتهُ « نيوزويك » تحت عنوان « خليج المخاوف » مُتناولَة إنعكاسات الثورة الإيرانية على دول الخليج ، مُصوِّرَة أنها أدَت إلى زيادة إهتمام شيوخ الخليج بمصالح وأماني شعوبهم ، دون إغفال للإشارة إلى أن السعودية كانت أكثر البلدان العربية تأثُراً بهذه الثورة . فيُشير إلى أن البحرين قد منَعَت بيع لحم الخنزير – وهي الدولة الأكثر تحرُراً في الخليج – وذلك نظراً لتخوُف الحكومة البحرينية من بوادر الثورة الإسلامية .. كما يقول المَقال بأنه :

« على إمتداد منطقة الخليج اخذَ الحُكام الذين طالما إعتبَروا انفسهم مُطلَقي السُلطة ، يُدرِكون بشكل واضح عدم قدرتهم في وجه القوى الراديكالية الداعية إلى التغيير . فعلى حد قول أحد المُحللين المُلمين بقضايا الشرق الأوسط فإن الجميع يعلمون بان المنطقة قابلة

(١) نيوزويك ، في ١٩/٥/١٩٨٠ ، ص ٥٨ .

للإنفجار »[1] .

ولا يخفى ما يتضمنه مثل هذا القول من تكريس لصفة «سلطوي » ، التي يصم بها الغرب العرب جميعاً ، ناهيك عن الحديث عن سوء توزيع الثروة في العالم العربي ، وفي دول النفط بالذات .

ويشير المقال إلى إجراءات توزيع الثروة في الكويت عن طريق تكثيف الخدمات الممنوحة للمواطنين .

ويشير إلى سمة « إستعراضي » من خلال الحديث عن تفكك عرى إتحاد الإمارات ، التي يقول عنها :

« حتى عهد قريب لم يكن بين المشيخات السبع التي تتألف منها الإمارات العربية المتحدة أي شيء مشترك ماعدا الإسم ...

« إن التفاوت بين المشيخات ، ورحلات الإستعراض الشخصي للشيوخ نتج عنها التنافس على بناء المطارات والمشاريع الصناعية ، كذلك التنافس على طريقة إدارة البلاد »[2] .

وجدير بالذكر أن هذه النغمة مازالت سائدة حتى منتصف

---

(١) نيوزويك ، في ٣/٣/١٩٨٠ ، ص ٢٠ .

(٢) نفس المرجع السابق .



عقد التسعينيات ، وهي الإيهام بأن إتحاد الإمارات هش وسوف ينهار ، وأنه لولا وجود سمو الشيخ زايد لتداعى ، وكأنها أمنية يتمناه الغرب لأنجح تآلف عربي .. وحمداً لله أن خاب ظنُّهم على مدى عقدين أو يزيد .

هذا ويشير نفس المقال إلى إهتزاز نظرة دول الخليج بالنسبة للسعودية بعد حادث الحرَم المكِّي ، حيث بدأوا يشعرون أن الحكَّام السعوديين فقدوا سيطرتهم ؛ نتيجة لإبتعادهم عن شعبهم ، ونتيجة « للتفاوت الكبير في توزيع الثروة ما بين فقر مدقع واستهلاك غير منطقي » .. ذلك إلى جانب تخوُّف دول الخليج من إمتداد الثورة الإسلامية ، الذي وصلَ إلى حد إمكانية وصفه « بالكابوس الذي لا يُرجَّح أنه سيزول » .

كما تشير مجلة أمريكية أخرى إلى إمكانية أن تكون السعودية إيران ثانية . وذلك في مقال يحمل عنوانه هذا المعنى :

« العربية السعودية - هل تكون إيران التالية ! »(1) .

وقد تناول هذا المقال إشارة إلى خلفيَّات حادثة الحرَم ، كما تحدثَ عن العلاقة الخاصة بين السعودية وأمريكا وإستجابتها لمطالبة

(1) ريدر ديجست ، مايو ١٩٨٠ ، ص ٦٨ : ٧٤ ، بقلم كارل روان .



الرئيس الأسبق كارتر بزيادة ضخ البترول رغم ما يكنّه السعوديون له من بغض .. وإشارة إلى أن الإستجابة الدائمة لواشنطن ، قد تكون سبباً في ضيق بعض أفراد الأُسرة الحاكمة وثورتهم .

وعدى عن الخوض في السياسات العربية ومحاولات الإيهام بتفاقُم الخوف في المنطقة ، وما فيها من سلبيات سياسية ، يرِد أيضاً في الصحُف الأمريكية إساءات شخصية كثيرة في إطار الحديث عن السياسة ، فعلى سبيل المثال ما جاء في المقال المنشور في « الريد ردايجست » السالف ذِكره مثل القول بأن :

« ضخامة الدخل من النفط أدّت إلى إنتشار الفساد في السعودية كما سبق أن أدّت في إيران ، حتى بين أفراد العائلة المالكة نفسها .. فهناك تقارير حول زيادة البغاء في السعودية ، وكذلك حول قيام المسلمين بشُرب الخمور ، وحول تصاعد نسبة الجرائم »[1] .

كما تشير مجلة أمريكية أخرى إلى مدى الإسراف العربي وذلك تحت عنوان « ليلة عربية بـ ١٠,٠٠٠ جنيه استرليني »[2]

---

(١) نفس المرجع السابق .

(٢) "News of the World...." ، في ١٩٨٠/١/٦ ، ص ١٣ .



أشارت فيه إلى دعوة أحد الشيوخ للفرقة الموسيقية المُسماة « هوب هورية » لإحياء ليلة رأس السنة الميلادية في أحد الفنادق التي يملكها شخصياً .. وقد دفع مبلغ العشرة آلاف جنيه أسترليني مقابل عزف الفرقة لمُدة خمس ساعات فقط وقضاء ٢١ ساعة فقط خارج وطنها « *ودفع أثرياء النفط العرب كل المصاريف* » على حد تعبير المجلة.

وفيما عدا النيل من الشئون الشخصية .. نجد أن المجلات الأمريكية تعمد أيضاً إلى السخرية من الدين الإسلامي ، خاصة بعد ما بدأ المد الثوري الإسلامي يشتد .. ذلك إضافةً إلى محاولات نشر النزعات الإلحادية ، من خلال المقالات الفلسفية ، ومن خلال فن الكاريكاتير كأسهل السُبُل ، وأقصرها ، وأكثرها تأثيراً .. وكمثال لذلك ما تنشره مجلة « بانش » من نكات متطرفة تمسُ الأديان عامة والأنبياء وحتى وجود الله ، بأسلوب ساخر يصوِّر أن الله يمكن خداعه(*) .

كما تعمد إلى الإساءة إلى العرب من خلال الكاريكاتير أيضاً وكنموذج تصويرهم ككلاب حراسة على أوطانهم وأرضهم بعد رفع العلَم الأمريكي عليها بخديعة من كارتر الذي يُصوَّر مُرتدياً الغترة العربية والعقال(**) .

(*) بانش ، في ١٩٨٠/١/١٦ ، ص ٧٨ ، ٩٤ .

(**) بانش ، العدد نفسه ، ص ٩٧ .

وفي مقابل كل ما تنشره الصحافة الأمريكية مُسيئة إلى العرب في شئونهم السياسية والشخصية بما يمسُّ تقاليدهم ، ومُقدَّاستهم ، تنشر الصحف الأمريكية كل ما يوحي بعظَمَة اليهود وعظَمَة الدولة الصهيونية عسكرياً وسياسياً ، وكل ما من شأنه إثارة التعاطف مع اليهود .. وحصولهم على التأييد العالَمي . وذلك برَسم صورة جيدة لهُم ، في مقابل رسم صورة مُشوَّهَة للعرب . وتمتلىء الصحُف والمجلات بوصف الضعف العربي ، ويتم ذلك بتمجيد القدرة العسكرية الإسرائيلية في مقابِل ما يُنشَر عن أعداد الجيوش العربية وقُدراتها المُتخاذِلَة حتى عن حماية أراضيها وثرواتها .

ذلك عدا عما يُكتَب عن السياسة الداخلية لإسرائيل ، وما تتسم به من ديمقراطية وحريَّة ، في مقابل ما يُكتَب عن الدول العربية، ونُظُم الحكم فيها التي تتسم بالقبلية ، وتسيير الأمور فيها ، الذي تُحرِّكهُ نزعات فردية أو علاقات أُسرية ، وعشائرية ، ناهيك عما توصف به نُظُم الحكم العربية من فساد – كما سبق إيراد نماذج لذلك – بالإضافة إلى محاولات إستثارة العواطف تجاه اليهود بإعادة ذِكر تاريخهم مع النازية ، وما تعرَّضوا له من مذابح جماعية ، ومحارِق بشرية ، وما قاسوه من ويلات ونكبات على مر العصور[1] .

بذلك نكون قد إستعرضنا بعض مما تنشره الصحُف

(١) نيوزويك ، في ١٠/٣/١٩٨٠ ، ص ٢٨ .

الأمريكية كنموذج لما يُسيء إلى العرب ، ويسوءهم في حياتهم السياسية والشخصية ، وما يمس عاداتهم ومقدساتهم .. وذلك في إطار الدراسة الشاملة لصحافة أربعة دول غربية هي فرنسا ، وألمانيا ، والمملكة المتحدة ، والولايات المتحدة الأمريكية .

هذا ولابد من التنويه إلى أن دراسة الصحافة الأمريكية قد جاءت مختصَرَة إلى حد ما ، قياساً بحجمها ، كعدَد صحُف ، ومدى إنتشارها ، وكميات توزيعها داخل الولايات المتحدة ، وفي شتى أنحاء العالَم .. ولعل إتجاهنا إلى الإختصار قد كان له ما يُبرِّرَهُ نظراً لأن ما تنشره يتركز في نقاط قليلة تدور كلها حول محور واحد هو التعصُّب الأمريكي ضد العرب ، المُتأثِّر بالدعاية الصهيونية ضدهم .. ومن منطلقات محدَّدَة الإهتمام بالمنطقة العربية ، ومنطقة الشرق الأوسط لحساب إسرائيل .. والرغبة في توفير الطاقة .. والنفوذ إلى المنطقة العربية ، والهيمنة عليها بهذا المفهوم .

كذلك جاء المبحث الخاص بالصحافة الأمريكية مختصراً لوجود دراسة جيدة للإعلام الأمريكي مع التركيز على الصحافة بعنوان « الإعلام الأمريكي والعرب » من إعداد دكتور / أدمون غريب .. ضمنها شرح واف لأساليب الإعلام الأمريكي في قولبة الشخصية العربية داخل نمط ثابت في أذهان الشعب الأمريكي خدمة للأهداف الصهيونية ... كذلك تضمَّنَت تحليلاً لأسباب نجاح

الإعلام الصهيوني ، وفشل الإعلام العربي في تغيير الصورة العربية المشوهة .. مع رسم للخطط الإعلامية القصيرة المدى ، والطويلة المدى التي تُمكّننا من تغيير صورتنا لدى المواطنين الأمريكيين .

هذا ويمكننا القول دون مبالغة بأن الإختصار كان واجباً أيضاً لأنه مجرّد إضافة إلى عديد من الدراسات القصيرة والأطروحات الجامعية التي تناولت بالدراسة صورة العرب في الإعلام أو في الصحافة الأمريكية ، نشير هنا إلى بعض منها لمن يريد الإستزادة في هذا المجال .

ونخصُّ بالذكر رسالة الدكتوراه الخاصة بالراحلة المرحومة الدكتورة نادية سالم خبيرة ورئيسة وحدة بحوث الرأي العام والإعلام السابقة بالمركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية بالقاهرة – والتي تحمل عنوان « صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية »(*) . والتي خلصَت فيها الباحثة إلى أن الصحافة الأمريكية حرصَت على رسم صورة مُشوَّهَة للعرب ، في مقابل صورة جيدة للإسرائيليين ، وقد قارنَت الباحثة بين الصورتين وأثر الحروب الكبيرة ، وتغيير القيادات على هذه الصورة ، ورأت أن لنتائج الحروب آثار بالغة في تغيير الصورة الذهنية ، حيث كانت نتائج

(*) منشورات معهد البحوث والدراسات العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عام ١٩٧٨ .



حرب يونيو ١٩٦٧ أحد الأسباب التي ألصقت بصورة العربي العديد من الصفات السيئة .. كما أن لانتصار أكتوبر ١٩٧٣ أثره أيضاً في تحسين الصورة العربية خاصة الصورة المصرية .. بينما ظهرَت صور فرعية للإنسان العربي منها صورة الفلسطيني الذي وُصِفَ به الإرهاب والتعصُّب » وكَم من الصفات الذميمة . كذلك ظهرَت صورة أخرى فرعية للعربي الخليجي أو النفطي .. أُلصقت بها عِدة صفات سيئة منها : « الإبتزاز والثراء الفاجيء ، والسفه والإسراف » ، إلى آخر قائمة الإساءات التي درجَت الصحافة الأمريكية على ذِكرها .

ولعلَّهُ ليس مُستَغرَباً أن تُركِّز الصحافة الأمريكية ، أو الصحافة الغربية بوجه عام ، على الإنسان الخليجي بالذات ، من مُنطلَق أنه صاحب ثروة للغرب مطامع فيها ، ويحسدونه عليها ، ويشعرون أنه ليس أهلاً لإمتلاكها ، أو التحكُّم فيها لمجرد وجودها في أرضه .

كذلك ليس من المُستغرَب أن يحظى الإنسان الفلسطيني بكَم من الإهتمام الإعلامي الغربي ، من مُنطلَق أنه صاحب قضية - أو طرف في قضية - للغرب دور مؤازِر للطرف الآخر فيها ، أو مؤيِّد لعدوِّهُ .. خاصة وأن هذه القضية هي لُب قضية الشرق الأوسط ، التي تؤرِّق العالَم منذ ما يزيد على رُبع قرن .



وعوضاً عن الإسترسال في إستعراض نتائج دراسة الدكتورة نادية سالم نُشير فيما يلي إلى بعض الدراسات القصيرة التي تناولت الصحافة الأمريكية ، وصورة العرب فيها .. ومنها على سبيل المثال لا الحصر : بحث الدكتور جاك شاهين عن « وسائل الإعلام الأمريكية والصورة النمطية للعرب » ، ودراسة دكتور وليد خدوري «النفط وأجهزة الإعلام الغربية » ، ودراسة دكتور محمد الرميحي «صانعو صور عرب الخليج » ، ودراسة دكتور أدمون غريب المُشار إليها سلفاً .. وكلها بحوث قُدِّمت إلى ندوة الصحافة الدولية لعام ١٩٧٩ في لندن .. وقد طُبِعَت فيما بعد في كتاب ضمَّ هذه الأبحاث وما دار حولها من مناقشات(*) باللغتين العربية والإنجليزية .

ولعله من الضروري هنا عمل مقارنة مُختصَرَة أو خلاصة لما قدَّمناه عن الصحُف الغربية في الدول الأربع قبل أن نُشير بإيجاز أيضاً إلى دور الصحُف العربية المُهاجِرة في إمداد الصحُف الغربية، بمادة غزيرة تساعدها في مهمتها في تشويه الصورة العربية .. وأيضاً ما تنشره صحُف بعض الدول الصديقة ، وما ترسمه كحدود وملامح لصورتنا العربية ، وتُفيد منه الصحُف الغربية في حملتها ضدنا .

(*) الإعلام الغربي والعرب ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة .



الخلاصـــة

في نقاط مُحدَّدَة نورد فيما يأتي ما خلصنا إليه بشأن صورة العرب في الصحافة الغربية بغرض تحديد الأساليب الإعلامية المُتَّبَعَة ضدنا كأمة عربيـة إسلاميـة ، وكشعوب ودول مُتفرِدَة ، وحتى كأشخاص ، ليكون التخطيط للرد على هذه الافتراءات ودحض هذه الأكاذيب على نفس الدرجة ، وبما يلائم حجم وأسلوب الحملة ، من صحافة دولة إلى أخرى ، فليس المهم هو قطع أو طمس ، أو منع هذه المواد الصحفية من التداوُل داخل الوطن العربي ، بل المهم هو التصدي لهذه الحملات خارجياً بما يناسبها وبنفس لُغتها .

وقبل البدء في ذلك لابد من القول بأن القاسم المُشترك بين صحافة الدول الأربع في إساءتها إلينا هو :

* *تناوُل الشئون الشخصية العربية بالسخرية .*
* *التهكُّم على أساليب الحكم العربية وعلى تسيير الأمور الداخلية .*
* *التركيز على المملكة العربية السعودية كنموذج للدول العربية والإسلامية .*

وحول هذه النقاط تدور معظم الكتابات الصحفية في الدول الأربع ، بينما نجد كمثال أن :

* *النَيل من الإسلام كتاريخ ، وكمَد ثوري مُعاصِر ، تُركِّز عليه الصحافة الألمانية والإنجليزية على وجه الخصوص بشكل بالغ*

التعصُّب ، بينما لا نجد له أهمية كبيرة فيما تنشره صحُف فرنسا وأمريكا .

كذلك نجد أن :

* تمجيد إسرائيل وإحقاق اليهود في الأرض العربية .. هو قاسم مُشترَك بين الصحُف الألمانية والأمريكية ، وذلك يتناسب والتأييد الأمريكي لإسرائيل ، بينما يتناقض وكراهية الألمان التاريخية لهُم، وإن كان من الممكن إعتباره رد فِعل لعُقدة الشعور بالذنب التي يشعر بها الألمان حيال اليهود ، نتيجة لِما مارسوه ضدّهم من تعصُّب بشع وإضطهاد شديد .. ذلك في حين أن الصحُف الفرنسية تهتم فقط بتَتَبُّع أخبار الصرا ع العربي الإسرائيلي .. ويأتي ذلك بكثير من الموضوعية تناسُباً مع الخَط السياسي الفرنسي السائد للتقرُّب من العرب – خاصة عرب النفط – وإقامة علاقات إقتصادية وثقافية معهم والحصول على البترول في مقابل الإعتراف بالحَق الشرعي للفلسطينين ، وتخفيف حِدَّة التحيُّز ضد العرب في قضيتهم الأساسية . كما نجد أن الصحافة الإنجليزية لا تهتم كثيراً بهذا الأمر بحيث تُظهر تحيُّزاً واضحاً لليهود رغم أن بريطانيا هي أساساً التي منحَت اليهود حَق إنشاء وطن لهُم في فلسطين ، وإنما نجد تكريساً لهذا الحَق في الصحافة الإنجليزية في المجلات المتخصصة ودوائر المعارف وما

تنشره من دوريات .

أما عن النقاط المُشتركَة بين الصحُف الغربية جميعاً فنورد فيما يلي الأساليب المُتّبَعَة في تأكيد كل منها ، والتي تعكس إهتمام الغرب بتشويه الصورة العربية .. والإهتمام برَصد كل ما من شأنه تكريس هذه الصورة من شئون عامة وخاصة ، ومحاولَة الربط بين كل منها في المَقالات والتحقيقات ، التي تُجرى عن البلاد العربية ، والتغطيات الإعلامية لأحداث المنطقة ، وفي التَتَبُّع الإخباري الذي يعمد إلى تلوين الأخبار بما يخدم الهدف الأساسي وهو تشويه الصورة العربية في ذهن المواطنين الغربيين في أوروبا وأمريكا .

ومن هذه الأساليب :

- *التهكُّم على أساليب الحُكم العربية المُتّسِمَة بالقبليّة .*
- *التركيز على المسائل الشخصية التي تمسُّ القيادات العربية .*
- *الترويج لبعض الفضائح الخُلُقيّة المُتّصِلَة بالنساء العربيات (السرقة والإنحراف) .*
- *نشرُ الأخبار التي تعكس الإسراف العربي ، والبذخ الجنوني .*
- *تدعيم الأخبار الشخصية بصوَر ، وإستخدام فَن الكاريكاتير ، كأسلوب تشهير أكثر تأثيراً .*
- *نشر العديد من الأخبار السياسية والعسكرية العربي في توقيت لا*



يخدمها إعلامياً .. بل قد يُسيء إليها .

- التركيز على تصريحات المسئولين العرب بشأن النفط وأسعاره ، وبشأن القضايا العربية ، مع إختيار عبارات مُبهَمَة أو مبتورة من التصريحات لتكون عناوين جذَّابَة .

- نشرُ ما من شأنه أن يُثير العرب داخلياً على قيادتهم بسبب سوء توزيع الثروة .

- التركيز على الخلافات العربية وتضخيمها ، وإثارة الحساسيات بين الأشقاء بتأصيل هذه الخلافات تاريخياً .

- المزج بين الماضي ، والحاضر ، والواقع والمُبالَغَة في كل ما يُكتَب عن العرب ، بحيث تُدَس المفاهيم الخاطئة وسط الحقائق .

- مُحاولَة تشويه التاريخ العربي فيما يُكتَب كخلفيات للموضوعات الآنية .

- تعمُّد التركيز على المساويء ، وذكر السلبيات وإغفال كل وجه إيجابي .

أما عن النَيل من الإسلام كجانب هام أيضاً يُتَّخَذُ مَنفذاً للإساءة إلى العرب ، فتدور الإساءة من خلاله حول عدة نقاط هي :

* التشكيك في الإسلام كرسالة سماوية .

* الإساءة إلى نبي الإسلام (صلعم) .

* التهكُّم على العبادات وأساليب العقاب الإسلامية وحقوق المُسلم



(كتعدُّد الزوجات) .

* تصوير الإسلام على أنه سبب تخلُّف العرب حالياً ، وأنه بداية تاريخهم .

* التخويف من المد الثوري الإسلامي .

* تصوير الإسلام كدين خاوي من أي مضمون ، والمُسلمين كقوم شعارات أبعد ما يكونوا عن تنفيذ تعاليم دينهم .

وتأتي في النهاية الصورة التي نجحَت الصحافة الغربية بالتعاون مع الإعلام الغربي عامة في رسمها للإنسان العربي على أنه إنسان :

مُتَخلِّف ، مُخادِع ، إرهابي ، يهتم بملذاته إلى حد الإسراف ، مُسرِف إلى حد الجنون ، عاشق للمال والمُقامَرَة به ، أفَّاك لا يُؤتَمَن ، يُغلِّب المصالح الشخصية على المصالح العامة ، لِص مُبتَذ ، جبان مُتخاذِل ، جنسي نهِم مولَع بالنساء ، وساذج إلى حد البلاهة .

أما عن المحور المُقابِل لكل ما سبق وهو تمجيد إسرائيل وإحقاقها في الأرض العربية ، فذلك ما لا نجد داع لتفنيده لأنه ضد لكل ما سبق .. ومحاولَة لتمجيد قوم في مقابل الحط من قوم آخرين.

وعوَضاً عما سيأتي بينه تفصيلاً في الباب الثاني نشير هنا

فقط إلى إمكانات التصدّي للحملات الإعلامية الموجّهة ضد العرب من خلال ترشيد السلوك العربي في الخارج - كواجهة للعرب - لأنه يقع تحت سمع وبصر الصحفيين الغربيين، كتصرفات فردية ، وكتصريحات رسمية ، وبعدها نقول أنه يُمكننا تغيير الصورة العربية المعكوسة في الذهن الغربي من خلال إعلام خارجي قوي ومدروس ، مُدعّم بتصرفات رشيدة تؤكّده .





« الشئون العربية في صحافة الدول الصديقة »

إذا كانت الشكوى مُرَّة من الإساءات المُتكرِّرَة للعرب ، وتناوُل الشئون العربية بإغراض في الصحُف الغربية ، إن لم نقُل في كل وسائل الإعلام الغربية – فإن الشكوى تكون أكثر مرارة من إساءة تلحَق بنا في صحُف ووسائل إعلام بعض الدول المُجاورَة والصديقة ، والتي يحظى مواطنوها بحُسن الضيافة العربية كوافدين إلى المنطقة العربية .. ذلك ناهيك عن الإساءَة للعرب في الصحُف العربية نفسها كحملات مُتبادَلَة .. وفي الصحُف العربية المُهاجرَة .

لذا فقد رأيتُ لِزاماً عليَّ أن أتناول الأساليب التي تُناقَش بها شئوننا العربية في صحافة دولتين صديقتين هما : « إيران » و« الهند » ، والصورة التي تعكسها هذه الصحُف عن العرب عامة ، وعن عرب الخليج خاصة .. والتي تتميَّز أحياناً بنظرة غير موضوعيَّة على الإطلاق .. تضع إعتجارات مصالح رعاياها فوق المَصالِح المحليَّة والإقليميَّة لدول الخليجل.

وفي هذا المبحث مُناقَشَة لِما كهن متوقَّعَاً من هذه الصحُف وما هوءواقع فعلاً من تناول سيء للأمور ال]ربية .. مع تركيز على السمات العام[لكتابات هذه الصحُف ، سواء الصادرى باللغة الأورديَّة ، أو الإنجليزيَّة ، أو الفارسيَّة ، أو العربيَّة .

إستكمالاً لِما بدأناه من حديث عن الصحافة العالَمية ، التي



تُسيء إلى العرب وتُشوِّه صورتهم .. تُناقش صحافة دولتين من المُفترَض أنهما من الدوُل الصديقة التي تربطها بالعرب صلات جوار، ومصالح مُتبادَلَة ، ولهما رعايا كُثرٌ في البلاد العربية ، خاصة في دول الخليج .. وكان من المفروض أو المُتوقَّع أن يكون لصحافة هاتين الدولتين موقفاً مؤيِّداً للعرب سياسياً ، ومُتفهِّماً للأوضاع الداخلية العربية إجتماعياً .. ولكن على خلاف ما هو مُتوقَّع نجد أن صحافة بعض الدول الصديقة تُسيء إلى العرب على غرار الصحُف الغربية وأشدُّ ، دون مراعاة لعلاقات الصداقة والجوار .. ودون أدنى حَد من الموضوعية .. وذلك يُضاعِف من العبء المُلقَى على عاتق ومسئولية الإعلام العربي الخارجي ، الذي يتطلب والحال هكذا إعطاء الكثير من الإهتمام لتوعيَّة الرأي العام ووسائل الإعلام في الدوُل الصديقة أسوة بالدوُل المعروفة بمعاداة العرب .

وإذا كان الغرب يُسيء إلينا أحياناً عن عَمد مُتجاهلاً الحقائق، فإن إساءَته أحياناً تأتي عن جهل بحقائق الأمور ، لكن الدوُل المُجاورَة والصديقة تأتي إساءَتها دائماً من مُنطلَق التعمُّد ، مع علمها بالحقيقة ، ومحاوَلَة تجاهُلها خدمةً لمصالحها أو مطامعها في الدول العربية .

هذا وسنتناول في هذا المبحث صحافة : الهند وإيران كنموذج، سواء منها المكتوبة بالأوردية أو أي من اللهجات الهندية



المُتعدِّدَة(*) ، كذلك المكتوبة بالإنجليزية ، والصحُف الإيرانية باللغتين الفارسية والعربية .

وتتمثل صحافة هاتين الدولتين في الصحُف والمجلات التي تتضمن موضوعات مُوجَّهَة إلى الجماهير العربية ، كالصحُف الإيرانية الصادرة باللغة العربية .. كذلك الصحُف الهندية التي تعجُّ بالموضوعات المُتعلِّقَة بالشئون العربية ، وأحوال العاملين في منطقة الخليج ، وخطورة مثل هذه الصحُف في إمكانية تداوُلها بين جمهور غير المُوجَّهَة إليه ، حيث يصدُر بعضها بالعربية أو بالإنجليزية ، التي يجيدها الكثيرون .. فالصحُف والمجلات الهندية الصادرة بالإنجليزية كثيرة العَدد(**) إلى جانب المجلات الأورديَّة والملباريَّة والقجراتيَّة .

(*) المَرجع في هذا الموضوع أرشيف المنوعات في إدارة الرقابة بوزارة الإعلام – بدولة الإمارات العربية المتحدة .

(**) كنموذج للمجلات الهندية الصادرة بالإنجليزية ، مجلات : المجلَّة الشهرية "Goy Today" ومجلة « كارفان » و"Onlooker" النصف شهرية ، ومجلة "India Today" النصف شهرية ، و"Time of India" اليومية ، ومجلة "Sunday" الأسبوعية ، ومجلة "Bombay" الأسبوعية ، والمجلة الشبابية الشهرية "Youth Times" وجريدة "Indian Express" والمجلة الأسبوعية "The Illustrated Weekly of India" ومجلة "Film Fair" النصف شهرية ، والمجلة نصف شهرية السنماة "This Fort Night" ومجلة "Imprint" الشهرية .

أما الصحُف والمجلات الإيرانية فتتمثل في مجلات : « صوت الأمّة » و« الشهيد » و« الجهاد » التي تصدُر جميعها باللغة العربية ، ومجلة « إطلاعات هفتكي » الصادرة باللغة الفارسية .

هذا ونجد أن مُعظَم الصحُف الهنديَّة تصدُر باللغة الإنجليزية مما يُحقِّق لها إنتشاراً أوسع ويُروِّج لما تنشره .. كما أن الصحُف الإيرانية تصدُر في غالبيتها باللغة العربية ، مما يوضِّح النيَّة من إصدارها ألا وهي أن تكون موجَّهَة إلى العرب ؛ بغرض التأثير في إتجاهات الرأي العام العربي ، فيسهُل عن طريقها تصدير الثورة والترويج لأفكارها وتأليه زعمائها .

هذا ونجدُها مُعاديَة للعرب بشكل سافِر حتى قبل نشوب الحرب العراقية الإيرانية ، ومُناصَرَة العرب للعراق آنذاك .. وقبل أن تحتل إيران الجُزُر الإماراتية الثلاث : طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، وقبل سفور الوجه الكريه للأطمع الإيرانية في البحرين أو الإمارات ، وتآمرها على مصر بتدريب وتصدير الإرهابيين إليها .

أما عن الموضوعات التي تتطرَّق لها صحافة الدوَل الصديقة ، فنجدها تختلف بإختلاف إهتمامات كل دولة ، فالصحافة الهندية تُركِّز على النواحي الإجتماعية والشخصية ، والأمور المتصلة بمصالح وأوضاع رعاياها في الدول العربية ، وتتناوَل هذه الأمور بغير موضوعية وفق مصالحها ، ودون إعتبار لمصالح هذه الدوَل ..



في حين أن الصحافة الإيرانية تهمّها الشئون السياسية والحركات المُناوِئة للحُكام ؛ وذلك من مُنطلَق إهتمامها بتصدير الثورة إلى منطقة الخليج وتأليب الشعوب على حكّامهم .

وبصفة عامة يمكن أن نقول أن الموضوعات التي تتناولها الصحافة الهندية هي :

- *الشئون المحلية ذات الصلة بالعمالة والهجرة .*
- *التهكُّم على المشروعات الإقتصادية الكُبرى .*
- *رصد آثار الركود الإقتصادي .*
- *التندُّر بالثراء الفاحش وإبراز المُفارَقات الإجتماعية .*

ونادراً ما نَجِدُ أن الصحافة الهندية لها موقِف سياسي مُعادي للعرب ، أللهُمّ إلا النادر القليل ، الذي يأتي في إطار أحاديث وموضوعات صحفيّة عن بعض الشخصيات .

أما عن الصحُف الإيرانية فإن جلّ إهتمامها هو الشئون السياسية والدينية المُنطلِقَة عن هدف واحد هو تصدير الثورة . ويُمكِن حصر الموضوعات التي تتطرَّق لها في :

* *الشئون الإسلامية والمذهبية .*
* *الإساءة إلى الزُعماء العرب والحَض على الثورة عليهم .*
* *الرصدُ الخَبَري لآثار الثورة الإيرانية على دوَل الخليج .*



* *تتبُّع الحركات الثوريَّة أو المُناوئة لنُظُم الحُكم .. وتأييد نشاطها .*

هذا وتُركِّز الصحُف الإيرانية على السعودية والعراق بالذات في إساءتها للزُعماء العرب .. وفي رميهم بالإلحاد وبالطائفية ، وبالعِمالة للإستعمار ، والسماح بإقامة قواعد عسكرية على أراضيهم .. ثم يلي ذلك الحُكام الخليجيين الآخرين .. حيث تهتم الصحافة الإيرانية برصد أخبار التظاهُرات .. والحركات المُعادية لنُظُم الحُكم .. ناهيك عما تكتبه عن السياسة المصرية وتَصدِّيها للجمعات الإسلامية التي تُمارس العُنف والإرهاب .

الصحُف الهنديَّة

إن الإساءة للعرب التي تمثَّلت في موقِف شبه مُعادي لا يتلاءم وطبيعة العلاقات التي تربُط الهند بالعرب ، وبمنطقة الخليج على وجه الخصوص ، هذه الإساءة التي إتَّخَذَت طابع الحَملة المُكثَّفَة في العديد من المجلات على إختلاف طبيعتها ، من مجلات فنيَّة وشبابيَّة وصحُف يوميَّة ، قد واكبَت هذه الحملة القرارات التي صدرَت في معظم دوَل الخليج ، وخاصة في دولة الإمارات بشأن تنظيم العِمالة ، والحَد من الهجرة .. ويمكن القول بأنها قد جاءَت كرد فعل على هذه القرارات والإجراءات .. وليس صحيحاً إلى حد كبير القول بأن ما تنشره الصحف الهندية هو نتيجة لأنها صحافة غير رسمية .. ذلك أن هذا القول مردود عليه بأن كَم الإساءَة قد تزايد بعد هذه القرارات

بشكل ملحوظ .. رغم تمتُّع الصحافة الهندية بالحُرّيَّة مُنذ أمد ، لم تكن فيه تُسيء إلى العرب بهذا القدر .. كما أن بعض الصحُف الرسمية قد شاركَت في الحملة على العرب ، وكمثال المجلة الشهرية "Goy Today" الصادرة عن وزارة الإعلام الهندية ، هذا وقد عمدَت الصحُف الهندية إلى النقل عن الصحُف الغربية المعروفة بمعاداتها للعرب خاصة الصحُف البريطانيّة دون مراعاة لعلاقات الصداقة .. رغم أن ما تنشره لا يدخُل في إطار السبق .. بل هو مادة منقولة مُنتقاة بهدف الإساءَة إلى العرب .

وعلى سبيل المثال لِما تتناوله الصحُف الهندية فيما يختص بالشئون الداخلية في دولة الإمارات العربية ما كتبَته مجلة "Sunday" تحت عنوان « دُبي - كابوس الباحثين عن الثروة » وجاءَ فيه سرد تفصيلي لأحوال إثنين وسبعين من عُمال البناء الهنود، كانوا يحلمون بالثراء السريع في طريقهم إلى دُبي ، بعد التعاقد على رواتب شهرية مُجزية ، وبدلات سكن ، مقابل ثمان ساعات عمل يومياً، ثم فوجئوا بحلمهم يتبدد .. إذ تقول المجلة :

« كان العمل يبدأ في الخامسة صباحاً وغالباً ما كان يستمر حتى الحادية عشر ليلاً ، وكان على العامل أن يستمر بلا توقُّف ، والإمتناع عن ذلك ، كان يُقابَل بالضرب المُبرح ، من قِبَل المقاولين الباكستانيين ، الذين كانوا يستعملون القضبان الحديدية ، وزوايا الرفوف



وكل ما تقع عليه أيديهم في عقاب المستخدمين . وأحياناً كان يُصب على أجسادهم الماء الساخن »[1] .

ويستمر المقال في وصف ما لاقاه العمال الهاربون من عُنف ، رغم تدخُّل الشُرطة .. ولا يَخفى ما في ذلك من مُبالَغة وتصوير مُشوَّه لأحوال العمالة في دولة عربية ، وكيفية معاملتهم ، وعجز الشُرطة عن حمايتهم !!

هذا وقد تناولَت مجلة « كارفان » موضوع العُمال الهنود في الإمارات ، في مَقال بعنوان « الأوضاع غير التساوية » ورَدَت فيه مُغالَطات ومُبالَغات لا حَد لها .. وبشكل يتضح منه مدى نقمة الصحافة الهندية على قوانين العمل في الإمارات ، وفي هذا الصدد تَصِمُ هذه الصحُف الإمارات بوصمة العنصرية والتمييز ، وقد جاء في هذا المَقال نصاً :

« إن ما يُغضِب العُمال الهنود الوافدين هو الأوضاع غير التساوية في قوانين العمل بدولة الإمارات العربية المتحدة ، بالنسبة للهنود وبالنسبة لمُعظَم العُمال الوافدين من جنوب آسيا ، بما في ذلك الباكستانيين ، في حين أن

(١) Sunday الهندية ، في ١٩٨٠/٨/١٠ ، ص ٣٤ .

الوافدين بطُرُق غير مشروعة من ذوي البشرة البيضاء مثل المصريين والسوريين والفلسطينيين يُسمَح لهم بالبقاء في البلاد والاستمرار في أعمالهم ، في حين يُجمَعون ويُرحَّلون بالقوة الوافدين الآخرين ، إلا بالطبع إذا كانوا قادمين على أساس الرشوة »[1] .

ويتناول هذا المَقال أحوال العُمال الهنود القادمين بطُرُق مشروعة إلى الإمارات – وبالذات إلى دُبي – بكثير من المُبالَغَة والإساءَة ، فيُفنِّد الأعباء والمشاكل التي تُصادِفهُم ، وفي مقدِّمتها كذب الوعود التي وُعِدوا بها ، بالنسبة للمُرتَّبات والبدلات ، فيُفاجَأوا بعدم وجود بَدلات سَفَر أو سكَن ، وبنَقص المُرتَّب الموعودين به ، ويرد في المقال أيضاً مُقارَنَة إذ يقول أنه في مُقابِل « تسع ساعات عمل متواصل بدون راحة ودون أجور إضافية » ... وبتقييد الحُرِّيَّة بإيداع جوازات السفَر لدى صاحب العمل ليتحكَّم في عملية التسفير فوراً ، إذا إشتكى العامل أو إحتجَّ .. ذلك بالإضافة إلى السكَن في « كوخ خشبي أو سقيفة جمل مهجورة وبدون وسيلة تهوية أو تسهيلات مرحاضية أو وسائل صحيَّة » ذلك بالإضافة إلى

---

(1) كارفان ، في ٢٥/٦/١٩٨٠ ، ص ١٥ .

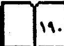


حرمانه من أي نشاط ثقافي ، أو ضيافة ، ويصفُ العامل الهندي في الإمارات بأنه « *معزول منبوذ بالرغم من وصايا القرآن* »[1] .

هذا وقد تناولت مجلة "Probe India" أحوال العُمال الهنود في الإمارات بالمُقارنَة بأحوالهم في الكويت فوصَمَت الإمارات بمُمارَسَة التمييز في المعاملة بين الهنود وغيرهم .. وأنهم يقعون تحت طائلة الإبتزاز من الوكلاء في الهند ، ومن أصحاب العمل في الإمارات .. وقد جاء المَقال بعنوان « *من الأعماق ... تزايُد الخداع لابتزاز العمال في الخليج . فمال للحصول على وظائف ووظائف من اجل المال ...* »[2] ، ويتتبع هذا المَقال أوضاع الهنود في العالَم من أمد ، وكرامتهم المرعيَّة ، ووجههم المُشرق في كل مكان ، فيما عدا وجودهم في الخليج ، الذي لا يُمارسون فيه سوى أعمال الخدمة والبستنة والسياقة وغسيل الملابس والسيارات .

وتنتهز المجلة الفرصة لإيراد تهكُّم ساخر من الدول العربية ، فتقول :

« *إن الخليج الذي طالما عُرِفَ بأنه الخليج*



---

(1) نفس المَرجِع السابق .

(2) Probe India ، في ١٩٨٠/٦/١٠ .

الفارسي اصبح يُعرف الآن بالخليج العربي - كما يهتم العرب بتسميته لما اكتسبوه مؤخراً من ثروات وبترول . إن العرب يركبون الموجة المواتية ، ولن يدهشنا لو أنهم طلبوا تسمية المحيط الهندي بالمحيط العربي »[1] .

ولابد من ملاحَظة أن المجلات الهندية لم تأخذ هذا الموقف من العرب ، وعرب الخليج بالذات ، إلا مؤخَّراً ، حينما بدأت دوَل الخليج في عمليات تنظيم وتقنين الهجرة إليها .. فعمَدَت الصحُف الهندية إلى التركيز على السلبيات والإنتقادات لمُجتمَع الخليج ، والسخرية والتهكُّم عليه .. ومن النماذج على ذلك أيضاً ما نشرَته المجلة المُسمَّاة "Bombay" ساخرة من العرب وأسلوب حياتهم ، خاصة عرب النفط .. إذ خصَّصَت عِدَّة صفحات لصوَر ورسوم للعرب بلباسهم التقليدي الهدف منها السخرية ومصحوباً بهذه الصوَر والرسوم إساءَات بالغة لهُم جاء فيها :

« أين تجد العرب ؟ .. بإمكانك ان تجدهم في تجمُّعات لُندن اوبروي ، ولوبي الرؤساء والتجمُّعات العالَمية الأخرى .... ! » .

---

(1) "Prope India" ، في ١٩٨٠/٦/١٠ .



« إن العرب يأتون إلى بومبي للبحر والخدم والتدخين ولحلات الخمر والأغاني »[1] .

وتستمريء هذه المجلة الأسلوب الساخر فتورد تعليقاً على صورة لأجنبي يشمُّ رائحة إنسان عربي ويقول :

« ما هي رائحة العربي ؟ ... عطر ونفط من جوفان »[2] .

وتعليقاً على صورة أخرى لأجنبي يُحاول أن يرفَع الحجاب عن وجه امرأة عربية مع زوجها .. يقول :

« إذا أردتَ أن لا تُسيء إلى العرب فلا تُقدِّم لحم الخنزير ولا تلمس وجه زوجاتهم »[3] .

وفي صفحة أخرى تورد المجلة رسماً كريكاتيرياً يصوِّر عربياً وسط نساء عاريات على حوض للسباحة وإحداهنَّ تقول :

« لقد دخلَ هنا لشيء طاهر ونقي مثل النفط تماماً »[4] .

وتَتَهكَّم مجلَّة أخرى بإسم "Gulf Malayalee" على العرب بنشر كاريكاتير على غلافها(*) يسيء إلى العرب بإتهامهم بإستعباد البَشَر ، ويُمثِّل عربي يركَب إنسان كجَمَل ويقوده بالسيف .

---

(1) "Bombay" ، في ١٩٨٠/٥/٢٢ ، ص ٩ - ٢٣ .

(٢) ، (٣) ، (٤) نفس المصدر السابق .

(*) في عدد يونيو ١٩٨٠ .



كذلك نجدُ مجلّةً أخرى فنيّةً وردَ بها في باب بريد القُرّاء ، أو ما أسمَتْهُ المجلة « صندوق الأسئلة » "Question Box" خطاب يقول :

« اطلبُ من الحياة أن اختار الثلاث ، وأحبُ الإثنين واتزوّج واحدة - كعربي يتزوج بالثلاث ويختار الإثنين ويُحب واحدة »[1] .

وعوضاً عن التهكُّم والسخرية والكاريكاتير .. تعمد الصحُف الهندية إلى إستخدام الألفاظ الموحية ضمن إيرادها لأي سرد خَبَري أو تعليق .

وكنموذج لذلك ما وردَ في جريدة "Indian Express" حول قرار دولة الإمارات بمنع الزواج من أجنبيات الذي أوصى به المجلس الوطني هناك ، وجاء فيه :

« هناك عدد من الفتيات الهنديات خصوصاً من حيدر آباد وبومبي ومدينة كيرلا ، هنّ ضحايا لمثل هذا الزواج »[2] .

وحول موضوع أحوال الهنود في الإمارات ، كتبَت مجلة "India Today" تحت عنوان « الهنود في الخليج ،

(١) Film Fare ، في ١ - ١٥/٩/١٩٨٠ ، ص ٢٣ .
(٢) Indian Express ، في ١٧/٣/١٩٨٠ ، ص ١ .



وملاحقة السراب » يستشهد بمثالين من الإمارات في دُبي وأبو ظبي . فيستعرض التباين الكبير بين حياة الناس في دبي في البنايات العالية .. وحياة الهنود :

« الذين يعيشون في الشوارع وفي ممرات الأبنية ، وفي الحظائر المخصصة لإيواء الجمال »[1] .

ويوردُ هذا المَقال حادثتين توضحانِ مدى التلاعُب بمصائر الهنود بوعود كاذبة ، يضطرون أمامها إما للرضوخ للأمر الواقع ، أو العودة خائبين إلى بلادهم ، أو مقاضاة أصحاب الأعمال الذين يعمَدون إلى عدم الحضور للمحكمة .. مما يضطرُهم في النهاية إلى التحوُّل إلى مُنظِّفي سيارات في الطُرقات بدلاً من العودة ، وفي إطار هذا الحديث تقول المجلَّة :

« والشيء الأكيد في الخليج أن ذروة الإزدهار والعمار قد ولّت من ناحية ، ومن ناحية اخرى نجد أن الثورة الإيرانية قد جعلت حكام هذه المنطقة يرتجفون ، حتى أن هذه الدوَل تُفكّر حالياً وجدّياً في تعريب الوظائف ، والتخلُص نهائياً من العمال الأجانب ، هذا في الوقت الذي يعمل فيه العمال

(١) India Today ، في ١٥/٤/١٩٨٠ ، ص ٣٤ .



السيريلانكيون والكوريون والفليبينيون وفقاً لشروط غير متوفَرة للهنود والباكستانيين بحال من الأحوال .... » .

« ومن المعروف أن الإمارات تعرَّضت خلال عامي ١٩٧٧ - ١٩٧٨ لفترة من الركود الإقتصادي أدت إلى توقُّف المشاريع وإفلاس بعض البنوك .. وعلى سبيل المثال تم بناء مركز دبي التجاري بكلفة ٢٠٠ مليون دولار ، وهو الآن خال ، ولا حياة فيه ، نظراً لحال الإنكماش الإقتصادي الذي تُعانيه الإمارات . ويسود الأوساط الحاكمة تفكير في عدم بناء المزيد من المستشفيات والمدارس ، نظراً لأن معظم سُكان الإمارات (٧٥٪) من الأجانب »(١) .

وهكذا تَستَغلُّ الصحُف الهندية الفرصة لتقويم الأوضاع الإقتصادية والسياسية داخل الإمارات في إطار تقويم أوضاع الهنود في الخليج ، وتُلحِقُ ذلك بنَشر صوَر تَحملُ شيئاً من الإساءَة للعرب .

وإستكمالاً للصورة نشرَت صحيفة « إنقلاب » اليومية

(١) India Today ، نفس المصدر السابق .

الأوردية خبراً يعكس جانباً آخر من مشاكل الهنود مع العرب ، يَحمل كثيراً من المُبالَغَة ، وذلك تحت عنوان « في الدول العربية تتعرض الهنديات لمُعامَلَة سيئَة » وجاء فيه ما يتضمَّن تشهيراً بالعرب، ليس في بلادهم فقط ولكن كسياح في الهند بكثير من التشويه خاصة في معاملتهم للهنديات ، إذ قالت الصحيفة :

« إن الفتيات العائدات من الشرق الأوسط تتلخَّص قصتهن في أنهن يتعرضن للجَلد والتعذيب ، وأنه يُقام عليهن مزاد بيع وشراء .. ويُعاملن معاملة سيئة كأنهن شيء قذر جُلِبَ من الهند »[1] .

وغير خفي الخلط بين الصور العربية .. فالحديث عن عرب الخليج بالذات ، ومع ذلك فالعنوان يقول الدول العربية ، دون تفريق .. وصلُب الخبر يقول الشرق الأوسط دون تفريق أيضاً ، وهو تعميم مُخِلٌّ يُعتبَر من سمات الصور الذهنية السائدة .

هذا ويستمرُّ هذا المَقال في سرد أحوال العرب السيَّاح ، فيَحكي عن عملية إحتيال قامَت بها فتاة هندية مع زائر عربي ، إذ وعدَته بالزواج وخدعَته ، وحصلت منه على مبلغ كبير ثم هربَت منه وإختفَت عنه ، وأمثال هذه الحوادث كثيرة ، لذلك قرَّرَ بوليس مدينة حيدر آباد مُراقَبَة الشيوخ في تنقُّلاتهم ، كما أشار الخَبَر نَقلاً عن

(١) انقلاب ، في ١٧/٩/١٩٨٠ ، ص ٢ .

مصادر البوليس إلى أن :

« أكثر من ثلاثة آلاف فتاة هندية من بين فتيات مدينة حيدر آباد قد وصلن إلى الشرق الأوسط على أنهن زوجات للعرب.. ولكن انقطعت الأخبار عن أحوالهن ، فحتى الآباء لا يعرفون عن مصيرهن شيئاً »[1] .

وغني عن البيان هنا ، وفيما يلي من نماذج ، تأثُّر الصحُف الهندية بالنظرة الغربية للعرب ، خاصة النظرة البريطانية ، والصورة التي ترسمها صحُف بريطانيا للعرب عامة ولعرب الخليج خاصة .

هذا وتعمد الصحُف الهندية إلى الخوض في الشئون الشخصية للعرب وسلوكهم وأسلوب حياتهم ، بكثير من النقد الساخر ، الذي يوضِّح مدى إسرافهم ، ويصوِّرَهُم في أسوأ صورة ، سكِّيرين ، مولعين بالنساء ، مُبذِّرين ... إلى آخر هذه الصفات التي دأبَت الصحُف الغربية على لصقها بالعرب .. والتي علَت رنتها في الصحُف الهندية ؛ كرد فعل لإجراءات من حَق أي دولة أن تتخذها تنظيماً لشئونها الداخلية ، خاصة إذا شعرَت أن الزمام قد أفلتَ منها أو كاد بسبب المتسللين إليها من الوافدين الآسيويين .. رغم أن هذه الإجراءات التي بدأت مع بداية الثمانينات لم تؤت ثمارها إلا عام ١٩٩٦ إذ نجحت الإمارات في تسفير أكثر من مليون أسيوي

(١) المصدر السابق ، نفس المكان .

دخلوها بطُرُق غير شرعية .

وقد عمدَت الصحُف الهندية كذلك إلى التركيز على الشخصية السعودية بالذات ، كنموذج للإنسان العربي المُسلِم ،وذلك أيضاً منهاج الصحُف الغربية المُعادية للعرب ، وكنموذج لِما تنشُرُهُ صحُف الهند في نَقْد تصرفات شخصية ، ما نشرَتهُ مجلة « جترلكا » مُتناوِلة تاريخ السعودية ، وتمكُّن الملك بن سعود من بَسط نفوذه عليها ، ثم تخوض في الحديث عن تَرَف الأمراء السعوديين ، إذ تُشير إلى حفل أُقيم في أسبانيا ، وأُنفِقَ عليه الملايين ، كما تُشير إلى أن أحد الأمراء قد أهدى سيارته الجديدة المرسيدس إلى سائقه .. وتقول المجلة : « إنه يُحيي الليالي الحمراء ويُبدِّد فيها أمواله »[1] .

وقد كان موضوع عَرض فيلم « موت أميرة » فُرصة للمجلات الهندية ، لتنشُر رأيها في التقاليد العربية ، وفي الأُسرة الحاكمة السعودية ، بشيء من التجنِّي ، عن جهل بحقائق الأمور ، إذ كتبَت مجلة "Goy Today" الصادرة عن قِسم الإستعلامات في الحكومة تحت عنوان « صخب في بيت آل سعود » ، جاءَ فيه حديث عن ثروات البترول، وأحكام القرآن ، والشرائع ، بشكل جانبَه الصواب .. كما إستخلصَت المجلة في النهاية أن التقدُّم والثروة سيُغيِّران هذا الواقع السعودي تغييراً جَذرياً ، وأن المرأة السعودية لابد ستتَحرَّر من القيود المفروضة عليها .

---

(١) جترلكا ، في ٢٩ يونيو ١٩٨٠ ، ص ٢٤ .



كما قالت المجلة بأن « خروج فتاة مع من تحب دون مباركة وموافقة الأهل يعرضها للقتل في بلدان العالم العربي »(١) ، وغير خفي ما في ذلك من مبالغة ، فالأمر ليس بهذه العمومية في بلدان العالم العربي ، فحرية المرأة في الحب والإختيار والخروج مع من تحب ليس عقابه القتل ولا حتى في السعودية ، التي عممت المجلة نموذجها على كل العرب .. هذا وقد خاضت المجلة في موضوع أحداث الحرم المكي، وربطت ذلك بسخط الناس على عقلية الأمراء فقالت :

« إن الحكام السعوديون مرهفوا الحس جداً تجاه النقد الذي يوجه إلى عقليتهم الدينية وحياة الأمراء سواء من الداخل أو من الخارج ....

« ولكن الحياة بدأت تتغير ببطء وقطار التقدم لا يمكن إيقافه بسهولة ؛ ولذلك سيأتي وقت ستكون المطالبة بالتغيير الجذري حتمية ...

« ونظراً لقلق السعوديين من تطور مجتمعهم الهائل فإن التقاليد المفروضة على المرأة سوف تنفرج يوماً »(٢) .

وقد تناولت موضوع موت أميرة مجلة "Society" واستغلته كفرصة للخوض في شئون السعودية الإجتماعية والسياسية ، كما

(١) ، (٢) Goy Today ، مايو ١٩٨٠ ، ص ٢٠ – ٢١ .

نشرَت صوراً من الفيلم ، وأشارَت إلى أن قصتَّهُ واقعية ، وراحَ كاتب المَقال يتساءَل لماذا لم يتحرك العرب لإنقاذ الأميرة التي كان كل ذنبها أنها أحبَّت رجُلاً عادياً من غير البيت السعودي ؟ .. كما يُعلِّقُ على موْقفُ السعودية المُتصلِّبُ الذي دعَّمَ الفيلم رغم أنه من أفلام الدرجة الثالثة فنياً .

ويسخر الكاتب من موقف السعودية التي حاولَت - كما قالَ - طمسُ أي أثر للفيلم بكُل الوسائل « بالمُذكرات ، والعلاقات الطيِّبة ، والمال ، والتهديدات بقطع البترول »[1] .

ولعلَّ أبلَغ الإساءَات هي المُعتمدَة على الكذب المُتعمَّد ، والمُبالَغة ، ومن الأمثلة عليها مَقال بعنوان « الشيوخ والرقيق » نشرَتهُ مجلة "Onlooker" تُهاجِم فيه دول الخليج والسعودية ، وتدَّعي بأن وجود الحريم والجواري أمر مازال موجوداً في هذه الدول وأن :

« سوق الرقيق الأبيض نشيطة هذه الأيام ..
إذ يُجلَب معظمه من الدول النامية كالهند وباكستان والسودان ، ويقوم السماسرة العرب بجلبهن إلى هذه الدول دون جواز أو وثيقة رسمية ...

(١) Society ، يوليو ١٩٨٠ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

« وهناك طرق مختلفة لممارسة هذه التجارة كالرحلات الثقافية ، التي تستتر وراءها هذه التجارة ، وكالرحلات المقدسة للحج والعمرة ، التي تكمن وراء هذه الغاية أيضاً ، كما فعل تاجر هندي باع أربعاً من زوجاته ، اللاتي كن معه في سفره للحج - لصديقه العربي الثري ، واطلق سراحهن بالطلاق لصالحه ... » .

« ولهذا جذور تاريخية ، فالملك بن سعود قد تزوج على الأقل ١٣٥ مرة ، وإن لم تكن على ذمته أكثر من أربع زوجات في وقت واحد ، وهو لذلك كان يطلق امرأة كلما كان ينوي الزواج من جديدة ، وقد سار إبنه سعود على طريقته فتزوج كثيراً ، ولكن لم يترك المستندات التي تشير إلى عدد زوجاته ، أو عدد جارياته . ونظام الرقيق لا ينحصر فقط في الفتيات بل يكثر الطلب على الرجال كرقيق ، حتى ان رئيساً افريقياً ذهب إلى السعودية وكان كلما إحتاج إلى نقود يبيع أحداً من رقيقه ، الذين كانوا يرافقونه في السفر »[1].

(١) Onlooker ، في ١ - ١٥ يوليو ١٩٨٠ ، ص ٤٧ .

ويُسيء هذا المَقال إلى الإسلام بالقول بأن هروب العبد من سيده في الإسلام يُعتبَر من الجرائم التي يُعاقَب عليها بالقتل ؛ ولذلك فقد « أمرَ الملك سعود بقتل ١٢ عبداً قد فرّوا من الرياض »[١] ويؤكد الكاتب أن تجارة الرقيق الأبيض نشيطة في دول الخليج ولكن بإسم آخر هو الخَدَم والحُرّاس .

هذا وتعمد الصحافة الهندية إلى المقارَنة بين حياة الملوك والأمراء وحياة العامة بما يوضِّح الفَرق الشاسع ؛ وذلك بالكلمة والصورة كما فعلَت مجلة (فلاش) في مقال بعنوان « العالَم العربي يفلت من يد امريكا » وفيه إساءَة إلى حكام السعودية الذين وصفَهم المقال بأنهم :

> « يُضيِّعون ثروتهم في القمار وإحياء الليالي الحمراء والأخذ بأسباب الرفاهية والملذات في وقت يحتاج فيه الشعب إلى لقمة العيش ، وإن كان حكام السعودية قد بدأوا يشعرون بالقلق بعد ما رأوه من عاقبة شاه إيران »[٢] .

وقد زُوِّد هذا المَقال بصور توضِّح التباين بين حياة الملك السعودي وشعبه الذي يسكُن الأكواخ – على حد تعبير المجلة .

(١) فلاش ، في ١٩٨٠/٦/٤ ، ص ٢٤ – ٢٩ .

(٢) المَرجع السابق ، نفس المكان .

وعلى نفس المنوال كتبت مجلة "Yowa Darshan" مقالاً تُهاجِمُ فيه عرب الخليج في أمر شخصي هو – صيد الطيور -- الذي إشتهروا به ، ويشير إلى مجيء أحد الأمراء لدولة صديقة لصيد طائر الحباري الممنوع صيده في الهند فيتهكّم على ثروة الأمير وخدمه ، وبترول العرب وتبذيرهم المال في الصيد والجري وراء الملذّات ، ويسخر من إعتقاد عرب الخليج في أن طائر حباري يقوي الطاقة الجنسية(*) .

هذا ويُعتبر هذا المقال في تفاصيله إساءة بالغة للعرب ، إذ يصفُ الكاتب مقدار المال الذي أُنفِقَ للحصول على إذن من الحكومة الهندية بالصيد . وعلى ما أسماه « *ابهة الأمراء* » ، وحتى عنوان المقال قد جاء ساخراً وهو « *الصيد الأميري* » كما أبرز الموضوع بالصوُر على غُلاف المجلّة .

أما صحيفة « بلتز » الأسبوعية الأوردية فقد نشرت مقالاً عنوانه « *ثروة البترول غير المحدودة ... ضحيّة لمجون الأُمراء السعوديين* » جاء فيه :

« *إن الأُمراء السعوديين يقومون بإختلاس أموال الدولة وتبديد ثرواتها ، وقد تعرّضت الخزانة السعودية لهزّات إقتصادية ! بسبب هذا*

(*) Yowa Darshan في ١٩٨٠/٩/١٢ ، ص ١٩ – ٢٣ .



الإختلاس ؛ والسبب تهريب الأموال إلى الخارج ، مخافة يوم يضيق فيه العيش على الأمراء والكبار في السعودية .... » .

« وهناك قلق في بلاط الحكومة بسبب إختلاس ملايين الدولارات ، لكن الأمراء المتقلبين في ثروة البترول لا توجد لديهم خطة أو نظام لإنفاق هذه الثروة الغالية في الخدمات العامة .... » .

فثروة البترول التي هي نعمة من الله تبدد دون طائل »[1] .

ويستمرُّ المقال في سَرد أدق تفاصيل موضوع الإختلاس ورأي البنك الدولي ، ويستشهد في ذلك بما كتبته مجلة «الإيكونومست » إذ دأبت الصحف الهندية على النقل عن الصحف الغربية كل ما يُسيء إلى العرب .

وعدا عن تناول الشئون الشخصية والأوضاع الإجتماعية ، والإقتصادية العربية بالإساءة في الصحف الهندية ، نجدها أيضاً وبتركيز أقل تخوض في تحليل السياسات العربية الداخلية ، خاصة

(١) بلتز ، في ١٩٨٠/٦/٧ ، ص ٨ - ٩ .



ما يتّصلُ منهَا بالمملكة العربية السعودية والسياسة في الخليج ، وتعمد الصحافة الهندية في هذا المجال إلى تبنّي وجهة النظر الغربية المنشورة في صحافة الغَرب وليس تقصّي الحقائق من داخل البلاد العربية نفسها ، وإستطلاع الآراء الرسمية والشعبية فيها ؛ لذا يأتي كل ما تنشره جملة وتفصيلاً تكراراً لما يُنشَر في هذه الصحُف .

ذلك كله إلى جانب تبنّي الصحُف الهندية لبعض الآراء المُعاديةَ للعرب والمؤيدة للصهيونية – رغم أن الهند كدولة من دول عدم الانحياز يُفترَض أنها دولة صديقة ومُناصِرَة للحَق العربي – وكمثال لذلك ما نشرَتهُ مجلة "This Fort Night" تحت عنوان « إبنة دايان في دلهي » وعلى لسان ابنة دايان من أن :

« المستوطنات امراً شرعياً .. وكفاح الفلسطينيين إرهاباً ، وجهود السادات شجاعة وحُبّاً للسلام ، والجولان أرضاً غير مردودة إلى سوريا »[1] .

وعدا عن نشر المجلة لدعوة إبنة دايان لإقامة علاقات طيّبة بين الهند وإسرائيل .. فإن مجلّة أخرى مليبارية تُسمى « ملياالانادو » قد كتبَت عن « زيارة موشي دايان السريّة للهند » .. وطالبَت المجلّة حكومة الهند بالإعتراف بإسرائيل ، والتعاطُف معها ، إذ يورد

(١) This Fort Night ، في ١ – ١٥ يونيو ١٩٨٠ ، ص ١١ .

تصويراً عاطفياً لمذابح اليهود الأطفال والنساء ، ويصف ذلك بأنه :

« جريمة كفّارتها الوحيدة أن نعترف بإسرائيل ، اعترافاً كاملاً ، فقد عادَ اليهود إلى وطنهم بعد جولتهم كلاجئين في جميع بقاع الأرض مُدّة عشرين قرناً .. وسياسة العرب مع إسرائيل هي (تدمير إسرائيل) ولذلك فشلَت جميع المحاولات الإسرائيلية لتسوية الأمور بطُرُق سلميَّة ... وهذه الظروف هي التي حملت إسرائيل على خوض المعركة واحتلال سيناء .. ويجب ألا ننسى أن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط الوحشي اللاديمقراطي »(1) .

ولا يخفى ما في مثل هذه الآراء من معاداة للعرب تتناقض وكون الهند دولة صديقة .. ولا يُبرِّر نشرها أن الصحافة الهندية حُرَّة وليست موجَّهَة .. ذلك أن مثل هذه الآراء لم يبدأ تكثيفها بهذا الشكل الساخط على العرب ، سلوكاً إجتماعياً وسياسياً إلا كرد فعل واضح لما يُظَن بأنه إساءَة للرعايا الهنود في المنطقة العربية .

---

(1) مليالاناندوا ، في ١٩٨٠/٦/٢٢ ، ص ٩ – ١٣ .

الصحافة الإيرانية :

أما عن الصحافة الإيرانية والمتمثّلة في الصحُف المكتوبة باللغة العربية ، وبعض الصحُف التي توجّه مادتها للعرب مثل مجلات : الجهاد – صوت الأمّة – الشهيد ، وكلها بالعربية ، ثم مجلّة « إطلاعات » الفارسية فإن لها موقفاً لا يمكن تجاهله لأن له خطره على الرأي العام العربي في منطقة الخليج والجزيرة العربية .. ذلك أن الصحافة الإيرانية سواء منها ذات الطابع الديني أو الطابع السياسي ، توجّه جل مادتها لهدف مُحدّد هو تصدير الثورة إلى المنطقة العربية باستخدام شتى الأساليب ، سواء بتمجيد إيجابيات الثورة وتأليه زعمائها ، أو بالإساءة إلى زُعماء الخليج ، وتفنيد سلبياتهم ، وذلك من خلال الخبر والمقال السياسي ، أو الديني على حد سواء .

فعلى صعيد الإساءة للقادة العرب كتبَت مجلة « الجهاد » قبل قيام الحرب العراقية الإيرانية عِدّة مقالات تُهاجِم نظام الحُكم العراقي وحزب البعث الحاكم ، والرئيس صدام حسين .. مُستغِلّة مناسبة إستشهاد « محمد باقر الصدر » وشقيقته في العراق ذريعة للنَيل من نظام الحُكم العراقي ، وتحريض القوات المُسلّحَة العراقية ضُبّاطاً وجنوداً على الثورة على النظام ، والتغيير تيمُّناً بما حدثَ في إيران .. بل وأكثر من ذلك تستثير هذه المقالات العُمال ومُوظّفي

الحكومة وتستعديهم ضد حكومتهم .

والمُلاحَظَة الظاهرة للعيان أن مثل هذه الأمور تُتناوَل في أكثر من صفحة من المجلّة وفي شتى المواد التحريرية ، من خَبَر إلى مَقال بل وحتى القصائد(*) ضد العراق ، ناهيك عن تكيُيل الإتهامات «بالإنحطاط والعمالة والخيانة » وطمس وجه الإسلام ، حتى ولو إستدعى الأمر إستخدام ألفاظاً كالقول : « المجرمون ، الجلادون ، المتعطّون ، الإرهابيون ، البَرابِرة ، الظَلَمَة ، العلمانيون ، أعداء الإسلام ، الطائفيون ، ذوو الطباع الخبيثة ، المُهرِّجون ، البُغاة ... »(**) إلى آخر هذه الألفاظ .

وعدا عن السّب والقَذف في حَق القادة العراقيين ، نجد أن مجلّة « الجهاد » بالذات ، رغم كونها مجلّة دينية المنحى ، إلا أنه يمكن إعتبارها جزءاً من الإعلام الموجَّه إلى الدول العربية ، والذي يصدُر باللغة العربية ، ويهتم بالدرجة الأولى بالشئون العربية من وجهة نظر الثورة الإيرانية ؛ لذلك فهي تورد التصريحات العربية والأخبار وتتناولها بالتحليل والرد ، ويمكن إعتبارها جزءاً من محاولة تصدير الثورة الإيرانية ، كما تورد تعليقات على بعض الشئون

(*) الجهاد ، العَدَد ٢ ، مارس ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .

(**) الجهاد ، العَدَد ٢ ، مارس ١٩٨٠ ، ص ٣ – ٤ – ٩ – ٤٣ – ٤٤ على التوالي .



الداخلية في ليبيا ، واليمن الجنوبي ، ومصر ، ناهيك عن العراق التي تكرّس لها جل كتاباتها ، والتي يأتي الحديث عنها دائماً شديد اللهجة ومُدعّماً بالرسوم الموحية ، ومليء بالحث على الثورة على النظام ، الذي يوصف بالعمالة لأمريكا تارة وللسافاك تارة أخرى ، وبأنه « عشيرة تكريتية متوحشة » تفتقد لدعم الجماهير « تُمارس نشاطاً عدوانياً وطائفياً »(*) .

أما مجلّة صوت الأمّة (الإيرانية) الصادرة باللغة العربية ، والتي تُصدرها وزارة الإرشاد ، وتهتم بالنواحي الفكرية والسياسية إلى جانب الشئون الدينية والإجتماعية .. وهي كمجلّة رسمية تَعني بتفنيد مُميّزات النظام الإيراني الجديد على شعب إيران ، وتقديم نتائج الثورة ، والإشارة إلى أنه نظام قائم على الإسلام في سياسته الداخلية والخارجية ، كما تتعرض لبعض رئاسات العرب بالإساءة خاصة صدام حسين والسادات قبل رحيله وجعفر النميري قبل خلعه والسلطان قابوس ، وتتهمهم جميعاً بأنَّهم أذناب للإستعمار(**) .

كما تشير المجلّة إلى بعض الدول العربية دون تحديد للأسماء وتتهم قياداتها بالتلاعب بشعوبهم ، وجذبهم إلى القيَم التافهة(***) .

هذا ونَجدُ أن الإتهامات تُكال جُزافاً وتجمع بين أطراف عربية

(*) راجع الجهاد ، في ٢٥/٦/١٩٨٠ ، ص ص ٨ - ١٢ .

(**) صوت الأمّة ، في ١٨/٣/١٩٨٠ ، ص ١٢ - ٢٦ - ٢٨ - ٢٩ - ٥٨ .

(***) صوت الأمّة ، في ١٨/٣/١٩٨٠ ، ص ٣١ ، ٣٧ .



مُختلفَة كالقول بمحاربَة الثورة الإسلامية والتشكيك في إسلاميتها خصوصاً عبر المحوّر الساداتي / الصدّامي / النميري(*) ، وإن كان التركيز أساساً على العراق بالذات حتى قبل نشوب الحرب معها .. فماذا عساه يكون التكثيف الإعلامي ضدها بعد الحرب .. ثم ماذا حدثَ بعد إنتهاء هذه الحرب والإتّفاق الإيراني العراقي ؟؟ وسكوت إيران على اجتياح الكويت عام ١٩٩٠ !! سنجد أن الأمر مُختلف تماما ؛ مما يؤكّد أن التوازُنات السياسية والخلافات أو الإتفاقات تؤثّر تأثيراً جَذرياً على التناوُل الصحفي بموضوعيّة أو بمُبالَغَة .. بمعنى التحيُّز مع أو ضد .

أما مجلّة « الشهيد » الصادرة أيضاً باللغة العربية .. والتي تتميَّز بالطابع الديني فهي أيضاً تُركّز على النظام العراقي ، وتتهمه « *بتهريب السلاح عبر الحدود المُشترَكَة* »[1] .. لكنها أيضاً تُكيل الإتهامات لمعظم الدول الخليجية ، وتتهمها مثل العراق بالعمالة لأمريكا .. فتُشير إلى أن بعض دول الخليج قد أباحَت للأساطيل الأمريكية مياه الخليج وشواطئه ، وذلك في مقال بعنوان « *أساطيل امريكا تبحث عن ملجأ على شواطيء الخليج* »(**) .

وفي نفس المَقال تُشير المجلّة إلى المُظاهَرات المحليّة في دول الخليج على أنها أثر من آثار الثورة الإيرانية(***) .

(*) صوت الأمّة ، في ١٨/٣/١٩٨٠ ، في ٢/٧/١٩٨٠ ، ص ٢٦ .

(١) ، (**) (***) الشهيد ، العَدَد ٣٢ ، في ٢/١/١٩٨٠ ، ص ٢١ – ١٤ – ٢٨ على التوالي .

أما مجلة « إطلاعات هفتكي » الصادرة باللغة الفارسية ، فقد هاجَمت السعودية مُستغلَّة في ذلك الحديث عن حصار الحَرَم المكّي ، واصفة المُعتَصمين بأنهم « ثوريون يبلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل » .. وتتبنى المجلّة تصريحات مندوب ما أسمَتهُ بـ« المُنظَّمة الثورية لجزيرة العرب » وسرده لتاريخ « الحركة الإسلامية » وقياداتها، وتحديد هدفها ، بأنه « تخليص البلاد من التسلُّط الأجنبي » كما تقول المجلّة بأن الحركة كان بإمكانها « إسقاط النظام حتماً » ، وتصف النظام السعودي بأنه « نظام دموي هاجم الحرم وقتل هؤلاء الثوّار »(١) .

وبعد هذا الاستعراض للإساءات التي تُمارسها صحافة إثنتين من الدول الصديقة .. إذا ما أُضيفت إلى إساءات الصحافة الغربية والصحافة العربية المُهاجِرَة ، والحملات الصحفية العربية المُتبادَلة ، وما تضمُّ من إساءات للشخصية العربية والقيادات العربية سياسياً وإجتماعياً على الصعيدين العام والشخصي .. تُرى ما هي الصورة التي تظهَر بها الشخصية العربية أمام الرأي العام العالمي؟! وما مقدار المسئولية المُلقاة على عاتق الصحافة العربية المُلتزمَة في الرّد على هذه الإفتراءات ؟! لإظهار الوجه المشرق للشخصية العربية داخلياً وخارجياً .

(١) اطلاعات ، في ١٩٨٠/٧/٦ ، العَدَد ١٩٩٤ ، ص ٣٢ .



صورتنا مرسومة بأيدينا

إستعرضنا سلفاً .. الصورة التي ترسمها لنا الصحافة في أربع دول غربية ، وفي دولتين صديقتين ، وفيما يلي الصورة التي يرسمها كل منّا للآخر ، من خلال الحملات الصحفية المُتبادلة على الساحة العربية ، ومن خلال ما تكتبه الصحف العربية المُهاجِرَة عن النُظُم العربية على إختلافها ، حيث نشرح السمات العامة لهذه الحملات الصحفية ، ونُقدِّم نماذج لما تَنشُرُهُ صحُف مصر ، ولبنان ، والكويت والصحُف المُهاجِرَة ، والآثار التي تترتب على هذه الحملات سواء بالنسبة للرأي العام العربي أو العالمي .

لأن ذلك سيوضح لنا صورتنا كما نرسمها بأيدينا ، وكما ننشرها على العالَم ؛ لينقل منها ما يُناسِب حمَلاته من ملامح وسمات ، وينقل عنّا ما نُدين به بعضنا البعض ، وذلك إستكمالاً للصورة من كل جوانبها .

فإذا كان الغربيون يُسيئون إلينا بقَدْر ما يشوهون صورتنا ، ويلونون أخبارنا ، ويحلونها بإغراض في صحفهم – كما أوضحنا سلَفاً – فإن صحافتنا العربية ظلّت تُسيء إلينا ، بقَدْر أكبر من خلال ما كانت تُمارِسَهُ من حملات عدائية مُتبادلَة ، تؤثّر على الرأي العام المحلي للبلد الصادرة فيه ، كما تؤثّر على الرأي العام العربي المُطالِع لهذه الصحُف ، والأسوأ أن مُراسِلي الصحُف العالَمية ينقلون أحياناً



عن بعض هذه الصحُف ما يُصادِف أهوائهم ، ويتفق ووجهة نظرهم المعادية لأمّتنا العربية .

وقبل أن نستعرض السمات والخصائص العامة التي تُميِّز هذه الحَمَلات ، نُشير إلى هويَّة هذه الصحُف ، والموضوعات أو الأحداث التي إستغلَّتها في حملاتها .

فأمَّا عن هويَّة هذه الصحُف فهي وفقاً لترتيب الكثافة أو حدَّة الحَمَلات :

- ***الصحافة المصرية*** : مُمثَّلة في الصحُف اليومية الثلاث (الأهرام والأخبار والجمهورية) ومجلات روزاليوسف والمصوِّر وآخر ساعة وأكتوبر .

- ***الصحافة اللبنانية*** : مُمثَّلة في مجلات صباح الخير ، الموقف ، الكفاح العربي ، السفير ، الأسبوع العربي ، والمُستقبَل العربي .

- ***الصحافة الكويتية*** : مُمثَّلة في صحيفتي القبس والوطن ، ومجلَّتي مرآة الأمة وصوت الخليج .

وإذا أخذنا عيِّنة زمنيَّة كنموذج للموضوعات المطروقة من خلال هذه الحمَلات خلال العامين ١٩٧٩/١٩٨٠ فهي كمثال :



* *الخلافات العربية .*
* *أحداث إقتحام الحَرَم المَكّي .*
* *أحداث أفغانستان .*
* *التصرُّفات الشخصية لساسة العَرَب .*
* *التحرُّك الأمريكي في منطقة الخليج والجزيرة .*

وتتناول الصُحُف العربية هذه الأمور كأخبار ملونة بشكل مُغرض تُركِّز فيه على إبراز أخبار الخلافات العربية وتُجسِّمها بأكبر من حجمها ، وتتهكم على رؤساء بعض الدول ، وما يتخذونه من قرارات أو يمارسونه من لقاءات وإتفاقات ومؤتمرات ، وذلك بالإضافة إلى النَيل من عرب البترول كساسة وتصرفاتهم كأثرياء ، والتركيز على ما يدور داخل دول النفط من شئون داخلية مُرتبطة بالأمن ، وبالعِمالة ، والمشروعات العمرانية ، ووصم هذه الدول بالتمييز بين العاملين على أرضها ، وبإنتشار الفساد والرشوة والعمولات في تسيير أي أمور داخلية ، ومحاولة الإيهام بإنعدام الأمن والأمان فيها ، وتخوُّف حُكّامها من شعوبهم ، وما يتضمنه ذلك من تشهير شخصي ، ومحاوَلات للربط والتشبيه بين ما يحدُث في السعودية كمثال وما كان يحدث في إيران قبل سنوات من إسراف وتبذير في أموال النفط وأوجه إنفاقها .

أمّا عن الأساليب المُستخدَمَة للتعبير عن كل ما سلَفَ ذكره

من أمور فيمكن إيجازه في نقاط مُحدَّدَة هي :

- *التهكُّم الضِمني من خلال الصياغة .*
- *السخرية السافرة من خلال الكاريكاتير والتعبير اللغوي .*
- *السَب المُباشِر وإستخدام ألفاظ نابية .*
- *المُبالَغَة والتهويل خاصة في العناوين .*
- *التصريحات الكاذبة ونسبة أقوال مُغرضة بقصد الوقيعة .*
- *إستخدام أسلوب التعميم بالنسبة لما هو خاص .*
- *نشر ما يُعتَبر سراً عسكرياً أو سياسياً خاصاً .*
- *تبنِّي آراء الجبهات الشعبية داخل بعض الدول .*
- *الهجوم السافر على الرؤساء من مُنطلَق الخلاف السياسي.*
- *إبراز بعض الأخبار وتلوين بعضها .*
- *النقل عن الصحُف الأجنبية بما يُسيء للعرب .*
- *الإساءة للشعوب وليس فقط للحكام .*
- *التنبؤ الذي من شأنه إثارة البلبلة والحساسيات .*

ومن خلال إتباع أي من الأساليب السابقة أو الجمع بينها تُسهِم الصحافة الصادرة في المنطقة العربية في تشويه الصورة العربية ، ومَسخها ، ناهيك عمَّا تقوم به الصحُف العربية المُهاجِرَة من دور أخطر .

ومن النتائج السيِّئة التي تترتَب على ما تُمارِسهُ الصحُف العربية من حَمَلات عدائية مُتبادلَة ، تتسرَب بعض أنبائهما إلى العوام فتُثير لديهم كوامن وحساسيات تتعلّق بالطائفية والخلافات بين الفئات الحاكمة والمحكومة .. والتشكُّك في صدق ما يُنشَر محلّياً من أنباء ، توردها الصحُف الأخرى بصورة مُبالَغ فيها ، ذلك بالإضافة إلى ما تُحدِثهُ هذه الحملات من آثار داخل الدول الصادرة فيها من توسيع الهوة بين مشاعر الشعوب تجاه غيرها من الشعوب العربية ، ولعل أسوأ آثار هذه الحملات المُتبادلَة هو إستخدام الغربيين لها كوسيلة للتشهير بنا ككُل ، طالما أن هذه هي صورتنا التي نرسمها بأنفسنا ، أو بتعبير أدق التي يرسمها كل منّا للآخر .

وبعد هذا الإستعراض السريع لهويَّة الصحُف العربية المُسيئة والأساليب المُستخدَمَة فيها والموضوعات المطروقة في هذه الحملات ونتائجها أو آثارها داخلياً وخارجياً - لابد من الإشارة إلى أن بعض ما سبقَ ذكره من نقاط ، لا يمكن إدراجه في إطار الحَمَلات العربية المُتبادلَة ، ذلك أن الكويت وحكّامها وما يتصل بها من أمور لا تُتناوَل بسوء في الصحُف المحليَّة الصادرة في دولة الإمارات كمثال ، ومع ذلك نجد بعض الصحُف الكويتية تحرص على نشر بعض الأخبار المُتعلِّقَة بالشئون المحلية في الإمارات والتي من شأنها أن تُسيء إلى الإمارات بشكل أو بآخر ، كالحديث عن العمالة الأجنبية وعن



الخلافات الداخلية بين الحُكام ، والنزاع على الحدود بين الإمارات ، وسلبيات الوضع الإقتصادي والإجتماعي وعلاقة الإمارات بجيرانها، وقد يُبرِّرُ ذلك بأن الصحافة الكويتية صحافة حُرَّة - إلى حد كبير - لكن ذلك لا يتسق وكون الكويت دولة من دول مجلس التعاون الخليجي ، رغم أن دول الخليج الأخرى كان موقفها أيام الإجتياح العراقي للكويت جَد مُختلف .

أما عن الصحُف اللبنانية فكثيراً ما تنشُرُ بدافع الحِس القومي والسبق الصحفي والعِلم ببواطن الأمور ، فتُسيء إلى غيرها من الدول خاصة السعودية ودول الخليج .. وأحياناً تتمادى في الإساءة بشكل تبدو فيه متجورة .. ومما تُركِّز على نشره الوجود الأمريكي في منطقة الخليج ، والتقارب الأوروبي (الفرنسي والبريطاني) مع دول الخليج ، والإساءة إلى الحُكام الخليجيين ، والخوض في الشئون الداخلية لهذه الدول بإغراض ، والتشكيك في الدور السعودي حيال القضية العربية ، ونشرُ بعض الأخبار التي تُعتبَر أسرار سياسية وعسكرية ، قد يُسيء نشرها إلى سياسات بعض الدول العربية الأخرى .

أما عن الصحافة المصرية ، فلها النصيب الأكبر بين الصحُف العربية التي لا تترُك شاردَة أو واردَة إلا واستغلَّتها في حَملَتها على الحُكام العرب ، والتي تتجاوز أحياناً فتُسيء إلى الشعوب ، وتُعمِّم



السلوك الفردي على الجماعات ، فتوصم الجميع ، وتستخدم شتى الأساليب في سبيل تحقيق حملات ناجحة في تأثيرها على الرأي العام المصري ، وهي ما يمكن إدخاله في إطار الحملات المُتبادَلة ، حيث تسعى الصحُف المصرية المُوجَّهَة رسمياً إلى الرد على كل ما يُكتَب عن النظام المصري والسياسة الخارجية المصرية ، خاصة في فترة القطيعة العربية لمصر ، ومحاولة عزلها عن عالمها العربي ، وفي سبيل تبرير التصرُّفات والتصريحات المصريَّة الرسميَّة تلجأ الصحُف المصرية إلى إستخدام شتى الأساليب الدعائية ، وتحيُّن أفضل الفُرَص لإطلاق حَملَتها ، بالتركيز على أسلوب تلوين الأخبار بالذات، والسخرية والتهكُّم من خلال الكاريكاتير المعتمد على المُبالغَة والتهويل شكلاً ولفظاً ، كذلك الحال بالنسبة لإختيار العناوين المثيرة وإن خلا صلُب الموضوع من الإثارة ، وإعتماد أسلوب التنبؤ في المقالات والتعليقات التحليلية إلى غير ذلك من أساليب .

ولعل إستغلال الخلافات العربية سواء التاريخية أو السياسية الآنية من أهم الموضوعات التي تُتَّخَذ كمطاعن في السلوك العربي ، وكمادة دسمة للحملات العدائية بين العرب ، رغم ما يثيره تداولُها من حساسيات كامنة ، ولا تختلف فيها أي من الصحُف موضوع هذا المبحث (المصرية واللبنانية والكويتية) ، إذ تحرص كل منها على إيرادها كأخبار ، وكخلفيات دون تحرُّج من مغبة ذلك وأثره على



الشعوب ، أكثر من أثره على النُّظُم الحاكمة .

ولا تكتفي الصحُف المُهاجِمَة بتناول الخلافات بين الدول العربية ، بل تتناول الخلافات بين طوائف الشعب الواحد .. وأحياناً تُساهِم بما تكتُبُهُ في إزكاء هذه الخلافات .. وإثارة الكامن منها .

فقد تناولَت مجلة « آخر ساعة » موضوع الخلافات العربية وهاجَمَت الحُكام العرب مُستفسِرة عمَّا « وراء الأحداث في العراق وليبيا »[1] وعن عدن وسوريا ، ولا تكتفي بذلك بل تُشير إلى أحداث الحَرَم المكِّي كدليل على الخلافات الداخلية أيضاً .

وعن الخلافات داخل الدولة الواحدة كتبَت جريدة «الجمهورية» القاهرية تحليلاً سياسياً عن الأوضاع في دولة الإمارات العربية المُتَّحدَة جاءفيه وصفها بأنها كيانات مُستَقِلَّة ، تستطيع أيَّة إمارة أن تنسحب من الإتحاد وقتما تشاء ، وشبَّه الإتحاد بين الإمارات بما أسماه :

« *عبارة الأطفال الشهيرة بطَّل لعب ، مِش لاعبين ...* »[2] .

ومع ذلك فإتحاد الإمارات العربية يُعتبَر نموذَجاً يُحتَذى في

(١) آخر ساعة ، العَدَد ٢٣٧٦ ، في ١٩٨٠/٥/٧ ، ص ٨ ، ٩ مَقال بعنوان «وقفة حساب مع الحُكام العرب » .

(٢) الجمهورية ، العَدَد ٩٦٤١ ، في ١٩٨٠/٥/٢١ .



الأشكال الوحدوية العربية لتي إستمرت لعدة عقود ، والذي أصبحت الصحف المصرية الآن تُشيد به وبرئيسه .

ولا تكتفي أي من هذه الصحف بما تكتبه مرة بل تُمارس عمليات مُتابَعَة مُستمرة ، تُضيف كل يوم جديد إلى ما تُنظّمه من حمَلات . وتُشاركها وتنقلُ عنها الصحف الأخرى .

وفي إطار الحديث عن الخلافات المحلية والإقليمية وتضخيمها بما يُثير البلبلة كتبَت « أخبار اليوم » الأسبوعية المصرية :

« الإرهاب العربي في حد ذاته ليس بالغريب .... بدأنا نسمع لأول مرة عن الإرهاب الذي إنتشر في داخل الأنظمة التقليدية بنفس إنتشاره داخل الأنظمة العربية الثورية والتقدمية .... وإنتقل الإرهاب المسلح إلى الكويت والسعودية .... والإرهابيون العرب في عواصم الصمود والتصدي لا يشغلهم هذه الأيام سوى البحث عن أسهل الطرق للتخلص من إخوانهم .... »[1] .

فبالله عليكم .. ماذا ننتظر بعد وصف صحف عربية لما يدور من أحداث بأنه « إرهاب » ؟! ماذا بعد وصفنا لأنفسنا بالإرهابيين؟!

(١) أخبار اليوم ، العدد ١٨٦٩ ، في ١٩٨٠/٨/٣٠ ، تحت عنوان « الموقف السياسي لقاء الأحبة .... » .



وإلصـاق تهـمـة الإرهاب بنا ، بخلق تسـمـيـة أو هوية للإرهاب هي «الإرهاب العربي » ماذا ننتظر بعد ذلك من صحُف الغرب ؟!

ولم تكتف الصحُف المصرية بالتـتبُّع الآني لمـا يحـدُث من خـلافات بين الأخـوة داخل دولة عـربيـة أو بين عدة دول مـتجـاورة .. لكنها لم تألوا جهداً في النبش في التـاريخ لإثارة الحساسيات ، وفي مقدمـة مثل هذه الأمـور التـاريخيـة التي أُشبِعَت بحثاً في الصحُف المصرية ، الخلاف على الحدود بين الإمارات وبعضـها ، وبينها وبين السعودية على واحة البريمي ، وبينها وبين عمان بشأن أطماع عمان في الساحل المتصالح كله(*) .

وقـد حـفلَت الصـحُف الكويتـيـة أيضـاً بمـا يُسيء في هذا الصدد(**) ، إذ طالما كـَتبَت عَن الخـلافـات الداخليـة في الإمـارات المتحدة ومشاكل الحدود .

كمـا نشرَت القبس الكويتيـة نقـلاً عن دراسة أعدَّها المعهد المَلكي البريطاني للسياسة الدولية عن « الخليج في الثمانينات » ما يؤكِّد أن الأمـور العربيـة ، إتحـاد في الظـاهر ، وخلافـات قبليـة في الباطن ، بل وأيضـاً حزازات داخلية ، ونزاع على الحدود ، وإستقرار مزعزع(***) .

وتجدُر الإشـارة هنا إلى سلسلة المقـالات المعنونَة « الصراع

(*) راجع كنمـوذج مـجلة الأهرام الأقـتـصـادي ، في ١٩٨٠/٨/٢٢ ، ص ٥٥ مَقال بعنوان « البترول والحدود الدولية » .

(**) الوطن ، العَدَد ٢٠٩٤ ، في ١٩٨٠/٩/٢٠ .

(***) القبس ، العَدَد ٢٨٣٤ ، في ١٩٨٠/٤/٦ ، ص ١١ .

والتعاون بين دول الخليج » والتي كتبَها الدكتور محمد الرميحي كبَحث نشرَته « القبس » على حلقات ، وما أثاره داخل الإمارات المتحدة ، رغم أنه كان بحثاً قيِّماً .

أما عن الدور الذي لعبَتْهُ الصحافة اللبنانية في نقد الخلافات العربية وكشفها وتحليلها بما يثيره ذلك من حساسية فيتضح كمثال فيما كتبَته مجلة « الكفاح العربي » الأسبوعية في محاولَة للإشارة إلى الخلاف الداخلي في دولة الإمارات والذي يُستدَل عليه من التظاهُرات الشعبية(*) .

كما كتبَت « السفير » اللبنانية حول الموضوع نفسه تحت عنوان « *الأزمة الداخلية تتجدَّد في الإمارات* »(**) .

وقد إستمرَّت مجلَّة « الكفاح العربي » لعدَّة أعداد تنشُرُ الكثير من التفاصيل حول الخلافات الداخلية في دولة الإمارات طاعنة في المؤسَّسَات الدستورية في كل دول الخليج ، مُسميَّةً الإمارات المُتَّحدَة بـ« *الشركات السَبع* »[1] ، كما تناولَت المجلة نفسها في عَدَد آخر مشاكل الحدود بين الإمارات المُتَّحدَة وبعضها ، وبينها وبين عُمان(***) .

(*) الكفاح العربي ، العَدَد ٩٥–٧٧٨ ، في ٧–١٣/٤/١٩٨٠ ، ص ٢٢ ، ٢٣ .
والعَدَد ٩٦–٧٧٩ ، ١٤–٢٠/٤/١٩٨٠ ، ص ٢٦ ، ٢٧ .

(**) السفير ، العَدَد ٢١١٣ ، في ٩/٣/١٩٨٠ ، ص ١١ .

(١) الكفاح العربي ، العَدَد ٩٨–٧٨١ ، في ٢٨/٤/١٩٨٠ ، ص ٢٠ ، ٢١ ،
مَقال بعنوان « ديمقراطيات الخليج العربي » بقلم « عبد الرحمن يوسف » .

(***) الكفاح العربي ، العَدَد ١١٠ – ٧٩٣ ، في ٢٠/٧/١٩٨٠ ، ص ٢٦ .



وفي إطار التحليلات التي تبعث الخلافات والتخوُّف بين الأخوة، كتبَت السفير تنتقد الوضع الإقتصادي السيّء في البحرين ، وتستنتج أن السعودية « *هي الأقدر على بلع البحرين* »[1] على حد تعبير كاتب المَقال .

وتُساهِمُ مجلَّة « المستقبَل العربي » اللبنانية في هذا المجال بمَقال بعنوان « *أصول الإمارات العربية المتحدة* » يتحدَّثُ عن الدولة تاريخياً والخلافات التي كانت قائمة قبل الإستقلال والنزاع بين الشيوخ ووجود « *صراعات حادة ودموية* »[2] بين الإمارات . وتقول كاتبة المَقال :

> « *إن العائلات الحاكمة في الخليج المتصالح أسخف قوم حملني سوء طالعي على التعامل معهم* ....
>
> « *هكذا يبدو بروز إتحاد يجمع بين عدد من مشيخات الخليج أمراً إصطناعياً فرضته على الفرقاء ظروف إقليمية ودولية ضاغطة* »[3] .

---

(١) السفير ، العَدَد ٢٢٨٣ ، في ١٩٨٠/٩/١ ، ص ٢١ ، مَقال بعنوان «السعودية تُصادِر البحرين » .

(٢) ، (٣) المُستقبَل العربي ، في ١٩٨٠/٦/٧ ، ص ١٣٩ : ١٤٤ ، مَقال بقلم روز ماري سعيد زحلان .

ولا يَخفى بحال ما في ذلك من إساءة ومن بعث لخلافات تاريخية قديمة وإيهام بأن الإتحاد هو إضطراراً عصرياً وليس مَطلباً شعبياً .. رغم إستمرر نجاح دولة الإتحاد إلى يومنا هذا ، وقد أصبحَت الوحدة الآن مَطلَباً شعبياً بالفعل بعد أن إضطَرّ حُكام الإمارات للتخلّي عن مصالحِهُم حفاظاً على مَصالح الإتحاد .

والحقيقة أن كل ما يُخطَّط له من حملات عدائية مُتبادَلة سببه الأساسي الخلاف بين القيادات والنُّظُم العربية المختلفة ، والتي يدفع ثمنها المواطن العربي شعوراً بالتشتُّت والتشكُّك والحيرة ، حيال كل ما يقرأ ، ولعل هذه الخلافات هي ما جرَّت الحمَلات الصحفية المُتبادَلة إلى إتخاذ أساليب السخرية والتهكُّم والسب المباشر أحياناً . والتشكيك في صدق النوايا ، وإثارة وتأليب الشعوب على حُكامها بالتبادل ، مُستخدمين في ذلك شتى الصيَغ الصحفية ، وفي مُقدِّمة ذلك الكاريكاتير كوسيلة مؤثِّرة تعتمد على المُبالَغة والتهويل ، وكدليل على ضراوة الحمَلات الصحفية العربية في هذا الصدد نورد نماذج لذلك من مختلف الصحُف ، وهي بالطبع مردود عليها في صحُف الدول التي يمسّها هذا السب والتهكُّم .. ولكنّا نورد هنا كنموذج ما تشرّته الصحُف المصرية بالذات ؛ نظراً لإنتشارها الواسع خارج الوطن العربي ؛ ولأن الصحُف الغربية غالباً ما ترجع إليها ، وتنقل عنها ، في حين أن الصحُف العربية الأخرى أقل خطراً لعدم



إنتشارها ، ولضعف ثقلها الإعلامي .

كمثال كتبَت جريدة « الأخبار » القاهرية ، ساخرة من المؤتمرات العربية ، ودول الرفض ودول النفط قائلة :

« أموال البترول تُسيطر على الإجتماعات العربية - وزراء الخارجية قبضوا من القذافي ..

« قال كبار المسئولين في تونس أن أموال البترول هي التي تفوز في النهاية في أي إجتماعات عربية .... » .

« أقدَمَ حافظ الأسد - حاكم الحديد والنار في سوريا - على خطوة خطيرة وجريئة .. لقد قرَّر الرئيس المُناضل الشُجاع ، تغيير علَم سوريا .. وكان طبيعياً أيضاً أن يُصاب صدَّام حسين - زعيم البعث العراقي - بصدمة عصبية لأن زعيم البعث السوري سبقه إلى مثل هذا القرار .... » .

« ورددَت الأنباء في ليبيا أن حافظ الأسد سرقَ الفكرة الأسطورية من زعيم الزُعماء وحامي الحمى مُعمَّر القذافي .... » .



« .... هذه التفاهات وامثالها التي اصبحت من معالم العمل السياسي التهريجي في دول الرفض »[1] .

والغريب هو أن تُبرَز مثل هذه السخريات والشتائم على الصفحات الأولى .. وأنها بعد أن كانت تتركّز فقط على القيادات بدأت تمسُّ الشعوب أيضاً ؛ وكنموذج لذلك ما كتبَته « روزاليوسف » عن الأوضاع الداخلية في الخليج ، مُدعِّمَة ذلك بالرسوم الكاريكاتيرية التي توصم الحياة الخليجية بأنها حياة خمر ونساء .. وعمولات فاحشة وسمسرة . وكمثال سَرد قصَّة مُبالَغ فيها عن العمولات التي طلبها عدد من المسئولين في السعودية من رجُل أعمال سويسري دخلَ مُناقَصَة لبناء مبنى حكومي في مدينة الرياض يتكلّف ٤ ملايين دولار ، ووصلَ السعر إلى ٢٥ مليون دولار بسبب العمولات .. كما يُشار في نفس العَدَد إلى شغف الخليجيين بالجنس ، فتقول المجلّة نصّاً تحت عنوان « شهريار والكراجي » :

« يبدّلون النساء كما يبدّلون الأحذية والثياب والسيارات ، ويصل الأمر ببعضهم إلى حد الزواج من فتاة عذراء كل ليلة وتسريحها في الصباح »[2] .

---

(١) الأخبار ، العَدَد ٨٦٥٢ ، في ١٩٨٠/٢/٦ ، ص ١ .

(٢) روزاليوسف ، العَدَد ٢٦٩٨ ، في ١٩٨٠/٢/٢٥م .

ذلك بالإضافة إلى ما تخوض فيه الحَمَلات الصحفية من موضوعات محليَّة صرفة ، تتعلَّق بالتمايُز بين رواتب العاملين في الخليج والسعودية ، وتخوُّف الرسميين من الفكر التقدُّمي ، الذي قد يحملهُ الوافدون العرب ، والمُبالَغَة والتهويل في هذا الصدد ، نُطالعها كنموذجين فيما كتَبَته مجلة روزاليوسف وجريدة الجمهورية حول هذا الموضوع :

« الهنود والباكستانيّون ينتظرون بلفور آخر للمطالبة بحق تقرير المصير ....

« وفي السعودية يصل راتب المهندس المصري ، في أحسن أحواله ، إلى خمسة آلاف ريال ، بينما يقفز راتب المهندس الأجنبي إلى ٣٠ ألف ريال ....

« ومن الآن يُسيطر الآسيويّون خاصة في الخليج .. على مُعظَم شئون الحياة هناك .... وترفض العمالة العربية خوفاً من خطَر الأفكار المستوردَة ونقل الآراء والإجتهادات السياسية والثقافية إلى سُكان محدودي العَدَد ، مما يؤثّر على توازنهم »(١) .

(١) روزاليوسف ، العَدَد ٢٦٩٨ ، في ١٩٨٠/٢/٢٥ .

أما جريدة الجمهورية فكتبت تقول :

« دول الخليج تلوّح بالمناديل البيضاء للمحتالين ---- فروع للمافيا .. وعقود عمل للصوص والقبضايات »(1) .

ومما وردَ كسبّ وقذف مُباشر في حقّ الساسة العرب ما كتبته مجلّة « المصوّر القاهرية » تحت عنوان « المملكة العربية السعودية تحكّمها الجهالة والشهوات » ، وجاء فيه :

« فالحُكم في السعودية أصبحَ حُكم الشهوات والنزوات والأغراض الخاصة ---- » .

« والحقيقة لم تكن أبداً تخشى على أنفُسنا من تناقض السياسة السعودية العادية لنا ولا نخاف من آثار الحملات التي يُنظّمها بعض حُكام السعودية الحاقدين الموتورين الحمقى الطامعين في الزعامة حتى ولو كانت كل مؤهلاتهم للزعامة لا تتجاوز المال وحده »(2) .

---

(1) الجمهورية ، العدد ٩٥٥٣ ، في ٢٣/٢/١٩٨٠ ، ص ٢ .

(2) المصوّر ، العدد ٢٨٨٦ في ١/٢/١٩٨٠ ، مقال بقلم صبري أبو المجد ص ص ٨ – ١١ .

ومن خلال نشرُ الصحُف المصرية آنذاك لخُطَب الرئيس المصري السادات كانت تَنشُر ما يقوله من قَذف في حَق الساسة العرب ، وعلى سبيل المثال وَصْفه الحكُام العرب بأنهم « أئمة الخيانة والغَدر والنفاق »[1] . وقوله عن مؤتمر القمة العربي أنه لم يحضره سوى :

« القذافي المجنون .. وصدام حسين الدموي ، وحافظ الأسد الخائن الذي تنكَّر لمصر في حرب أكتوبر ، والسعوديين الذين يخافون من الفلسطينيين تارة ومن السوريين تارة ومن العراقيين تارة أخرى، وأحياناً يخافون من ظلهم »[2] .

ولم تألوا الصحُف المصرية جهداً في سبيل ما تُنظِّم من حمَلات إذ كانت تكتب في كل حدب وصوب ، وفي الصفحات الأولى، كل ما من شأنه تشويه الصورة ، ليس على مستوى الحكُام وحسب ، ولكن على سبيل التعميم .

وذِكر فضائح رجال الأعمال العرب المعروفين وغيرهم ، وكمثال

---

(1) روزاليوسف ، العَدَد ٢٦٩٥ ، في ٤/٢/١٩٨٠ .

(2) أخبار اليوم ، العَدَد ١٨٥٨ ، في ١٤/٦/١٩٨٠ ، ص ١ ، ١٥ .



مـا كتبَته « أخبـار اليـوم » عن رجُل الأعـمـال السـعـودي « مـحـمـد الفاسي » تحت عنوان « *النيران تلتهم قصر الفضائح* » واصفة إياه بأنه وكر لأعمال جنسية فاضحة ، وأنه أساءَ إلى سُمعة المنطقة المُقام بها في هوليود ، وأن أهل الحي كانوا يسـمونه « *مدينة الملاهي القذرة* »(١) .

والغـريب أن الصـُحُف المصـرية كـانت تُقـدِّم وجـبة دسِـمَـة للآخرين، عن حـجم الفسـاد في مـصـر ؛ وبعض الفـضـائح الخلقيـة المتعلِّقَة بالفنّانين المصـريين .. مما يُسـتـخدَم في حـملاتهم المُضـادَة لمصر .

ومن المُبالَغَات التي تعمُد إليها الصحافة المصرية والتي كانت تُبرزها في العناوين المثيرة ما نشرَته روزاليوسف من هجوم على دول الخليج والسعودية تحت العناوين التالية :

« *المشي في الشوارع برخصة ، واختلاط الأطفال جريمة شرف* »

« *المواطن له كل الحقوق والمتعاقد عليه كل الواجبات* »

« *إذا أردتَ الثروة في بلاد النفط فضع*

---

(١) أخبار اليوم ، العَدَد ١٨٣٥ ، في ٥/١/١٩٨٠ ، ص ١ .

كرامتك أمانة في مطار القاهرة » .

واستمراءً في المُبالَغة يقول المَقال المُعنوَن بما سبقَ واصفاً مجتمع النفط :

« لقد كُنّا أشبه بالهنود الذين كانوا يموتون من الجوع بينما كان الإنجليز يستمتعون بشاي الساعة الخامسة .. الشاي لهم والموت للهنود .. البترول لهم والصحراء لنا »[1] .

واستمراراً لحمَلات التشهير الشخصي وإستخدام أسلوب التعميم كتبَت « روزاليوسف » أيضاً تحت عنوان « الحياة الخاصة للعرب في القاهرة - الشقق المفروشة تسرق الزبائن من الملاهي والكباريهات » ، واصفة البذخ الذي يمارسه العرب في نزهاتهم بأنه وسيلة تريحهم وتُرضي ما بداخلهم من عُقد نفسية .. ويقول :

« العُقد النفسية للسائح العربي - تُصوِّر له الواقع بصورة خاطئة ، ولأنه لا يتعامل إلا مع المنحرفين فهو يتصوَّر أن الإنحراف شيء طبيعي .... »[2] .

---

(١) روزاليوسف ، العَدَد ٢٦٩٧ ، في ١٩٨٠/٢/١٨ ، ص ٢٧ .

(٢) روز اليوسف ، العَدَد ٢٧٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٢ .



ولا يُقتصَر على الإساءة لجمهور الرجال ، ولكن نساء الخليج والسعودية أيضاً مُتَّهَمات وبشكل عام ، إذ كتبَ أنيس منصور في عموده اليومي « بالأهرام » :

« أزواجهن مشغولون بنساء اخريات ، أو بالسفر وحدهم إلى الخارج ، وليس أمام الأميرات إلا الخروج إلى الصحراء ليصِدن الشُبان »[1] .

أمـا عن السَب العلني وغيـر الموضـوعي للرؤسـاء العـرب ، فالصحافة المصرية تعجُ به ، وكأمثلة لذلك :

« الأسد يسير متهالكاً والمجنون يسير مختالاً وهُما في الطريق إلى مباحثات التهريج حول دولة واحدة ....

« هذين الشريدين الأسد الذبيح في سوريا والقذافي المجنون في ليبيا »[2] .

هذا ولا يُجاري الصحافة المصرية أي من الصحُف العربية الأخرى في إستخدام ألفاظ السباب ، وعبارات التهكُم والسخرية

---

(١) الأهرام ، العَدَد ٣٤١٠٢ ، في ١٩٨٠/٤/٢٥ ، الصفحة الأخيرة .

(٢) الأخبار ، العَدَد ٨٨١٥ ، في ١٩٨٠/٩/١٢ ، بقلم موسى صبري ، ص ١ ، ص ٥ .

اللاذعة ، باللفظ العامي ، وبالتعليقات على الكاريكاتير ... وإن لم تخل الحملات الصحفية اللبنانية أحياناً من عبارات التهكّم ، ومنها على سبيل المثال ما كتبته مجلة « الموقف » عن زيارة الرئيس الفرنسي وملكة بريطانيا لدول الخليج تحت عنوان « قرقعة تطبيع الساسة الأوروبية فوق رمال الخليج الساخنة »(*) .

كذلك إختيار عناوين ساخرة للحديث عن الأوضاع في الخليج فيما يختص بالذات بالتدخّل والنفوذ الأمريكي في المنطقة ، ناهيك عن التهكّم على وسائل إنفاق المال العربي ، التي نشرتْه مجلة «الكفاح العربي » تحت عنوان « الحج إلى لندن »(1) . كما أن الصحف اللبنانية من خلال التحليل السياسي ، تورد تسميات أو صفات لبعض القيادات العربية تُسيء إليها ، وإن كانت لا تُعتبر شتائم مُباشرة ، كما هو الحال في الصحف المصرية ... ومن النماذج على ذلك ما وردَ بشأن تحليل الوضع الداخلي في السعودية أثناء مرض الملك خالد « كصراع على السلطة » ، كما تجد السخرية والتهكّم في الصحف اللبنانية من خلال ما تنشرهُ من كاريكاتير ، وكنموذج لذلك الإستهزاء من إعلان السعودية للجهاد المقدّس في كاريكاتير يُصوّر عربي مُنكّب على كمية كبيرة من أكياس المال وتعليق « الجهاد المقدّس »(2) .

(*) الموقف ، العدد الصادر بتاريخ ١٠/٣/١٩٨٠ ، ص ٢٨ ، ٣٦ .

(1) الكفاح العربي ، العدد ١٠٥ - ٧٧٨ ، في ٢٢/٦/١٩٨٠ ، ص ص ٨ - ١٥ .

(2) الكفاح العربي ، العدد ١١٦ - ٧٩٩ ، في ١ - ٧/٩/١٩٨٠ ، ص ٤٧ .



هذا وتتوزّع الكتابات الصحفية العربية المُتضاربة ما بين حمَلات مُنظّمَة ومدروسة وموجّهَة في إتجاه واحد .. وكتابات عشوائية تُمليها الأحداث ، المُهم أن كل ما يُكتَب عن العرب مُسيئاً لفئة منهم بالتبادُل .. يُستغَل في الصحافة الغربية أسوأ إستغلال بوصفه شهادة شاهد من أهلها .

هذا وتعمد الصحف في حمَلاتها إلى نقد الأوضاع الإقتصادية والسياسية والإجتماعية الداخلية للدولة المقصودة بالحَمْلة؛ وذلك بهدف تحريك الرأي العام المحلي ضد القيادات ، وتنبيهه إلى مساوىء حُكّامه . كما تتبنى هذه الصحُف أحياناً وجهات نظر الجبهات الشعبية فترصُد تحرُكاتها وتُضخّمها ، وكأنها ثورات كامنة قابلة للإنفجار .. وتنشُرُ تصريحات القيادات الشعبية إستكمالاً للصورة .

ولعل نصيب السعودية كان أوفر نصيب من هذا النوع من الحَمَلات .. وذلك إبان أحادث الحرَم المكّي ، وعرض فيلم « موت أميرة» ، وما أحدثَهُ من أزمة دبلوماسية بين السعودية والدول المُنتجَة للفيلم ، إذ حاولَت الصحُف المصرية والكويتية واللبنانية تصوير ما يحدث داخل السعودية على أنه إنقلاب ضد القيادات السعودية وصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة .. وأنه بنور لثورة أثارَت خوف الأمراء .. ذلك إلى جانب ما تضمنّتهُ التحليلات السياسية من تنبؤات



حول الوضع في السعودية ، إذا ما توفّيَ الملك خالد وتصارع الأمراء على الحُكم ، وما لهذه التنبؤات من آثار سيِّئة على الرأي العام السعودي داخلياً .

ولم تنجو الإمارات من هذه الحَمَلات في مُحاولة لتضخيم الخلافات الداخلية ، ونقد للأوضاع الإقتصادية والإجتماعية والسياسية الداخلية ، وكنماذج لمثل هذه الحَمَلات نورد ما كتبَتهُ بعض الصحُف ليس كنقد فقط ولكن كسخرية لاذعة ، فقد قالَت «السفير اللبنانية » عن التقدُّم العمراني في الإمارات :

> « فالمُفترَض كما هو التقليد والعُرف أن تكون علو عمارَتَك في ابو ظبي في مستوى نَسَبَك لا غناك . عمارة الشيخ لابد أن تكون أعلى من عمارة الوزير بغَض النظر عن فارق الثراء بين الرجلين .... !! »[1] .

أضِف إلى ذلك ما كتبَته الكفاح العربي من مطاعن في المؤسَّسات الدستورية والمُمارَسات السياسية في دول الخليج (البحرين والسعودية والكويت ودولة الإمارات) تحت عنوان «ديمقراطيات الخليج »(*) ، وما كتبَته نفس المجلة في عَدَد آخر عن

(١) السفير ، العَدَد ٢١٦٧ ، في ١٩٨٠/٥/٤ ، ص ١٤ .

(*) راجع الكفاح العربي ، العَدَد ٩٨ -- ٧٨١ ، في ١٩٨٠/٤/٢٨ ، ص ٢٠ ، ٢١ .



أسباب إستقالة وزير خارجية الإمارات ، وما دار حولها من خلافات واعتراضات غير مُعلنَة ، ناهيك عما كتبَته « السفير اللبنانية » بعنوان « الأزمة الداخلية تتجدد في الإمارات » وتضمَّن إشارة إلى إرتفاع سعر البنزين والغاز أكثر من الدوَل المُستوردَة ، وموقف وتظاهُر الطُلاب وتحدِّيهم للشيوخ ، مُدافعين عن مطالبهم الوحدوية ، والوضع السياسي الدخلي ، والتشكيل الوزاري برئاسة حاكِم دُبي ، وأثر ذلك على الصعيدين الحكومي والشعبي ، ثم الحديث عن الوضع الإجتماعي والفوارق الطبقيَّة ، ضاربَة مَثلاً « بالعشيش المُنتشر في بعض الإمارات »[1] .

أما الصحافة الكويتية فإن لها إنتقاداتها أيضاً للأوضاع الداخلية في الإمارات والسياسة العُمانية حيال جيرانها .

أما عن الصحافة المصرية وموقفها من الشئون الداخلية للدول العربية فيضيق المَجال بتَتبُّع ما تكتبه في هذا الصدد ، إذ أن الصحُف المصرية لا تترك فرصة إلا وتتحيَّنها لإنتقاد الأوضاع الداخلية لمُعظَم الدول العربية ، وتعمد في ذلك إلى التضخيم والتهويل، حتى بالنسبة للأمور غير السياسية ، ومحاوَلات للإيهام بعدم توافر الأمن والأمان في الدول على كل المستويات ، ناهيك عن الخوض في الجوانب السياسية الداخلية ، والتي وصلَت أحياناً إلى السَب علَناً ،

---

(1) السفير ، العَدَد ٢١١٣ ، في ١٩٨٠/٣/٩ ، ص ١١ .



مما سلفَ ذِكره كنموذج للأساليب الصحفية المُستخدَمَة في الحَمَلات العدائية المُتَبادَلَة ، والتي يضيق المجال عن حصرها ، وإنما ما ذكرناه يُعد نذر يسير مما تتناولهُ الصحف العربية ، الصادرة بيننا في العالَم العربي ، ونتبعه بمبحَث مُختَصَر عما تُمارسه الصُحُف العربية المُهاجِرَة من إساءَات للعرَب .. ويستغِلّهُ الغربيون أسوأ إستغلال . وتكمُن خطورته في صدوره خارج الوطن العربي ، وبعيداً عنه .



الصحافة المُهاجِرَة وإساءَتها لصورة العرب

إستكمالاً لما بدأناه توضيحاً للصورة التي نرسمها بأنفسنا للشخصية العربية ، والقيادات العربية ، والسياسات الإقليمية والمحلية للدول العربية من خلال حمَلاتنا الصحفية العدائية المُتبادَلَة .. نتبع ذلك بموضوعاً مُكمِّلاً وهو « الصحافة المُهاجِرَة وإساءَتها للنُظم العربية » على إختلافها ، وإستغلالها لمناخ الحُريَّة الذي تتمتع به .. مُعبِّرَة عن أفكار فردية أحياناً .. وعن إتجاهات حكومات عربية ضد غيرها أحياناً أخرى .. ومدفوعة بالحس الصحفي أحياناً .. ومأجورة تارة أخرى ، إذ تكمُن خطورتها إعلامياً في صدورها من خارج المنطقة العربية ، بعيدة إلى حد ما عن الإحتكاك الفعلي بالأحداث ، غير مشاركة فيها ، بل مُتفرِّجَة ، كما تكمُن خطورتها في جانب آخر هو قربها كمَصدر من وسائل إعلام مُعادية للعرب تنقل عنها ، وتستغلُ ما تكتبهُ أسوأ إستغلال .

وبدون خوض في التفاصيل نُقدِّم لهذا المبحث الذي سيتناول الصحافة المُهاجِرَة ليس فقط إستعراضاً لنماذج مما تنشره ، ولكن تأريخاً لبدء وجودها كظاهرة ، وإحصاءً للصحُف المُمَثِّلَة لها ، والدول المُمَثِّلَة فيها ، وتبياناً لدوافعها ، وإيضاحاً لخطرها .

فالصحافة العربية المُهاجِرَة ليست ظاهرة حديثة في تاريخ الصحافة العربية ، بل إن لها جذوراً تمتد إلى عام ١٨٧٢ ، حينما

نُفيَ صحفي مصري يُدعى يعقوب روفائيل صنوع(*) – وشهرته أبو نظارة – إلى باريس ، حيث أصدرَ هُناك مجلّة تحملُ نفس الإسم الذي إشتهرَ به ، ثم تعدَّدَت أسماؤها تحايُلاً على السُلطات المصرية التي كانت تتصدى لها بالمنع من دخول مصر والتداوُل فيها ، فأسماها صاحبها « أبو زمّارَة » ، و« الحاوي » و« النظارات المصرية » ، وكان الهدف منها بالطبع مهاجَمَة النظام الحاكم في مصر ، لكن هذه المجلّة لم تكن المجلّة العربية الوحيدة الصادرة خارج الأرض العربية ، بل كانت هناك عدَّة مجلات وصحُف تصدُر في أرض المهجر ، ويُصدرُها صحفيونَ لبنانيون ، وقلة من المصريين في الأمريكتين ، وكان أولها جريدة « كوكب أمريكا » الصادرة عام ١٩٨٨ ، وجريدة « الرقيب » الصادرة في البرازيل عام ١٨٩٦ ، وسبقَها صدور أول جريدة عربية في البرازيل عام ١٨٩٤ ، ثم بعد ذلك الصحُف العربية الصادرة في بلاد المهجَر وإشتهرَ بعضها ، إذ قام بإصدارها مشاهير من أمثال الشاعر إيليا أبو ماضي الذي أصدرَ في نيويورك مجلّة « السمير » عام ١٩٢٩ ، ومجلة الأمير أمين أرسلان المُسماة « الإستقلال » والصادرة في الأرجنتين عام ١٩٢٦ ، وقد طالَ عُمر بعض الصحُف العربية الصادرة في المهجَر حتى نهاية الخمسينات من هذا القرن(**) .

(*) عاش في الفترة من ١٨٣٩ – ١٩١٢ .

(**) راجع الموسوعة العربية المُيسَّرَة الصادرة عن دار الشعب ، ص ١١١٨ .



وإن كانت هذه الصحف لا تتسم بإتجاه سياسي مُعادي للوطن الأم والنُظُم الحاكمة فيه .. لكنها صحف عربية قومية وأدبية ، وتصدُر من أجل المُهاجرين العرب ، لربطهم بأوطانهم التي هاجروا منها ، ومثل هذه الصحف تختلف من حيث هدفها ، والجمهور المُوجَّه إليه ، عن جريدة يعقوب صنّوع ، وعن الصحف العربيّة المُهاجِرَة حالياً إلى لندن وباريس .. والتي سنعنى في هذا المبحث بتحليل أسباب هجرتها وإنتشارها كظاهرة أصبحَت أشبه بالصرعة، والتعريف بها ، وبهويّة القائمين عليها ، وتبيان إتجاهاتها ومصادر تمويلها ، وخطورتها إعلامياً ، ثم إستعراض لنماذج مما تكتبه ويُساهِمُ في تشويه الصورة العربية .

وقبل البدء في ذكر دوافع صدور عدّة صحف ومجلات عربية من خارج الوطن العربي ، لابد من حصر عَدَدها للوقوف على حجمها كظاهرة مُلفتَة للنَظَر ، إذ تصدُر في لندن سبعة صحُف ومجلات ، كما تصدُر في باريس تسعة صحُف ومجلات ، إشتهرَ بعضها وإنتشرَ في بعض البلدان العربية ، بينما لم يسمع المواطن العربي المقيم في وطنه ببعض منها ، وتتمثل الصحافة المُهاجرة في صحُف ومجلات : « الشرق الأوسط » ، « النهار العربي والدولي » ، « العرب» ، « المنار » ، « الدستور » ، « المجلة » ، « ٢٣ يوليو » ، « الحوادث » ، « الوطن العربي » ، « الصُلح الجديد » ، « شئون

الساعة » ، « الشرق الجديد » ، « الجزيرة العربية والخليج » ، «الإقتصاد العربي » ، « الإحياء العربي » ، « الوطن الرياضي » ، «العصر »(*) ، « كل العرب » ، « العرب » ، « سيدتي » ، «المسلمون» ، وبعض هذه الصحُف والمجلات قد توقّف عن الصدور .

أما عن هويّة أصحاب هذه الصحُف والمجلات فهي متنوعة ما بين لبناني ومصري وليبي وتونسي وسوري وسوداني وسعودي ، لكن القائمين فعلاً على العمل في التحرير هُم صحفيون لبنانيون ومصريون وفلسطينيون . ويُشير إحصاء نشرَته إحدى الصحُف الكويتية إلى أن عَدَد الصحفيين المُهاجرين « في لندن حوالي ١٢٠ صحفي عربي مقيم .. وفي باريس حوالي ٢٠٠ صحفي عربي »[1] ولعل الدافع إلى هجرة هؤلاء الصحفيين كما أشارَت الصحيفة هو :

« حرب بيروت الأهلية وحرب القاهرة الصحفية .... فبعد الحرب الأهلية في لبنان .. وفرض الرقابة بقسوة على (سوق) بيروت الصحفية .. وفرار العديد من الصحفيين .. وإغلاق

(*) تصدُر في قبرص .

(١) الهدف ، تحقيق مثير حول الصحافة المهاجرة ، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨ ، ص ٢١ .



بعض الصحف .. وتهدم مطابع البعض الآخر واستحالة الإصدار وسط القصف العنيف .. كان لابد أن تُهاجر بعض الصحف اللبنانية....» .

« واشترطت الحكومة المصرية أن تُراقب هذه المجلات مراقبة دقيقة في كل مادتها وموضوعاتها .. إذا أرادت الصدور من القاهرة .. وكان الشرط تعسفياً .. خاصة وأن الهروب من لبنان ، كان أصلاً بسبب الرقابة!!....» .

« وتحولت القاهرة من قوة جذب للصحافة البيروتية .. إلى أكثر من قوة طرد لرجال الصحافة المصريين ، وبدلاً من أن تستوعب المجلات اللبنانية المُعطلة بسبب الحرب .. هاجر كبار كتابها إلى البلاد العربية الأخرى خاصة إلى دول الخليج العربي ، وأيضاً إلى باريس ولندن »[1] .

---

(١) الهدف ، تحقيق مثير حول الصحافة المُهاجرة » ، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨ ، ص ٢١ .



وبذلك بدأت هجرة الصحفيين العرب في أكبر مراكز الصحافة العربية ، في مصر ولبنان .. وكان لابد من الهروب نتيجة للضغط والرقابة ، وكان لابد من الهجرة إلى بلد ديمقراطي ، يتحقق فيه قدر من حُريَّة القول ، فكانت لندن وباريس مقراً لعدد من الصحف والمجلات العربية التي إستوعبت الصحفيين المُهاجرين .. وتحولت إلى صرعة .. إذ أصبحت هاتان العاصمتان معقلاً لمعظم السياسيين والصحفيين العرب المختلفين مع نُظُمهم الحاكمة ، فصدرت مجلة «الصلح الجديد » ويُصدرها صحفي سوداني إختلف مع حكومته ، ورحل بمجلته إلى لندن ، ثم بدأ بعض الصحفيين المرتبطين بمصادر تمويل قوية (دول ، وسفارات) في المُشاركة في صرعة الصحافة المُهاجرة ، بآراء مُعاديَة لنُظُم عربية لصالح نُظُم أخرى ؛ ضماناً لتمويل الصحيفة الصادرة في الخارج والتي تُعاني من مشاكل :

« التوزيع المحدود .. التكلفة المرتفعة .. الإعلانات الضعيفة .. أجور الصحافيين والعمال وإيجار المكاتب وإشتراك وكالات الأنباء »[1] .

لذلك لابد من مصادر تمويل خفيَّة تتمثل في إستئجار الدول للصحف المُهاجرة ، وإستخدامها للهجوم على دول عربية أخرى ، لذا نجد أن هذه الصحف والمجلات ممنوعة من التداوُل في غالبية الدول

---

(١) المرجع السابق ، نفس المكان .

العربية منعاً قاطعاً ، ومُصادَرَة لبعض أعدادها وفقاً لِما تحتويه من مادة مُسيئة لأي نظام حاكم .. وعلى سبيل المثال :

« فالوطن العربي والمُستقبَل لا تدخُلان مصر والسودان والمغرب وتونس .. وجريدة اليسار العربي لا تدخُل سوى الجزائر والعراق وليبيا .. وممنوعة من الدخول في باقي البلاد العربية »(١) .

ورغم ما لهذه المجلات والصحُف من شعبيَّة لدى العامة من منطلَق التصوُّر الساذج بأنها حُرَّة لا تنتمي لنظام بعينه ، ومن منطلَق أنها جريئة في إنتقاد أي نظام ، يُقبِل عليها الأفراد عملاً بالقول بأن : « كل ممنوع مرغوب » ، بينما تتحسب منها الحكومات.

المهم أنه بدلاً من أن تقوم هذه الصحُف بدور إعلامي عربي في الخارج يوضح وجهة النظر العربية ، وأن تستفيد من جو الحُريَّة المُتاح لها لتقويم الأوضاع والسياسات العربية بموضوعية وحيدة ، أصبحَت أبواق تُسيء إلى العرب أكثر مما تُنصِفهم ، وقد لخَّصَت جريدة الهدف لكويتية ذلك قائلة :

---

(١) الهدف ، ١٩٧٨/٤/٢٧ ، ص ٢١ .



« هذه الصحف التي كان من المفروض ان تنقل للقارئ العربي صوراً حية من مواقعها الأوروبية .. تحولت إلى حرب اهلية أخرى .... وسوس للتمزق العربي .... هذه الصحف التي كان من المفروض ان تلعب دوراً إعلامياً يدافع عن العربي ، أعطت صورة صادقة لخلافاتنا ... ونشرت غسيلنا القذر .... قد يكون عندها حق في اغلب ما تقوله .. قد تكون (هايدبارك) عربية من ورق .. قد تكون .... قد تكون .... ولكن ليس السباب والقذف هو الحرية .. هذا ما ناخذه عليها »[1].

هذا وتُقاس خطورة وأهمية الدور الذي تلعبه الصحف المُهاجِرَة في موقعها خارج الوطن العربي ، وإمدادها للإعلام الغربي بمادة دسِمَة يُسيء بها للعرب .. وتزداد الخطورة بسبب عدم إلتزام هذه الصحف تجاه نظام مُعيَّن ، إذ كثيراً ما تتقلب وفقاً لمَن يدفع دون إلتزام بآثار ونتائج ما تكتبه على المواطن العربي نفسه ، وليس على الرأي العام الغربي .

وقد يتبادر للذهن سؤال مؤدّاه : لماذا أوردنا هذه النبذة عن

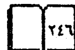
(١) الهدف ، ١٩٧٨/٤/٢٧ ، ص ٢١ .

تاريخ ودوافع الصحُف المُهاجِرَة .. لكننا رأينا أن لذلك ضرورته ، لأن هذه الصحُف كان من المفروض أن تكون وسيلتنا الأساسية في التخطيط الإعلامي الخارجي ، الذي نهدف به إلى تغيير صورتنا إلى الأفضل .

أما عن المحاور العامة التي تدور حولها الصحُف المُهاجِرَة لتحقيق هدفها في الإساءة إلى نظام مُعيَّن لحساب نظام آخر فهي :

- *الخوض في تفاصيل الشئون الداخلية لبعض الدول .*
- *التركيز على كل ما يتصف بالسريَّة وبالسياسات غير المُعلَنَة .*
- *الربط بين القضايا الإقليمية والمحلية والسياسة الدولية .*
- *تبنِّي آراء الجبهات المُعارِضة للحكومات .*
- *إبراز الخلافات العربية في أبشع صورها .*

ولعل أبرز ما تهتم به هذه الصحُف والمجلات هو قضية الشرق الأوسط والإتجاهات العربية المتصلة بها .. ثم الشئون الخليجية المتعلقة بالأمن الخليجي ، والسياسة البترولية والتحركات المحلية المحضة ، كل ذلك بأسلوب موحي بأن الصحيفة تكشف سراً خطيراً ، أو تُعلِن خبراً غير مُتوقَّع .. وأن لها السبق في ذلك ، ولا يخفى ما لهذا الإسلوب من جاذبية خاصة لدى القُرَّاء ، حتى ولو كان الخبر المُعلَن مُجرَّد تكهُّن وتنبُّؤ مُستقبلي .. أو إجتهاد في الربط



والتحليل .. غير مُدركين أن مثل هذه الأخبار والتعليقات طُبخَت بعيداً عن الأرض العربية .. وأن كاتبها إما صحفي عابر غير مُلم بكل أبعاد الموضوع .. أو مُراسل بالقطعة .. تُعاد صياغة ما كتبَهُ خارج الرُقعة العربية ، وفقاً لخَط المجلة أو الصحيفة وإسلوبها أو سياستها التحريرية ، مع إضافة الحواشي والتوابل الصحفية التي تُضخِّم الأمر وتعطيه أبعاداً خطيرة ، أو خبر منقول عن مصدَر أجنبي مُغرض .. دون أدنى تقدير لخطورة الإعتماد على المصادر المُغرضَة في نقل الأخبار .

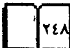
ولا أرى ضرورة هنا لإستعراض نماذج مما تنشره الصحُف المُهاجرَة تدليلاً على مدى ما تستبيحه هذه الصحُف لنفسها من حرية في الإساءَة إلى النُظُم العربية دون حدود ، وتهكُماً على السياسات العربية ، خاصة حول إستحالة إستخدام النفط كسلاح سياسي .. وخوضاً في الشئون المحلية لبعض الدول العربية ، خاص دول الخليج العربي ، وتشكيكاً في النُظُم الدستورية فيها ، وإستعراضاً لكل ما من شأنه أن يُكرِّس للعالَم ملامح الصورة العربية التي يرسموها لنا، وهي أننا قبليّون غير مُتحضِّرين ، نتقاتل حتى الموت ، ولا تجمعنا كلمة .. حتى وإن أطلقنا تصريحات وشعارات توهم بأننا وحدة واحدة ، وذلك من خلال تضخيم حجم الخلافات الداخلية في كل دولة والخلافات العربية بين الدول المتجاورة .

ولا يخـــفى مـــا في ذلك من أثر على الرأي العـــام المحلي



والإقليمي والقومي ، الذي يُفاجَأ بأن صُحفاً تصدُر خارج الرُقعة العربية ، وبعيداً عنها تنشُر أموراً غير مُعلَنَة ، ولم يُشار إليها في صُحفه المحلية .. مما يُفقِدَهُ الثقة في الإعلام المحلي ، فلا يُعتمَد عليه كمصدر للمعلومات ، ويرتبط أكثر بالصحُف التي تعني بنشر الأسرار والخفايا ، وتُحلِّلُ المواقف ، وتربط بينها ، وتتنبأ بما سيحدث !! مما لا يتوافر في الصحُف المحلية ، التي تعنى بعملية الرصد والتتبع التقريري دون أدنى تحليل أو تنبؤ ، خاصة بالنسبة للشئون السياسية .

ومن القضايا الإقليمية التي تُناقشُ كثيراً في الصحُف المُهاجِرَة قضية الشرق الأوسط والتحرُكات المُتعلِّقَة بها ، خاصة التَحرُكات غير المُعلَنَة .. وقضية أمن الخليج والتدخُّل الأمريكي فيه ، أو بالأحرى تنافُس القوى العالمية الكبرى على النفوذ إليه ، والحركات المُناهِضَة لنُظُم الحكم الخليجية بوجه عام .. والتي تتحرك في الخفاء .. والتهكُّم على التنافس العمراني بين حكام الإمارات(*) ، وعدم توافر الأمن الداخلي ، وإخفاء الإعلام المحلي لكثير من الأخبار ، أو عدم إعلانها ، رغم معرفة الناس بها ، وإختلاف الرأي إعلامياً حول ضرورة إعلانها كنوع من التوجيه الهادف ، وإخفائها وتجاهلها خوفاً من إحداث بَلبَلَة ، قد يكون لها أثرها على رجال المال والأعمال ، وعلى النشاط الإقتصادي بوجه عام .



(*) الحوادث ، العَدَد ١٢٤٠ ، في ١٩٨٠/٨/٨ ، ص ١٨ - ١٩ .

كل ذلك مع تحليل لعلاقة الشعوب بحكّامها ، وإنتقاد نُظُمها الديمقراطية ، وتشبيهها بديمقراطية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وأن المجالس النيابية كمثال يمكن أن تتناول سعر البطاطس وإستيراد اللحوم الطازجة ، أما السياسات العُليا فلا شأن لها بها .. كما أن ما يُتخَذ من قرارات في مُعظَم المجالس النيابية غير مُلزِم ويمكن عدم الأخذ بها(*) .

هذا وتَنقلُ بعض الصحُف المُهاجِرَة مادتها الخَبرية عن الصحُف الغربية دون تدبُّر ، وكنموذجاً لذلك مجلة « المستقبل » التي تصدُر في باريس ، والتي نشرَت مَقالاً مُطولاً عن التخوُّف الخليجي من أخطار داخلية وأخرى خارجية(**) .. والمجلة تنقل هذا الخبر عن مجلة أجنبية هي « جون أفريك » الفرنسية المعروفة بعدائها للعرب وميولها الصهيونية . وذلك لاشك يعكس خطورة دور الصحافة المُهاجِرَة في النقل عن صحُف غربية معادية دون أدنى إلتزام ، إلى جانب نقل الصحُف الغربية عنها كل ما يخدم إتجاهاتهم ، هذا وتقوم الصحُف المُهاجِرَة بدور لا يُستهان به في إثارة البلبلة على المستوى الإقليمي ، ففي إطار مناقشتها لدوافع وأسباب الحرب الإيرانية – العراقية ورصد أخبارها تورد بعض الصحُف المُهاجِرَة أخباراً

(*) مجلة النهار العربي والدولي ، في ٤ – ١٠ أغسطس ١٩٨٠ ، ص ٢٢ – ٢٣ .
(**) المستقبل ، العَدَد ١٨٨ ، في ١٩٨٠/٩/٢٧ ، ص ١٧ .



وتحليلات دون تقدير لعواقب نشرها محلياً داخل دول الخليج .

كما تورد الصحف المُهاجرَة آراء من يُسمون « بالخبراء » في شئون الخليج ، وفي شئون الشرق الأوسط عامة في المؤسَّسَات الأمريكية ، وذلك دون تحفُّظ على ما يوردون من آراء ، وكمثال لذلك ما كتبَته مجلة المستقبَل على لسان أحد هؤلاء الخبراء الأمريكيين ، والذي جاء فيه عن منطقة الخليج بوجه عام :

« إن المنطقة بكاملها هَشَّة ومُعرَّضَة للسقوط في أية لحظة ، تاريخها حافل بالإنقلابات والثورات والتغييرات الدموية . أكثر حُكامها تولوا السُلطة بواسطة العنف ....»

« بالإنقلاب أو بالثورة على من كان قبلهم في الحُكم ، حاربوا ويُحاربون بعضهم البعض عبر التاريخ . فالتاريخ العربي معبد بالحروب الدموية بين العرب أنفسهم . أليس ما يحدث في لبنان مثالاً وشاهداً على ما نعيشه اليوم . يُضاف إلى ذلك ما تعانيه منطقة الخليج من الغنى الفُاجيء ، ومشاريع التنمية الضخمة ، والأيدي العاملة الآسيوية التي اصبحت تُهدد



وجود السكان الأصليين للبلاد ، بتدافعها المريب للدخول إلى الخليج . فاوضاع الإمارات الداخلية تُناقَش في برلمان مقاطعة كيرالا الهندية ، ووزير العمل الهندي يتهم سلطان الخليج بإساءة معاملة العمال الهنود ، ويقول إن مواطنيه الهنود قد اصبح لهم حقوق ولم يعد لهم مطالب . ما اقصر نظر العرب ، ظنوا أن الآسيويين افضل من عرب المشرق أنفسهم لأنهم غير مُسيَّسين ، رغم أن تاريخ العالم حافل بهذه السوابق . فهل دخل الهنود بلداً وخرجوا منه ، جنوب افريقيا ، شرق افريقيا ، حتى بعد طرد عيدي امين لهم ، سنغافورة ، حتى فيتنام وكمبوديا وتايلاند . تلك دول فقيرة فكيف بالأحرى بدول غنية كدول الخليج قليلة السكان . إن خطر العمالة الآسيوية هو الخطر الحقيقي »[1] .

هذا وقد دأبَت هذه المجلة بالذات « المستقبَل » على الخوض

(١) المستقبَل ، العَدَد ، ١٧٨ ، في ١٩/٩/١٩٨٠ ، مقال لرياض نجيب الريّس .



في تفاصيل الشئون الداخلية لدول الخليج مؤكِّدة على الخطر الذي يُهدّدُ المنطقة ككُل من جراء الهجرة الآسيوية ، التي أسمتها في عدد آخر « حرب المرتزقة في الخليج »[1] . وهي في إطار التنبيه إلى خطر هذه الهجرة تُسيء إلى دول الخليج نفسها .

هذا وتتبنى الصحافة المُهاجِرة دائماً وجهات نظر الجبهات المُعادية للحكومات ، ورصد تحركاتها ، ونشاطها ، وتصدّي الحكومات لها ، وذلك بأسلوب يبدو منه التعاطُف مع هذه الجبهات .

ومن النماذج على ذلك ما كتبَتهُ مجلة « المجلة » الصادرة في لندن تحت عنوان « هل ينتصر التاريخ على الجغرافيا ؟ » تحليلاً للوضع التاريخي والجغرافي لمنطقة الخليج بدءاً بالكويت ثم البحرين[2] ، ويشير هذا التحليل إلى وجود خلايا سريّة في المنطقة كانت الصحف المُهاجرة تنشرُ أحياناً تغطية لنشاطاتها المعادية للنُظُم العربية تحمل شيئاً من التضخيم . ذلك أن نشر الحقيقة دون أدنى إلتزام عربي يمكن أن تلمسه أيضاً في نشر تصريحات مسئولين غير عرب في الصحف المُهاجرة ، دون أدنى تحرُّج مما قد تتضمَّنهُ هذه التصريحات من إساءة إلى بعض النُظُم العربية ، وكمثال لذلك نشر تصريحات المسئولين الإيرانيين التي تتضمَّن تجريح لدول الخليج ،

---

(١) المستقبل ، العدد ١٨٨ ، في ٢٧/٩/١٩٨٠ ، مقال رياض نجيب الريس

(٢) المجلة ، العدد الثالث ، ١ - ٧/٢/١٩٨٠ .



واتهامها بأنها « *ترفع شعار الجاهلية* » وأن « *حكامها غير مؤمنين* » وأنها « *دول إقطاعية تدعي أنها مسلمة* » خاصة بعد نشوب الحرب العراقية – الإيرانية ووضوح الميل العربي ، والخليجي بالذات ، إلى تأييد العراق ضد إيران(١) .. ذلك بالإضافة إلى نشر الصحُف المُهاجِرَة وبعض الصُحُف العربية للتهديدات الإيرانية لدول الخليج ، ومحاولَة تضخيم الخطورة التي تتهدَّد هذه الدول ، والإجتهاد في عمل مقارَنات بين القوى .

هذا وقد لجأت الصحُف المُهاجِرَة إلى أساليب السخرية والتهكُّم على بعض النُظُم العربية الخليجية .. سواء فيما يختص بالتصريحات الرسمية للمسئولين والحُكام ، أو فيما يختص ببعض الأمور الداخلية . ومن النماذج على ذلك ما نُشِرَ من تهكُّم على حاكِمي إمارَتَي دبي والشارقة وشهرتهم في بناء الأنفاق والجسور(*)، كذلك ما نشرَتهُ مجلَّة « المجلَّة » التي تصدر في لندن من تهكُّم على دولة الإمارات في مقال « *هل ينتصر التاريخ على الجغرافيا ؟* »(**) المشار إليها سلَفاً .

هذا وتتناول الصحُف المُهاجِرَة بصراحة وبجرأة التصرُّفات

(١) العصر ، العَدَد ١٩ ، في ١٩٨٠/١٠/٣ .

(*) الحوادث ، العَدَد ١٢٤٠ ، ص ١٨ – ١٩ ، أشير إليه سلَفاً .

(**) المجلَّة ، العَدَد ٣ ، في ١ – ١٩٨٠/٣/٧ .

الشخصية للعرب في الخارج ، خاصة عرب الخليج ، وكنموذج لذلك التحقيق الذي نشرَتهُ مجلة « النهار العربي والدولي » الصادرة في باريس تحت عنوان « العرب في باريس اغنى الأغنياء وافقر الفقراء »[1] وأبرَزَته على ستة صفحات عدا الغُلاف ، وزوَّدَته بصور لعرب خليجيين ولإحصاء مصروفاتهم الشخصية في فنادق باريس الكبرى ، إلى غير ذلك كثير من الأمثلة .

هذا وتكمُن خطورة الصحُف المُهاجِرَة في شموليتها كل القضايا العربية دون تركيز على واحدة أكثر من غيرها ، فكما نجد أن لهذه الصحُف موقفاً من عملية السلام المصري - الإسرائيلي ، نجد أنها أيضاً تهتم بقضية أمن الخليج ، وبالحرب اللبنانية ، وشئون لبنان الدخلية ، وبالخلاف بين المغرب وموريتانيا ، ومشكلة الصحراء المغربية وإستقلالها ، والصحُف المُهاجِرَة في كل ما تنشره حتى ولو كانت مأجورة تدَّعي أنها حريصة على الحقيقة المُجرَّدَة ، والخطورة تكمُن في أن الرأي العام العربي يتوسَّم في هذه الصحُف الحيدة ، ويجعلها مَصدراً موثوقاً لمعلوماته ، ومن خلالها يمكن تغيير إتجاهات الرأي العام ، وعلى هذه الأوتار كانت تعزف دائماً الصحُف المُهاجِرَة مشيرة إلى أنها صحافة حُرَّة محايدة[2] ، تقول الحقيقة وتتعرَّض

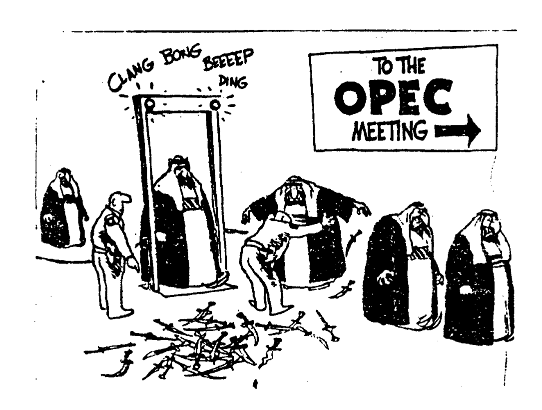
---

(١) النهار العربي والدولي ، في ٨/٦/١٩٨٠ ، ص ص ٤٠ - ٤٤ .

(٢) الهدف ، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨ ، ص ٢١ .

لُصادَرَة في معظم الدول العربية ، ولا يخفى ما في ذلك من إيهام بصِدق كل ما تنشره ، مما يمكن أن يغتر به فكر العامة ، وتكمُن وراءه الكثير من المُغالَطات .

كما ولا ننسى أن نشير إلى أن المستوى الفني التحريري والإخراجي لمعظم الصحُف المُهاجِرة يفوق مستوى الصحُف المحلية في بعض الدول العربية .. مما يُزيد من خطورة الصحُف المُهاجِرَة ، نتيجة للإقبال المتزايد على قراءتها ، فنجد الكل حريص على مطالعتها .. وميَّال إلى تصديق ما يرد فيها من أخبار دون تبصُّر .. وهو أمر يمكن إستغلاله لتحسين الصورة العربية ، وليس لتشويهها .





الفصل الثالث

صورة العرب فى المصنفات الفنية

للمصنفات الفنيه بوجه عام أثرها البالغ فى الأذهان نظراً لانتشارها . . واقبال جماهير عريضة عليها ، بوعى ، وبدون وعى . . متلقين لمحتواها . . تاركة تأثيرها فى نفوسهم وفى تكوين صورهم الذهنية عن الأشياء والأشخاص . . بل وعن شعوب بأكملها . . ولعل المصنفات الفنية بكل أشكالها من فيلم سينمائى أو تليفزيونى إلى شريط ڤيديو أو شريط مسموع (كاسيت) أو اسطوانات غنائية ، وبكل ماتملكه من قدره على التأثير فى جماهير عريضة ومتنوعة المشارب والقدرات . . هى الوسيلة الأكثر تأثيرا من غيرها . . فإذا كان للكتب أثرها على الجمهور القارىء والمثقف ، وللصحف أثرها على الجمهور القارىء الملم بالقراءة ونصف المثقف ، بما لها من تأثير تراكمى مُلّح ، فإن للمصنفات الفنيه أثرها البالغ على الجميع سواء المتعلمين أو المثقفين أو حتى الأميين . . . ذلك من حيث عمومية التأثير ، أما من حيث شدته ، فإذا ما حاولنا قياس مدى التأثير الذى تتركه حاستى البصر والسمع لوجدناها بالقطع أشد من تأثير حاسه واحده . . بل إن فيلم واحد " كموت أميرة " أو القرصان " ليترك أثرا أعمق وأعرض مما يتركه كتاب يطالعه الخاص ، أو صحيفة تأثيرها وقتى . . . ويميل الجمهور الواعى إلى عدم تصديق كل مايرد بها .



ولعل ذلك ما حدى بنا فى هذا المقام إلى تخصيص فصل قصير عن الأفلام والأشرطة المسموعة والمرئيه .

فالسينما أو مايسمى بالفن السابع هى الأكثر تأثيراً فى عالم اليوم ، وهى الفكر النافذ إلى كل العقول ، ووسيلة الإعلام التى لا تطالب مُستقبلها بأى كفاءات أو قدرات على القراءة أو التحليل ، فقط تكفى قابلية التلقى ، والسينما هى الوسيلة الدعائية الهامة التى يُروّج من خلالها للفكر المريض . . ويشوه من خلالها كل مايراد تشويهه .. وتستغل أسوأ إستغلال فى الحرب البارده الناشبة فى العالم ، وتأتى أهميتها من منطلق أن العرب من الشعوب التى نالها حظ وافر من التشويه على يد السينما الغربية ، والأمريكية ، بعد الهنود الحمر ، والأفارقة . الذين كان لهم الحظ الأوفر ..

فالعرب والمسلمون أصبحوا ومنذ سنوات الصرعة أو الموضة الجديدة فى السينما العالمية ، بتأثير من النفوذ الصهيونى المسيطر على هذه الصناعة وإنتاجها . . فالأفلام التاريخية التى تتناول صدر الإسلام ، والدولة العباسية ، والعثمانية بدأت تنتشر ، كما أن أفلام المغامرات بدأ يدخلها العنصر العربى كوسيلة لتشويه الصورة العربية .

والعرب كموضوع فى السينما العالمية وإن كانوا يشكلون قطرة فى خضم ماينتج ، إلا أن أول الغيث دائما قطرة . . وهو



مايبشر بإنتاج أكثر ، تكثف فيه الجهود للإساءة للعرب وتشويه صورتهم من خلال فن جماهيرى تجارى . . . ناهيك عن مساهمة هذا الفن فعلاً فى هدم المقومات النفسية والقومية للشخصية العربية فى الواقع ، من خلال رواج الإنتاج السينمائى الغربى فى المنطقة العربية ، حتى يصدُق الزعم .

عن السينما كإعلام مُغرِض ووسيلة لترويج فكر مريض . . . سيكون هذا البحث إستعراضاً لأساليب السينما العالمية فى الإساءة للعرب .

السينما إعلام مغرض

من المعروف أن السينما أكثر الوسائل الإعلامية والدعائية إنتشاراً بعد التليفزيون . . بل ويحتل ماتنتجه مساحة كبيرة من ساعات الإرسال التليفزيونى ، بما يُعرَض من أفلام سينمائية ؛ ولذا لم يألوا الغرب جهدا فى سبيل إستخدام هذه الوسيلة .
لتحقيق غايتين :

الأولى : تشويه الصورة العربية .

الثانية : الترويج للفكر الهدام .

بل لعل السينما هى أكثر الوسائل الإعلامية تكريسا للفكر الهدام ، الذى من شأن إنتشاره مسخ الشخصية العربية وتحقيق



الصورة التى يرسمها لها الغرب إفتراء ، وتحويلها إلى واقع ، فالإلحاح الإعلامى بأسلوب المس السريع والمتكرر لأى فكرة ، هو من أنجح الأساليب الإعلامية وأسرعها تاثيراً .

والسينما تقوم بدورها المزدوج من خلال افلام :

* الإنتاج الضخم التى يُنفَق عليها الملايين (أفلام روائية) .
* أفلام الفيديو كاسيت (التى راجت مؤخراً فى المنطقة العــربيـــــة) .
* الأفلام التسجيلية والدعائية الخاصة بأندية السينما ، ودور العــرض الخاصـــة .
* أفــلام الكـرتـــون .

وعن طريق هذه القنوات والروافـد يُنَفَّـذ المخطط المدروس بشقيه بإستخدام كل إمكانيات العمل السينمائى ، من تصوير ، وديكور ، وملابس ، وحوار ، وقصة ، وإخراج ، يجندها جميعا تمويل سخى يملكه أعداء العرب ، ولايملك العرب التصدى له بالرد حيث أن صناعة السينما فى العالم العربى لم تصل بعد إلى الأسواق العالمية(*) بالقدر المطلوب ، ولم تحظ بالقدرة على إقناع العالم بغير

(*) لا مجال لإنكار وجود أفلام جزائرية وفلسطينية ومصرية جادة فيها محاولات لتصحيح الصورة العربية لكنها لا تمثل ردا كافيا كماً أو كيفاً على إفتراءات السينما العالمية .



ماتبثه السينما الغربية والأمريكية ، ذلك لأننا لا نملك عالميا وسيلة المنع ولاوسيلة الرد . . وكل مانملكه هو السيطرة على أسواقنا المحلية ، بمنع عرض الأفلام التى تسىء للعرب ، والتى تُرَوِّج للفكر الهدام ، وذلك من أجل خلق إعلام موجه من بين مايستورد . . وحماية الرأى العام العربى من التيارات المستوردة المغرضة ، وحماية الشباب العربى من الإنحلال ، والتفسخ ، الذى تُرَوِّج له السينما الغربية . . . ووسيلتنا هى منع عرض الأفلام ، أو نقد موضوعاتها فى الصحف والمجلات العربية ، وذلك بالطبع لايصل إلى خارج البلاد العربية ليطلع عليها الرأى العام العالمى .

أما عن الأسلوب الذى تتبعه السينما الغربية لتحقيق هدفها ، فيتمثل فى عناصر محددة قابلة للإبتكار ، والتجديد مع كل إنتاج جديد ، إذ لم تعد الإساءة للعرب وتشويه صورتهم قاصرة على الأفلام السياسية والتاريخية الواضحة الهدف ، وإنما أصبح العرب مادة جيدة لأفلام المغامرات والجنس والأفلام البوليسية والمطاردات ، وأفلام الرعب والعنف والشعوذة ، حتى بات الإنسان العربى الآن هو العنصر المشوق فى معظم الأعمال السينمائية ، بما يُشاع حول شخصيته على الشاشة من غموض شرقى يثير الجمهور الغربى . . وكأن السينما الغربية والأمريكية قد أنتهت من مهمة تشويه صورة الهندى الأحمر والأفريقى الأسود ، من خلال أفلام الخمسينيات ،



والستينيات ، التى كان التركيز فيها على تصوير مدى تخلف الهنود الحمر والأفارقة العبيد ورفضهم للحضارة والتمدين وعدوانيتهم ، وخيانتهم ، وقذارتهم ، وتكاسلهم ، وإعتقادهم فى الخرافات ، إلى آخر ملامح الصورة التى نجحت السينما العالمية فى رسمها لهؤلاء ، على مدى عقدين من الزمان ، ثم جاء دور الرجل العربى فى السبعينيات لترسم صورته المشوهه على الشاشة ، ويراها ملايين المشاهدين ، وتثبُت الصورة فى مخيلتها بأبعادها السيئة ، لخلو المجال من سينما عربية جادة تصحح هذه الصورة ، وتكون مرآة صادقة للشخصية العربية .

وتتمثل أساليب السينما العالمية فى:

* تمجيد قدرات الرجل الغربى فى كل زمان ومكان .
* تصوير العربى كشخصية متخلفة . . . خيانية . . . عدوانية ... الخ .
* نقل صورة عن إنحلال المجتمع العربى وإتصافه بالإباحية ، وإن كانت تُمارَس سراً .
* إهدار القيم ، والإساءة إلى المثل العليا ، المتمثلة فى الوالدين ، أو الزعماء والقادة .
* ربط الجنس بكل الموضاعات أى كانت سياسة ، أوتبشير ، أوعنف .



* إحلال معتقدات خرافية محل الديانات . . . (كالشعوذه والسحر والأرواح . . . . الخ .)

* التبشير بأديان غير الإسلام والإساءة اليه .

ولعل المزج بين كل العناصر السابقة هو ما نراه من إنتاج سنيمائي يموه فيه الهدف الحقيقي لأى إنتاج - إن كان ثمة هدف محدد - حتى أن الأفلام التجارية التى لا تندرج على قائمة الأفلام المتعمد فيها الإساءة للعرب ، نجدها تؤدى جزءا من الدور المطلوب .. فالأفلام التجارية هدفها البيع والرواج دون الإهتمام بالآثار المترتبة على هذا الرواج . . وهى فى الغالب تمس موضوعات جذابة بالنسبة للمشاهد العادى ، وهى موضوعات الجنس ، والجريمة والعنف والعرى وماإليه . . وقد أصبح الإفتقار إلى الهدف ، هدفا فى حد ذاته . . إذ يعكس مايعيشه الغرب من عبث وما يريدون لنا أن نعيشه .

ولنبدأ بمناقشة أولى أساليب السينما العالمية فى تحقيق أهدافها المضادة للعرب . . ألا وهو تمجيد الرجل الغربى ، فى مقابل مسخ الرجل العربى ، والأمثلة على التمجيد كثيرة وهى تتدرج مع تدرج ، الفهم العام للمجد . . فحينما كان المجد للقوة الجسدية كانت أفلام " طرزان " وشخصيته هى صورة الرجل الغربى ، فى مقابل الأفارقة المتخلفين . . وحينما تطورت النظرة إلى المجد إلى الفروسية

والعراك كان التركيز على أفلام " رعاة البقر " فى مقابل الهنود الحمر ، وحيثما أصبح المجد للذكاء والعقل ، أصبح الرجل الغربى هو العالم والمفكر ، ورجل الشرطة الذكى ، والقائد والسياسى المحنك، فى مقابل العرب المتخلفين عن كل ذلك ، وإستمراراً فى المبالغة ، أصبح الخيال والأفلام العلمية المستقبلية ، أو الخيالية ، هى آخر صرعات السينما العالمية ، وأصبح الرجل الخارق ، والمرأة الخارقة .. هما نموذج الشخصية الغربية فى مقابل مايُرسم للشخصية العربية من ملامح سيئة .

والعجيب أن صرعة تقديم الرجل العربى فى صورة سيئة قد إنتقلت عدواها من السينما العالمية إلى السينما الهندية(١) فظهرت عدة أفلام هندية تسىء العرب وتصورهم كلصوص ، وأعضاء عصابات ، وتجار رقيق ، وقراصنة ، وكنموذج على ذلك فيلم (ANEK - DIN AGGEY) وفيلم على بابا (ALY BABA) الهندى الذى يظهر العرب كنخاسين ولصوص ، ويطعن فى نزاهة القضاء العربى ، ويستهزئ باللباس العربى .

كذلك الفيلم العالمى " لورنس العرب " الذى يُعطى صورة سيئة ومغلوطة عن العرب ، ويسئ إلى الحياة البدوية خاصة فى المملكة السعودية ، كذلك فيلم (EAST OF SUD) الذى يسئ إلى الشعب السودانى .

---

(١) السينما الهندية خطرها وتأثيرها فى بعض الدول العربية نظرا لكثرة عدد الأفلام الهندية المعروضة فى هذه الدول .



ولم يقف الأمر عند حد الأفلام السياسية والتاريخية فحسب ، فقد أصبح العرب عنصراً هاماً فى أفلام المغامرات التى تصورهم كأفراد عصابات ومغامرين ، وكنموذج على هذا فيلم " الأصبع الحديدى يضرب ثانية " (IRON FINGER STRIKE BACK) إخراج جون فكندا ، كذلك فيلم (NEVER IN FRIDAY) الذى ينضح بالجنس ويسئ إلى العرب من زاوية الجنس ، كذلك الفيلم الإنجليزى مليون دولار لسبعة قتلة (A MILLION DOLLORES FOR 7 MIRDERS) الذى يصور أحداث عنف درامية ، ومطاردة جاسوسية تدور على أرض مصر ، وهو بالطبع لايطابق الواقع فى مصر ، أو أى أرض عربية على الإطلاق ، حيث لايحدث أن يكون للشرطى دوراً فردياً كما هو الحال فى الغرب ، ذلك بالإضافة إلى ماتضمنه الفيلم من إساءة لدولة عربية والتشهير بها ، حيث يصور أن أرض مصر مجالاً رحباً للصوصية والعنف ، كما يستعرض أحداثاً ، المفترض أنها وقعت فى صعيد مصر (أكثر مناطق مصر تزمّتا) فيصورها على أنها مجون ، ورقص ، وميسر ، وخمر .

وأيضا نجد الفيلم الإنجليزى BROTHERS TILL WE DIE (أخوة حتى الموت) وهوفيلم بوليسى تدور احداثه على أرض عربية، إذ يحكى قصة إثنين من اللصوص هربوا من الغرب إلى ليبيا فلوتهم ، وتدور الرواية حول هدف واحد ، هو تصوير العرب فى هذه المنطقة

كإرهابيين ، ولصوص يتصفون بالعنف . . والفيلم إجمالاً ملئ بالألفاظ المسيئة للعرب، وعبارات الطعن فيهم ، خاصة الليبين وقادتهم ، كما يشير إلى ملوك البترول ، ويتحدى العرب ويستهزئ بهم ، وتدور المطاردات فى الفيلم فى مناطق البترول كنموذج لهمجية العرب ، وتدليلا عليها .

كذلك الحال بالنسبة لأفلام المغامرات التى بدأت تغزو السينما الهندية كعدوى من السينما العالمية ، نجدها أيضا تركز فى هذه النوعية من الأفلام على أن العرب لصوص ، وأن الجنس والخمر هما المحرك الأول ومحور حياة العرب . . وكنموذج لذلك فيلم (E. K. SE BADHOR) الذى يحكى قصة سرقة ماسة كبيرة بواسطة عصابة متخصصة اعضائها من العرب يركز فيها على تصوير العربى كمخادع وخائن ، إذ كان عضوا فى العصابة ، ثم انقلب ضدها ، ناهيك عن التركيز على أهمية الجنس بالنسبة للعرب .

ولعل كل ما سبق من إساءات للعرب يأتى فى إطار قصة خيالية أو بوليسية يدس فى ثناياها بشكل غير مباشر ، وأحيانا بشكل مباشر وصريح . . وذلك بهدف تصوير العرب كمجرمين وارهابيين فى كل أمورهم الحياتية ، ليُتَّخَذ هذ التصوير ، أو هذا الزعم ، ذريعة لتأكد الهدف الرئيسى للسينما العالمية الممولة من الصهيونية ، وهو الإساءة إلى عرب فلسطين بالذات لإثبات عدوانيتهم، وعدم أحقيتهم فيما يطالبون به .

ولعل أبرز الأمثلة على هذا الهدف الصريح فيلم " يوم الأحد الأسـود (BLACK SUNDAY) الذى يصـور الفـدائيين الفلسطينيين كإرهابيين ؛ لإعتدائهم على ملعب رياضى يضم ثمانين ألف متفرج ، يظهر بينهم الفدائيون مهددين بإلقاء القنابل والمتفجرات ، مثيرين الرعب والذعر بين الناس ، ثم يتدخل البوليس الأمريكى السرى لقلم المخابرات الإتحادى الـ (F.B.I) لمنعهم من تحقيق غرضهم ، كما يصور محاولة الفدائيين زرع ألغام فى أمريكا .

وهذا الفيلم يعتبر قمة الإساءة المباشرة للعرب عموماً ، وللثورة الفلسطينية بشكل خاص . . فالقصة التى إستوحت من العملية الفدائية التى تمت في أولمبياد ميونخ ، إستطاع الصهاينة تحريفها ، وتشويهها بما يحقق الغرض من الإساءة إلى العرب .

والمعروف أن السينما العالمية تربط شتى الموضوعات التى تعرضها بالجنس كعنصر جذب . . فلا يخلو فيلم تاريخى ، أو اجتماعى ، أو بوليسى ، أو حتى تبشيرى من الجنس كعنصر مكمل جذاب ، يتمثل فى ممارسات تفصيلية واضحة . . تتمثل فى عرى كامل ، أو جزئى بهدف الإثارة الجنسية والإغراء . . ومناظر خليعة وشذوذ ، وتناقض مع طبائع البشر ، وأجناسهم ، وذلك فى خدمة الهدفين الأساسيين وهما :

أولاً : الإساءة للعرب

ثانياً : نشر الفكر الهدام



إذ نجد أن الجنس عنصراً وظيفياً فى كليهما .

هذا وقد انتقلت العدوى إلى السينما المصرية ، فنجد أنه حتى الأفلام العربية لم يسلم الأمر فيها من الإساءة إلى الشخصية العربية ، بل والزعامات العربية من خلالها ، وكنموذج على ذلك الفيلم السياسى " أسياد وعبيد " الذى يشوه حقبة مجيدة عاشها العرب المصريون ، بالإساءة إلى حكم الزعيم " الراحل جمال عبد الناصر " ، كذلك فيلم " الكرنك " ، وهما يتناولان نشاط المخابرات خلال هذه الحقبة ، وتكميم الأفواه والعسف فى توقيف ، الأبرياء ، وسجنهم على أنه واقع هذه الفترة . . وقد تلا ذلك إنتاج عَدَد آخر من الأفلام التي تناولت الحقبة الناصرية بالتشويه .

بل وحتى الأفلام الكوميدية لم تعف من ذلك ، إذ كان فيلم "أحنا بتوع الأتوبيس " أكبر مثل على هذه النوعية من الأفلام التى تشكك المواطن العربى فى قياداته وزعاماته الوطنية ، بل وفى ذاته ، وفى أزهى عصور المد القومى العربى .

ولعل الأساليب السينمائية المتبعة فى الإساءة لاتختلف كثيراً عن مثيلتها المتبعة فى نشر الفكر المريض ، وتقويض القيم والمثل العليا ، المتمثلة فى الروابط الأسرية ، والزعامات العربية ، والدين الإسلامى ، والنماذج كثيرة لايمكن حصرها فمعظم إن لم يكن كل الأفلام الغربية لا تخلو من ترويج لفكرة أو عدة أفكار هدامة ، وأسلوب حياة غير سوى .

ولتأكيد ذلك نقول إن معظم الأفلام العالمية تعطى صورة مبالغ فيها عن إنحلال وتفسخ المجتمع الغربى ، واتصافه بالإباحية والمجون، الذى يصل إلى حد الشذوذ ، وذلك بما يعرضه من تبرير للرذيلة على نحو يثير العطف على مرتكبيها ، بل وتصويرها تصويراً جذابا كنموذج للتحضر والمدنية ، بأسلوب يشجع على تقليد فاعليها.. بل وتكريس معنى أن الغاية تبرر الوسيلة ، فنجد أن الأفلام تتخذ الرذيلة وسيلة لتحقيق غايات نبيلة ، ولايخفى مافى ذلك من بث قيم هدامة ، وحتى إن حرص الفيلم على إنزال لون من العقاب بمرتكبى الرذائل ، نجد أن هذا العقاب لايأتى إلا فى النهاية ، وبعد سلسلة من النجاحات المبهرة ، حتى أن عنصر الرذيلة يعتبر هو العنصر الغالب فى سياق أحداث أى فيلم .

ولعل ضرب أمثلة أوإعطاء نماذج لمثل هذه الأمور، لا طائل له ولا نهاية فأفلام الجنس والجريمة والعنف والمغامرات والمطاردات والرعب تمثل أكثر من ٥٠ ٪ من الإنتاج السينمائى العالمى ، لذلك تنعكس هذه النسبة فيما يرد إلى المنطقة العربية من أفلام سنويا ، ويعج معظمه بما يتنافى والآداب العامة وما يهبط بالقيم والأخلاقيات، ناهيك عما تثيره هذه الأفلام من تهديد للأمن العام بما تعرضه من جرائم ، وطريقة تنفيذها بما يغرى الشباب بتقليدها كوسيلة لإثبات الذات ومحاولة للتقليل من هيبة الشرطة والقضاء ، وإفتقاد الثقة فيهم

والملاحظ أن معظم أفلام الجرائم والعنف تحاول عن طريق الإلحاح والتكرار أن تعكس تصور بأن الجرائم من الأمور الطبيعية فى الحياة ، بالإضافة إلى إبراز أن المجرم إنسان ذكى ينجح لفترة طويلة فى إخفاء آثار جريمته ، ويدخل فى صراع أو مبارة ذكاء مع رجال الشرطة ينجح فيها حتى النهاية ، حين ينزل به العقاب الذى غالبا ماتصوره السينما على أنه إنتحار أو قتل بالصدفة البحتة أو إنتقام إلهى ، وتصفية جسدية بين المجرمين .

وذلك يضفى على الشخصيات الإجرامية هالة من البطولة حتى النهاية ، فى مقابل وصم أجهزة الأمن والقضاء بالغباء ، مما يُفْقِدَهُم ثقة الجمهور ، والخلاصة أن مجموع ماينتج من أفلام أجنبية من شأنه الإخلال بالآداب العامة والقيم الإجتماعية فى العالم العربى، كذلك تشويش فكر الصغار والشباب بما يبعث أو يُثير فيهُم القلق ويؤثر فى نفسياتهم ويشوه دورهم الحقيقى المطلوب منهم القيام به للنهوض ببلادهم . . بل ويدفعهم أو يساعدهم على سلوك عدوانى أو إجرامى.

والحقيقة أن السينما أيضا مثل الصحف تمزج دائما بين صـورة العربى وصـورة المسلم . وتربط بين العادات العربيـة والمعتقدات الإسلاميـة . وكمثال لذلك الفيلم المُسَمَّى الرعب أو "الارهاب فى الصحراء" الذى نشرت عنه التايمز مجازين مقالاً نقدياً مُطَوَّلاً ، تناولت فيه بدهشة العادات العربية ، منتهزة الفرصة

للإدعـاء بأن العـرب قـوم لا يتطورون إلا من الظاهر فـقط . . وأن عقابهم على مخالفة العادات والتقاليد البدوية عقابا دمويا صارخا . . إذ كتبت المجلة تحت عنوان : « فتاة تتحدى أهلها وتحب أحمد . . وقاتل مأجور يجرى ورائها » دراما حقيقية حية . . وقد جاء فى هذا المقال :

" أن البدو لم يعودوا يعيشون فى خيام كالتى كان يعيش فيها أجدادهم الرحل . . فهم يعيشون فى مدن مثل بير سبع ، ومع ذلك فحياتهم تتغير تغيرا بطيئا ، وتحت القشرة الرقيقة من التقدم ، نجد أن لب الحياة البدوية لم يتغير . . ومن اهم هذه التقاليد أن الفتيات البدويات يجب ألا يتزوجوا إلا بدوى" .

" ذلك أن بطلة الفيلم طالبه فى المدرسة ، وقد خلعت الحجاب ، وأعلنت عن حبها للبطل ، مما جعلها فى نظر اهلها خائنة للتقاليد المستقره فى قبيلتها ، ومن ثم لا يمكن العفو عنها أو غفران خطئها ، ويجب أن تنال العقاب، وأن يكون هذا العقاب إنتقاما رهيبا"(١) .

---

(١) صاندى تايمز ماجزين – ١٩٨٠ – ص ٤٢ ، ٤٣

Sunday Times magazin - 1980 - P.42 - 43 .

ويستمر المقال أو النقد الفنى للفيلم فى وصف الرعب الذى لاقته الفتاة ، وجريها فى الصحراء وخوفها من كل الرموز الموحية بقتل حبيبها كصورة بدوى يسن سكين . . وخلافه . . إلى أن يشير إلى أن الإسرائيليين أنقذوها . . وأن " البطل موشى ديان " كان هو من أنقذها . . فاحترمه أبوها ، ويستمر المقال فى وصف الموقف الإنسانى اليهودى فى مقابل الوحشية العربية .

وإستكمالاً للإساءة إلى العرب تأتى الإساءة إلى الإسلام ، ومحاربته ، والتشكيك فيه ، وإحلال أفكار وضعية وخزعبلات بدلاً منه، وذلك عن طريق الأفلام التبشيرية (أولاً) والأفلام الخرافية الخيالية (ثانياً) وتضطلع بهذه المهمة السينما العالمية التى تُبَشِّر بالدين المسيحى ، كذلك السينما الهندية التى تُرَوِّج للهندوسية والبوذية وغيرها من ديانات غير سماوية ، ذلك عدا عن الأفلام الخيالية والعلمية التى تشكك فى الأديان عامة ، وكنموذج الفيلم الإنجليزى (مطر الشيطان) THE DEVIL'S (RAIN) من إخراج روبيرت فوست الذى يُرَوِّج للشعوذة ويتضمن مساس بالمعتقدات الدينية ، كذلك فيلم (Young Frankenstaion) وفيلم (Devils Express) اللذان يُعتبرا أفلاماً خيالية مرعبة يمكن تمريرها على أنها لون من التسلية وقطع الوقت ، لكن حوارها هو دعوة صريحة للإلحاد وضد الدين كذلك (مُتنا عطشا) ، (WE THIRSTY DEAD) الذى

يعتبر من أفلام الرعب لكنه يتضمن دعوة للإلحاد ، كما نجد من بين أفلام الشعوذة والأرواح التى انتشرت مؤخراً فيلم ليزا " "LIZA" الذى يعتبر فيلم خرافى يروى قصة إمراة مصابة بتهيؤات لكن محتواه يدور حول الإعتقاد فى الأرواح .

كذلك الفيلم الإنجليزى (BLUE BEARD) " اللحية الزرقاء" الذى يعتبر من أفلام الجريمة ، إذ يحكى قصة رجل سادى عاجز جنسيا ، يهوى قتل النساء ومن خلال فكره المريض يدور حوار الفيلم حول الإلحاد ورفض الدين .

أما فيلم (EXOSCIST) بجزئية "طارد الأرواح" و "الملحد" فهو فيلم علمى يمثل صراع بين العلم والدين ، ينتصر فيه العلم فى النهاية وفيه ينتصر الشر على الخير ، ناهيك عما يضمه من مشاهد مرعبة ومثيرة تركز على آثار العلاج بالأرواح والشعوذة ، إذ يصور أن الصليب يهدى المريض بما له من تأثير مغناطيسى الى غير ذلك ، مما يدل على مدى إستغلال كل الأساليب الممكنة لتوصيل الفكر الإلحادى والنظريات الإلحادية كفيلم (BLOOD AND LADE) الذى يروج للوجودية ويدعو لها .

وإن كانت الدعوات الوضعية كالسحر والشعوذة والأرواح والوجودية هي جانب من جوانب الدعوة الإلحادية التي تتبنَّاها السينما العالمية ، فهناك جانب آخر هو التبشير بدين غير الإسلام ، وذلك ما تُمثِّله مجموعة من الأفلام الجادة الواضحة الهدف كفيلم



الإنجيل "The Bible" إخراج جوزيس تشارلست وفيلم «الرداء» وغيرهـا من الأفـلام التي تدعو مباشرة للمسيحية وتُبشِّر بها ، كـذلك الحـال بالنسـبـة للأفـلام الهـندية التي تُروِّج للهندوسـيـة كفـيلم "Thilathama" الذي يُعـتبَر دعايـة وتبشـيـر بديانات غـيـر سـمـاوية وعـبـادات وثنيـة ، وفـيـلمَي "Devata" و"Amar Jeefikkumun" اللذان يُعـتَبَرا دعـاية هندوسـيـة صرفة.

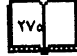
ولم يقف الحد عند التبشير وحسب ، بل وظهرَت في الأسواق العـالميـة أفـلامـاً تتنـاول الإسـلام بالتـجـريح كـالفيلم الإنجليـزي "You can't win EM all" الذي تدور أحـداثه في الدولة العثمانية ، ويتضمن إساءة إلى الإسلام وإهانة للقرآن بأن يمسكه أمريكي ويلقيه على الأرض .

وحتى فيلم « الرسالة » الذي يُعتبَر من الأعمال الجيدة التي لا تتضمَّن إساءة واضحة للإسلام ، والذي إعتبرَهُ الكثيرون عملاً إعلامياً رائداً بالنسبة للإسلام ، حتى هذا العمل لم يخلو من أخطاء تاريخية دفعَت الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية في مكة لرفض عرضه في البلاد العربية .. رغم أنه عُرِضَ في عدد من البلاد الإسلامية غير العربية ، وإن كنت أرى أنه صرخة في واد كان من المفروض عدم منعها ، والإكتفاء بتصحيح مسارها إذا كان بها بالفعل أي أخطاء تاريخية .



هذا ونجد أننا في العالم العربي لا حول لنا في صد الهجمات الغربية على ديننا فيما يتصل من بعيد أو قريب بمفهومه كعقيدة أو عمل ، أو الإساءة إلى تشريعاته في صورة تشويه أو تحريف ما يحيط به من حقائق تاريخية ، أو مُحاولَة إظهار صور الأنبياء والصحابة وأهل البيت في أدوار يقوم بها مُمثِّلون غير مسلمين سبقَ لهُم الظهور في أدوار ماجنة بما يُسيء لصورتهم النقية في أذهان المسلمين .. فقط كل ما نستطيعه هو حماية المُشاهِد المسلم من رؤية هذه الأفلام ، إلى أن نملك أسلوب الرد بلغة السينما على كل ما ينال العروبة والإسلام من إفتراءات ، وحتى يحين هذا الوقت .. فسلاح المنع من العرض هو السلاح الذي يجب التركيز عليه ودعمه بوسائل مُراقَبَة وتفتيش وضبط أقوى ، منعاً لتسرُّب أو تهريب أي أفلام سيئة إلى السوق العربية ، خاصة من خلال أشرطة الڤيديو .

فلو أن صناعة السينما العربية صناعة متقدمة وواعية لكان بالإمكان إنتاج فيلم أو فيلمين على مستوى عالمي من ناحية التكنيك ، تُمجِّد الإسلام أو تُحسِّن صورة العرب بشكل غير خطابي وغير مباشر ، وبإستخدام مُفرَدات سينمائية جيدة ، وبأسلوب متميز يفرض هذا الإنتاج عالمياً ، ويُشارك في مهرجانات دولية ، ويُسمِع العالَم بأثره صوته ، ويُقدِّم صورة متوازنة ، إن لم نقُل مؤيِّدَة للحقوق العربية وللشخصية العربية .



ولعل إعتماد النقد الفني والكتابة أسلوباً للتصدي لتحليل الأفلام الأجنبية ، هو الأسلوب المُتاح حالياً للرد على الهجمة السينمائية الشرسة على الشخصية العربية ، التي تُحيطها غالباً بهالة من الغموض الذي يوحي بالطرافة والغرابة .. ويُعطي إنطباعاً عن العرب أبسط ما يُقال عنه أنه إنطباعاً غير طيِّب أو غير مُريح للمُشاهِد .. فهو يوحي غالباً بالدهاء والمكر والخيانة والخِسَّة .. من خلال الأزياء والنظرات والتصرُّفات .. وأتباع أسلوب ماكر أو غادر في الهجوم أو الدفاع .. وليس أسلوباً فروسياً يوحي بالمواجَهَة في نُبل .. ولعل صفحات الصحف ليست كافية لذلك ، بل إن وضع كُتُب تتناول الرد على هذه الهجمة هو الأسلوب الأنجح .. وهو ما فعله الناقد الفني أحمد رأفت بهجت في كتابه « الشخصية العربية في السينما العالمية » الذي تبنَّى نَشره وطبعه نادي القاهرة للسينما ، وهو كتاب جدير بأن يُترجَم إلى عِدَّة لُغات أجنبية لتميُّزه في إستعراض وتوثيق « فيلموجرافيا » لأهم الأفلام العالمية (١٤١ فيلم) التي تعرَّضَت للشخصية العربية والتاريخ العربي ، كما أفردَ فصولاً كاملة لمناقشة وتحليل الجوانب المختلفة التي تناولَت بها السينما العالمية العرب ، من حيث التاريخ العربي ، والشخصيات الدينية فيه ، والتعرُّض للحروب بين العرب والفرنجة ، وبين التتار والعرب ، ثم تعرُّضَ للتاريخ العربي الحديث ، وكيف تناولَته السينما العالمية من



خلال الثورة المهدية وحركات التحرُّر في شمال أفريقيا ، ثم مصر من محمد علي إلى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كما تعرَّضَ الكتاب لما أسماه رومانسيات الصحراء التي تمثَّلت في أسطورة الشيخ وفي المرأة العربية .. وتحدَّثَ عن الأجواء الشائعة في السينما العالمية في تناوُلها للعرب من خلال الجو العام لليالي العربية المُسمَّاه بألف ليلة وليلة ، ومن خلال فكرة الرق والجواري . ثم الملامح المُعاصِرَة للأجواء العربية في السينما العالمية وهي : العرب والبترول ، والمثقفون العرب .

هذا وقد ناقشَ الكتاب فكرة العنصرية الكامنة وراء قناع المناصرة ، خاصة بالنسبة للمهاجرين العرب في أوروبا .. وتعرَّضَ لأثر العنصرية والتعاطُف مع اليهود ضد أبناء المُهاجِرين .

وهو بحَق كتاب جدير بالقراءة(*) ، وجدير بالترجمة لكي يقرأه الغرب .. فيكون بمثابة رد منَّا على جزء من التحامل الغربي علينا .. على أن تتبعه سلسلة من المؤلَّفات في هذا الموضوع .

الأشرطة المسموعة والمرئيَّة :

لا جدال في أن الكلمة المسموعة لها تأثيرها البالغ في النفس، وأن الكلمة المسموعة كوسيلة إقناع أو تحويل الرأي العام ، هي

(*) مطبوعات نادي القاهرة للسينما (٣) ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ ، مطابع الأهرام بالقاهرة .

الأكثر تأثيراً وإنتشاراً ، من مُنطلَق أنها تتسلل إلى الأذن دون عناء وأنها لا تتطلَّب جمهوراً واعياً مُتعلِّماً بل تصل إلى الجميع ، وإن كان تأثيرها أكبر على غير المتعلمين الذين قد يُبهِرَهم الأسلوب الذي صيغت به أي فكرة ، وتجنبهم الأداة التي تمَّ من خلالها تسلل الكلمة المسموعة إلى آذانهم .

ومن هنا كانت للإذاعة خطورتها كوسيلة إعلام حرصت الحكومات على السيطرة عليها وتوجيهها ، بحيث تحمل وجهة النظر الرسمية . كذلك الحال بالنسبة للكلمة المُدعَّمَة بالصورة ، والآتية عن طريق التليفزيون ، والداخلة كل بيت ، وبالتالي كل ذهن .

ومع تطوُّر وسائل الإستماع والرؤية .. أصبح للشرائط المسموعة والمرئية (الكاسيت – والڤيديو كاسيت) تأثيراً بالغاً يمكن إستغلاله في تغيير إتجاهات الرأي العام بالنسبة لأكبر قطاع ممكن من الجماهير دون تقيُّد بحدود المكان والزمان ، إذ يتوفر لهاتين الوسيلتين بالذات قدرة فائقة على الإنتشار ، تساند قدرتهما على التأثير . ولعل العالَم الغربي من أكثر المدركين لهذه الخصائص والميزات ، ومن أكثر المستغلين لها ، في الترويج لفكره المريض ، وأفكاره المعادية بأساليبه المُسيئة لنا .

وإدراكاً منَّا لأهمية هذه الوسيلة الإعلامية الشعبية خصَّصنا هذا المبحث عن الكاسيت ، والڤيديو كوسائل للدعاية المُضادَّة لنا .



ولعله أفضل من الحديث المُجرَّد عن أهمية الكاسيت كوسيلة تأثير في الرأي العام تجاه قضية ما .. أن نضرب أمثلة ونعطي نماذجاً لإستخدامه في مجالات شتى ، سياسية وإصلاحية وفنية ، في مجتمعات مختلفة ، حقَّقَ من خلالها شعبية ساحقة للمادة المُسجَّلة عليه ، سواء كانت فكراً أو فناً أو سياسة .

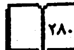
وتدليلاً على أن هذه الأداة الصغيرة قد أصبحَ لها خطورتها ، ما أطلقته بعض الصحف على الثورة الإسلامية في إيران من تسميات ، كان أبرزها تسميتها « ثورة الكاسيت » ، إذ تمكَّن الإمام الخوميني من تحريك شعب بأكمله وهو بعيد عنه مئات الأميال ، عن طريق تهريب أشرطة تسجيل تحمل عصارة فكره في شكل خُطَب بصوته تحث الناس على رفض واقعهم والثورة عليه ، وغني عن البيان ما توفر لهذه الأداة من وسائل النقل والنسخ الرخيصة ، التي حقَّقَت لها شعبية ساحقة .. وغني عن التعليق والإيضاح ما كان للكاسيت من تأثير على شعب بأكمله ، ليتحرك في ثورة شعبية ساحقة تطيح بمُلك عتيد .

وإن كان إستخدام الكاسيت في الثورة الإيرانية وما أحدثه من تأثير نموذجاً سياسياً وعسكرياً .. فإن للكاسيت دوراً آخر على الصعيد الإجتماعي ، لا يقل أهمية عن مثيله في إيران .. ففي جمهورية مصر العربية – على سبيل المثال – كانت هناك أشرطة



تسجيل منتشرة بشكل شعبي دون علم أي سيطرة من الحكومة .. تحمل أشعاراً سياسية لشُعراء شُبَّان رافضون للواقع المصري السياسي والإجتماعي ، ومن أمثلة هذه الأشرطة ما يحمل قصائد للشاعر أمل دنقل ، والشاعر نجيب سرور ، والشاعر أحمد فؤاد نجم، سواء منها المُلحّن بصوت الشيخ إمام ، أو المقروء في جلسات خاصة ، ومن عجب أن هذه الأشرطة لا يُكتفى بتوزيعها داخل مصر بل يتسرَّب عَدَد منها إلى المصريين العاملين خارجها ، كوسيلة لشحن نفوس الجميع ، كذلك نجد أشرطة عديدة تحمل خُطَب إمام مسجد في القاهرة يُدعى « الشيخ كشك » يُهاجم فيها الحكومات علناً ، ويكشف تجاوزهم للشريعة ، ويغض النظر عن محتوى ومضمون ما يقول من آراء على هذه الأشرطة ، فالحقيقة التي لا فرار منها أن هذه الأشرطة قد حقَّقت شعبية نادرة وعرَّفَت جمهوراً عريضاً بفكر أناس لم يُتاح لهُم تقديم أفكارهم بأي من الطُرُق المشروعة .

ومما يُدلِّل أكثر على أن الكاسيت أصبحَ وسيلة شعبية ، بل تتحقَّق من خلالها الشعبية لأمور كثيرة ، أن بعض المطربين ممَّن لم يُفتَح لهُم المجال في الأنغام ، قد حققوا شعبية ساحقة ، من خلال أشرطة الكاسيت ، لم ولن يستطيعوا تحقيقها عن طريق أي من وسائل الإعلام الأخرى .. بل إن إنتشارهم رغم تردي ما يُقدِّمونه قد



جاء من منطلق عدم السماح لهُم بالتداول رسمياً فانطبق عليهم القول بأن « كل ممنوع مرغوب » ومنحَهم صفة الخصوصية .. وذلك أيضاً يدُل على مدى ما قد تُستغَل به الأشرطة من الترويج للغث من الفكر والرديء من الفنون ، وهو ما يحدُث فعلاً من إنتشار الكاسيت المُسجَل عليه الغناء الغربي الماجن والأشرطة التي تنضح بالجنس والتي تُعد معاول هدم لأي مجتمع ، ولم يكن مجتمعنا العربي مُعرَّضاً لتلقيها إلا عن طريق هذه الأداة ، وهي الأشرطة .

هذا ولابد من الإشارة إلى المعاني والأفكار لتي تُكرَّس في الغناء الغربي ، والأفلام التي تُتَداوَل في شكل أشرطة مسموعة أو مرئية ، وهذه الأفكار هي :

* الإشادة بإسرائيل .
* السخرية من العرب والإساءة لتقاليدهم .
* الإساءة إلى الاسلام .
* التهكم على الأديان بصفة عامة .
* الإساءة إلى العرب .
* الجنس الفاضح والشاذ .

أما عن الأساليب والموضوعات المستخدمة لتكريس المعانى السابقة فهى :

* التغنى بالآثار الصهيونية فى فلسطين .
* الترويج للُغة العبرية بحشو الأغانى بألفاظ منها .
* إستعراض العمليات الفدائية بما يسئ للفلسطينيين (فى أفلام الڤيديو)
* التهكم على العرب والرسميين منهم بشكل خاص .
* تحويل آيات القرآن إلى أغانى راقصة .
* عرض قصص الأنبياء والتبشير بديانتهم (اليهودية والمسيحية).
* توفير الإمكانيات التى تحقق إنتشاراً عالمياً .
* توفير الإمكانيات المالية التى تخرج عملاً جيداً مدروساً .

وبعد هذا التحديد نستطيع الخوض فى تفاصيل ما يُقدَّم من خلال الأشرطة المسموعة والمرئية . . وما يتغنى به الشباب العربى دون تقدير لخطورته مستمتعين بما يصاحبه من موسيقى شجية أو رؤية ممتعة .. خاصة بعد إنتشار الأغاني المصورة بأسلوب « الفيديو كليب » ، وما يتوافر له من تقنية وإبهار ، وما تحويه لقطاته الخاطفة من عناصر جذب ، دون أدنى إلتزام ديني أو خلقي .

ومن النماذج التى تتغنى بالآثار الصهيونية فى فلسطين بما



يدعم وجهة النظر الصهيونية فى الحق الإسرائيلى فى فلسطين ، ويثير العطف على اليهود الشريط الفرنسى[1] (les Plus Grands Success) الذى يحوى أغنيتان إحداهما تتغنى بحائط المبكى فى القدس ، الذى يقصده اليهود ليشكوا عواطفهم ويبكوا . . وهذه الأغنية تتضح فيها الدعاية الصهيونية المغرضة بشكل جلىٰ ، إذ تستدر العطف على ضحايا المحرقة من اليهود . . كما يحمل هذا الشريط أيضا أغنية عبرية تتغنى بسكان القدس اليهود .

ويعد أسلوب المزج بين الغناء باللغات الأوربية والغناء بالعبرية أو مجرد إقحام كلمات عبرية فى عبارات الأغانى كما فى أغنية "Queen Bicycle" يعد فى حد ذاته ترويج للعبرية كلغة ، وتقريب لها من قلوب الناس ، وبالتالى أسلوب دعائى لإسرائيل ، أكثر شعبية وقدرة على الانتشار والتأثير .

كذلك نجد أن النصوص القديمة بدأت تُستغل أيضاً فى الترويج للأفكار الصهيونية والدعاية لها ، ففى أغنية " أنهار بابل " "River of Babylon"[2] نجد أن أصل النص مأخوذ من الإنجيل " المزمور ١٣٧ الذى أنشده منذ ٢٥٠٠ سنة أبناء إسرائيل

---

(١) غناء ريكا زاراى " RIKA ZARAU"وانتاج شركة فيليبس ويتم توريده من هولندا .

(٢) تغنيها فرقة (بونى ام) ومسجلة على أغلبية أشرطة الموسيقى الراقصة .

فى بابل . . " ولا يخفى ما فى إختيار هذا النص من ذكاء ؛ ليصبح أغنية شعبية ، تحقق نجاحا كبيراً ، وبالفعل إنتشرت فى العالم بأسره .

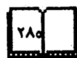
وهذا النوع من الغناء الذى يعتمد على أصول تاريخية قديمة أصبح هو الأكثر جاذبية للمنتجين ، والفرق الموسيقية ، لما يحقق من شعبية ، ومن أمثلة هذا النوع من الأغانى أغنية " مخلصوا الأمريكان الزنوج " التى كان لها أثر فى التخفيف عن فئة ممن يشعرون بالظلم الواقع عليهم بواسطة مجتمعاتهم وظروف حياتهم .

كذلك الحال بالنسبة للأشرطة المرئية نجدهم فيها يستغلون القصص القديمة للترويج لمفاهيمهم ، ومن الأمثلة على ذلك فيلم بن هور "Ben Hur" الذى يحكى عن نبى يهودى قديم أخذ أبناء إسرائيل إلى بابل . . وهى قصة يهودية قديمة .

أما عن إستعراض العمليات الفدائية وتصويرها بما يسئ إلى الفلسطينيين وتمجيد إسرائيل ، والإشادة بها فيجد له مجالاً واسعاً فى الأشرطة المرئية أيضا ، وكنموذج لذلك فيلم "Raid on Antebbe" ، وهو الفيلم الذى يصور عملية مطار عنتيبى على أنها نصراً ساحقاً للذكاء الإسرائيلى على المقاومة العربية ، التى يسئ إليها الفيلم أيما إساءة ، كذلك فيلم " يوم الأحد الأسود " "Black Sunday" يعتبر من أبرز الأمثلة التى تصور الفدائيين الفلسطينيين كإرهابيين ، ولقد أشرنا إلى محتواه سلفاً .

وفى إطار الإساءة إلى العرب يبرز أسلوب ثانى من أساليب الإعلام الغربى وهو التهكم على العرب والسخرية منهم خاصة الشخصيات الرسمية ، ومن النماذج على ذلك فيلم " الرجل الثانى " "The Next Man" الذى يحكى قصة مدسوسة عن وزير البترول السعودى السابق ، ويشير إليه باختيار شخص يشبهه تماماً لتمثيل دوره .. وتنتهى القصة بموته ، كذلك نجد فيلم " لورنس العرب " "Lowrence of Arabia" الشهير الذى رُوِّجَ له فى السينما ، ويُرَوَّج له أيضاً كشريط ڤيديو ؛ ليراه أكبر عدد ممكن من الناس ، كذلك فيلم " شرق السودان " "East of Sudan" الذى يعطى فكرة خاطئة عن السودانيين وفيلم " رمال الصحراء " "Sand of The Desart" وهو فيلم كوميدى عن بلاد الخليج العربى ، فهو يشير إلى الشيوخ أو الحكّام ويصفهم بالبلاهة والجهل ، وحب الجنس وإنغماسهم فيه ، كما يشير إلى أساليب ممارساتهم السياسية بكثير من التفكُّه .

ولا يفوتنا ذكر الأفلام التليفزيونية المسجلة على أشرطة الڤيديو ، والتى تُعرَض فى حلقات البرنامج التليفزيونى البريطانى بنى هيل شو (Benny Hill Show) التى تضم فقرات فيها كثير من التهكم والسخرية من العرب ، خاصة فيما يتصل بعلاقاتهم النسائية .



ولعله من نافلة القول أن نذكر أو نشير هنا إلى الفيلم التسجيلى التليفزيونى المسمى " موت أميرة " والذى أشرنا إليه فى الفصل السابق وكيف كتبت عنه الصحف . . وهو موضوع أثار ضجة كبيره ، لم تخفى على أى من المهتمين بما يروُجه عنا الغرب بشتى الوسائل ، والذى كان منعه من العرض من أهم أسباب رواجه وتكالب الناس عليه . وتهافت الصحف على الكتابة عنه وتحليله ونقده . . بل كان من آثاره نشوب أزمة دبلوماسية بين السعودية وبريطانيا .

أما عن الفيلم التليفزيونى الروائى المسمى " القرصان " "The Pirate" فهو النموذج المثالى - إن صحت كلمة « مثالى » هنا - لوصف أقسى عمليات الإساءة والتشويه الغربى للصورة العربية ، بما فيه من تشويه لحقائق تاريخية ، وما فيه من تصوير للرجل العربى بأنه مُتَلَهٍّ عن زوجته مما يدفعها إلى الرذيلة ، ومنشغل بتجارته عنها . . بل ولا مانع لديه من إستخدام زوجته لتسهيل معاملاته وصفقاته .

هذا قد إمتلأ الفيلم بالمشاهد الجنسية التى تصور تكالب العرب على النساء ، والرقص الشرقى . . ونثرهم للنقود واللآلئ على الراقصات بل وأيضاً على الراقصين ، للإيحاء بأن العرب يُغرَمون



بالعلاقات الشاذه ، ناهيك عما ورد فى الفيلم من تلميح إلى تسامح الإنسان اليهودى ووفائه . . وأننا أبناء عمومه مع اليهود ، وأن الإنسان العربى الوحيد النابه يظهر فى النهاية أنه يهودى الأصل .

أما عن التهكم على الأديان ، والسخرية منها ، خاصة الإسلام ، ونشر معتقدات وضعيَّة ، وطرح موضوعات جنسية إباحية فالأمثلة عليها عديدة ، وتتناول بأساليب مختلفة ومنوعة لكن أبرزها على صعيد الأغنية وأفلام الفيديو هو إستخدام القرآن فى النصوص الغنائية وعلى الموسيقى الراقصة الماجنة ، وأقرب مثال لذلك كاسيت لفرقة "La Bionda" عليه أغنية باسم عاصفة رملية "Sand Storm" وهو مزيج من الموسيقى الراقصة السريعة والأصوات الرقيعة وفيه جزء من سورة من القرآن الكريم وباللغة العربية . كذلك شريط "Queen - Bicycle Race" الذى يحتوى على كلمات عبرية وتقول مقدمته الراقصة نصاً :

" مصطفى ابراهيم – مصطفى ابراهيم "

اللـــــه . . . اللـــــه . . . اللـــــه

نحـــــن نصلـــــي لـــــك . . .

وفى مقابل هذه الإستهانة بالإسلام ونبيه نجد أغانى أخرى تتغنى بالأنبياء اليهود ، والمسيحين وتحمل متوناً من الديانة اليهودية

والمسيحية ، وكمثال على ذلك الشريط الغنائى "Bush Doktor" الذى يحمل أغنية باسم " موسى – النبى "(١) والذى يضم أغنية مليئة بأسماء الأنبياء وحكاياهم ، المأخوذة من الديانة اليهودية .

• كذلك تُستغل الأشرطة المرئية فى عمليات التبشير وكنموذج لذلك فيلم الڤيديو " المسيح نجم فوق العادة " "Jesus Christ Superstar" المنتج فى إسرائيل من قبل مؤسسة روم بن أفريم "، وفى مقابل ذلك نجد فيلم مثل "The Horse"(٢) تدور أحداث قصته فى أفغانستان ، ويحمل مغالطات تشوه صورة الإسلام فى نظر غير المسلمين ، إذ يتناول موضوع التداوى والعلاج بالقرآن ، ليس بالتلاوة والدعاء ، وإنما بإلصاق صفحة من صفحات القرآن على الجرح . . ثم يأتى طبيب فينزع الورقة ويقذفها بسخرية قائلاً بأن هذا الكلام ليس له قيمة . . ويحرق هذه الصفحة إلى غير ذلك من تهكم وسخرية واستهزاء .

أما عن الجنس والشعوذة والفكر الهدام فحدّث دون حرج عن إستغلال الڤيديو كاسيت فى الترويج لها . . ومزج هذه الأفكار بموضوعات سياسية ودينية . . ومن الأمثلة على ذلك فيلم " النذير أو الشيطان " "The Omen" وهو فيلم من جزئين يتسم بالرعب ،

---

(١) من غناء بيترتوش "Peter Tosh"

(٢) تمثيل عمر الشريف



ويحكى قصة شاب سيطر عليه الشيطان ليكون إبنه . وفى الفيلم مناظر مأخوذة من مدينة حيفا بفلسطين ، ومصور فى الجزء العربى من المدينة ، وتقول القصة إن نهاية الشيطان ستكون فى هذا المكان .. فى جزء من أرض إسرائيل . . والجزء المصور من الفيلم فى إسرائيل من إنتاج " خدمات السينما الإسرائيلية " ، ومن ذلك يتضح مدى اهتمام الغرب وإسرائيل بالإنفاق على أفلام الفيديو التى تخدم أغراضها .

ويقودنا ذلك إلى الحديث عن توفير الإمكانيات ، فمن الأساليب المستخدمة لتحقيق الأهداف المرجوة من أفلام الفيديو كاسيت وأشرطة الكاسيت ، رصد إمكانيات إنتاجية ضخمة ، وتسخير الخدمات اللازمة ليس فقط لإنتاج جيد ولكن أيضا لتوزيع وانتشار عالمى ساحق ، فنجد مثالاً شريط كاسيت يحمل موسيقى لعازف الساكس العالمى " ميلز افيز " تُسخَّر ٤ شركات عالمية لتوزيع هذا الشريط الموسيقى ؛ فقط لأنه يعزف قطعة موسيقية على هذا الشريط بإسم إسرائيل ، وأكثر من ذلك يُخصَّص دخل بيع هذا الشريط لخدمة النشاط الصهيونى .

ذلك عدا عن توفير الإمكانيات المالية والفنية التى تُخرِج عملاً جيداً مدروساً ، من حيث الموسيقى والنص وشهرة المؤدى ، وإستغلال الرتم الراقص الذى يصادف هوى فى نفوس الشباب ؛

لترويج أى فكر من خلال أغنية تكتسب شعبية كاسحة ، وتصبح على كل لسان . . وكنموذج لذلك إستخدام فرقة مثل " البونى إم " ليس لها عداء حقيقى للعرب ، بل لها شعبية وشهرة فى العالم العربى ؛ لتصبح عنصراً هاماً فى الترويج لأغنية مثل « أنهار بابل » المأخوذة من أصول تاريخية قديمة ، وإختيار هذه الفرقة بالذات لتُحقِّق للأغنية الإنتشار والشعبية الشعبية المطلوبة .

وبعد هذا العرض للأفكار المطروحة من خلال الأشرطة المسموعة والمرئية ، والأساليب والموضوعات التى تنفُذ من خلالها هذه الأفكار إلى الأذهان وذلك بغرض التدليل على ما لهاتين الوسيلتين من أهمية بالغة فى التأثير على الرأى العام ، لما تتمتعان به من صفات الخصوصية ، وسهولة النقل والنسخ عنهما ، يمكننا بنفس المنطق إستغلالها لتحسين صورتنا فى العالم ، بأساليب شتى .. خاصة بعد انتشار القنوات الفضائية ، وتقدم فن تصوير الأغاني العربية ، وإمكانية المشاركة بها في سباقات الأغنيات ، والمهرجانات الغنائية ، والتي يمكن أن تُقدَّم فيها أغاني عربية ، أو حتى أغاني بلغات أجنبية ، تتناول – وبنفس الذكاء – موضوعات إنسانية عامة تدحض ما تُقدِّمُهُ الأغاني الغربية ، وتحبط مسعاها .

الباب الثانى

أسباب وأساليب الحمله على العرب

قبل الولوج إلى تفنيد أسباب وأساليب الحملة على العرب ، لابد من الإشارة إلى أن الباب السابق من هذا الكتاب قد تعرض لهذه الأساليب من خلال إيراد نماذج ، والإستشهاد بأمثلة منها . وبقدر ما كان الباب السابق مجرد إستعراض موضوعى لما يُدبَّج فى الغرب عن الشخصية العربية ، بقدر ما سيكون هذا الباب تفنيداً وتحليلاً لدوافع هذه الحملة وأسبابها ، من منطلق رأى شخصى . . لكنه على أى حال رأى موضوعى أيضاً ؛ لأنه غير مبنى على إنطباعات ذاتية عاطفية بقدر كونه رأى مبنى على إطلاع دائم ودائب على ماتنشره عنا وسائل الإعلام الغربية . .فقد كان هذا النموذج "صورة العرب فى الغرب" هو شُغليَّ الشاغل طوال مايزيد عن العشر سنوات من خلال العمل والدراسة . .إذ قيَّض الله لى فرصة العمل لمدة أربع سنوات فى إحدى إدارات الرقابة الإعلامية فى دولة عربية خليجية . . وقد كانت مهام وظيفتى تنحصر فى إجراء بحوث قصيرة تتناول كل مايُكتَب عن العرب فى كل وسائل الإعلام الغربية . وقد أتاح لي هذا العمل الإطلاع على كم هائل من المواد المسيئة للعرب . . مما ولد لدى إعتقاداً راسخاً بأن الغرب يعمد إلى الإساءة إلينا بشتى الوسائل ، وأن وسائل إعلامه المسموعة والمرئية ،



والمطبوعة تتفنن فى تشويه صورتنا . . ولا تألوا جهدا فى سبيل ذلك بكل الأساليب .. بل وتتحين الفرص لذلك ، سواء بإستغلال الأحداث العامة أو التصرفات الشخصية ، وقد كان لدى إنطباعاً راسخاً بأن كل وسائل الإعلام الغربية – دون إستثناء – تضع فى خطتها الإساءة إلى العرب كهدف مرسوم . . وتعمد إلى التشويه عن قصد . . وإن كانت تستوقفنى أحياناً بعض المواد المنشوره التى تتضمن تركيزاً على سمات هى بالفعل فينا كعرب . . ويُخالجنى شعوراً بأن بعض مما يُنشَر هو بشكل أو بآخر موضوعى وصادق . . لكننا يضايقنا أن ينشر أو يذاع عنا – ومن أعدائنا – كما شعرت أننا بتصرفاتنا الشخصية ، وسياستنا العامه ، وسلوكنا غير الرشيد نقدم للإعلام الغربى مادة دسمة يلوكها ويكررها . . وبقدر ما ساءنى هذا الشعور بقدر ما زاد إصرارى على دراسة هذه القضية ، ألا وهى قضية الإساءة إلى العرب أسبابها وأساليبها . .

هذا وقد كان تعرُّضى للمادة المسيئة فقط هو السبب الحقيقى وراء الإعتقاد بأن العرب – كل العرب – مستهدفين من كل وسائل الإعلام الغربى ، هكذا كقضية كلية لا تحتمل الاستثناء . . ولكن وبعد أن قيُّضَ الله لى فرصة الدراسة المتأنية لصورة العرب فى صحافة دولة غربية – ليس كل العرب ولكن عرب الخليج بالذات ، فى صحافة بريطانيا بالذات – خرجت بعدة نتائج أثرت فى تصورى

الإجمالى . . إذ كان إعتقادى فى البداية أن عرب الخليج بالذات هم المحور الأول للإساءة الغربية للعرب . . وأن صحف بريطانيا بالذات تركز على الإساءة إليهم . .

لكن الدراسة الميدانية من خلال إجراء الإستبيانات . . وتحليل مضمون الصحف . . وتوخى الموضوعية ، والتجرد فى الحكم ، قد غيَّر إلى حد ما إعتقادى الكلى ، مما جعلنى أنسلخ عن كونى عربية - قدر إمكانى - لأرى الصورة بوضوح كما تُقدم . . وكما هى منطبعة لدى الأفراد البريطانيين كعينة من الغربيين .

كما حرصت على الاطلاع على كل ما كُتِبَ عن موضوع الإساءة للعرب ؛ حتى أستطيع أن أخرج بنتائج يُمكننى من خلالها أن أقوم بعمل تخطيط إعلامى وعلمى لتحسين الصورة العربية . . مستندا على دراسة سليمة . . وكان فحوى هذا الباب هو محاولة متواضعة لفهم أسباب وأساليب الغرب فى حملته علينا ؛ لأضع تصور لأساليب التصدى العربى لهذه الهجمة الغربية .

وقبل الخوض فى هذا الموضوع لابد من الإشارة إلى بعض الدراسات السابقة فى هذا المضمار ، والتى قامت بالمهمة الأولى وهى إطلاع العرب أنفسهم على حقيقة موقف الإعلام الغربى منهم ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر الأبحاث التى قُدِّمت إلى ندوة الصحافة الدولية فى لندن عام ١٩٧٩ ، ومعظمها يدور حول الصور



النمطية للعرب فى وسائل الإعلام الغربية . . والنفط وأجهزة الإعلام الغربية ، وصانعو صور عرب الخليج ، وصانعو الأساطير عن الخليج العربى .

كذلك الأبحاث المقدمة " لمؤتمر الإعلام العالمى لعام ١٩٨٠ فى نيويورك ، والذى تقدمت فيه الدكتورة جيهان رشتى ببحث عن "الصورة العربية فى الإعلام الإمريكى " . . وكذلك أبحاث الدكتور أديمون غريب عن العرب فى الصحافة الإمريكية . . ناهيك عن الدراسات الإعلامية الفلسطينية التى تُفنِّد وتَرُد على الإداعات الغربية ، فيما يتصل بشخصية الإنسان الفلسطينى بالذات . .

أما عن الإفتراضات التي إفترضتها على ضوء الدراسات المبدئية للموضوع وعلى ضوء الإطلاع على بعض المراجع المتعلقة به فهى :

* إن عرب الخليج هم محور الإساءة للشخصية العربية من منطلق أنهم أصحاب ثروة للغرب مطمع فيها . . ومن منطلق مشاهدة الغربيين لهم كأثرياء مسرفين يمارسون كأفراد مالا يستطيع الإنسان الغربى ممارسته من متع ولهو .

* إن عرب فلسطين هم المحور الثانى للإساءات الغربية للشخصية العربية من منطلق كونهم أصحاب قضية يُعتبَر الغرب طرفاً فيها . . ولو بشكل غير مباشر . . متأثرين بالدعاية الصهيونية التى تصور الفسطينى على أنه إنسان



إرهابى دموى .

* يُعتبَر أدب الرحلات . . واليوميات المعتمدة على الرؤية السطحية والمشاهدة ، أكثر من المعاينة الفعلية والدراسة الموضوعية - يعتبر من أهم مصادر التعريف بالشخصية العربية وتشويهها . . ناهيك عن المصادر العربية التى أساءت للشخصية العربية ، والتى تعُرف الغرب على العرب من خلالها، كقصة ألف ليلة وليلة . وتاريخ ما يدور فى أروقة القصور والحريم فى العصور الإسلامية ، فى الدولة العباسية وفى الأندلس .

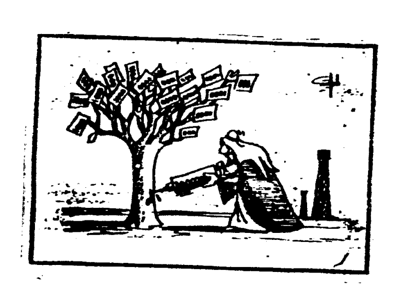
* تغذى الصحف العربية الإعلام الغربى بمادة غزيره تخدمه ، وتفيده فى تشويه الشخصية العربية ، وذلك من خلال الحملات الصحفية العربية المتبادله . . ومن خلال مادة الصحف العربية المهاجره التى تصدر فى لندن وباريس . وكل منها تابعة علناً أو سراً لنظام من النظم العربية .

* إن الانسان العربى فى حاجة ماسة لهيئة إعلامية غير حكومية . . ولجهود فريده ، وكوادر متخصصة ، تعمل على تغيير صورته فى نظر الرأى العام الغربى . . بخطط مرحلية، وإلحاح مدروس ، وبذكاء يتناسب وحجم وأسلوب الحملة *الإعلامية الغربية التي نجحَت في تشويه صورته ، ومن ثم قضاياه ، وكل ما يتصل به .*



وقد خلُصت إلى ضرورة وضع خطة إعلامية لتغيير إتجاهات الرأي العام الغربي نحو الشخصية العربية ؛ بمعنى تصوُّر الوسائل والأساليب التي بإمكانها تحقيق الهدف ، من خلال القنوات الإعلامية المختلفة ، وعلى المستويين الداخلي والخارجي .. على إفتراض أن الإساءة للشخصية العربية أمر واقع سبقَ التدليل عليه في عِدَّة كُتب ودراسات وندوات .. أمَّا الإتجاهات المراد تغييرها فهي الإتجاهات النفسية والشخصية للأفراد حيال الشخصية العربية – أي العرب كأفراد وجماعات ، والسمات السائدة عنهم ، والصورة المكوَّنة في الذهن الغربي لهُم ، وإمكانية تغيير هذه الصورة النمطية التي تضعهم في قالب مُحدَّد لا يمكن تصورهم في غيره .. أما المقصود بكلمة الغربي فهو ليس الأوروبي فحسب ، بل الأوروبي والأمريكي معاً ، حيث تَبيَّنَ لي من خلال الدراسة المبدئية للموضوع – والتي إنصبَّت على أشكال الإساءة أو التشويه للصورة العربية – أن الفروق في الرؤية الغربية لنا ليست كبيرة ، بل تلتقي في نقاط كثيرة .. وحتى الأساليب المُستخدَمَة في رسم الصورة الغربية تكاد لا تختلف من بلد لآخر ، إلا من حيث شِدَّة الحملة المُعادية أو ضعفها ، وفقاً لدرجة العداء بين العرب وكل من هذه الدول الغربية ، وشِدَّة عدائهم لجناح عربي أكثر من غيره .. ففي العقدين الأخيرين وبالتحديد منذ عام ١٩٧٣ إشتد التركيز على عرب النفط والفلسطينيين ، بينما خفَّت

حدته بالنسبة لعرب مصر ودول المواجهة مع إسرائيل ، التي كانت قد بلغَت أشدها إبان حرب يونيو ١٩٦٧ ، والتي سنتبين منها أثر الأحداث السياسية على الصور الإعلامية التي تؤثِّر في الرأي العام العربي ، وإن كانت الإساءة في النهاية تدمغ العرب جميعاً دون تفريق بين شعب وآخر ؛ نظراً لأسلوب التعميم المُتَّبَع في الرسائل الإعلامية المضادة للعرب ، والتي تخلط في بعض الأحوال بين العروبة كقومية والإسلام كدين ، فالحديث عن « المحمدين » أو « المسلمين » يتفق في أذهان العامة بالعرب وكأنهم وحدهم هُم المسلمين .



الفصل الرابع

أسباب الحملة على العرب

إن الحملة الإعلامية الغربية الموجهة ضد العرب هى فى حقيقة الأمر صدى للصراع الحضارى والتاريخى بين الشرق والغرب . . وهى أيضاً صدى للصراع السياسى المعاصر أو الآنى بين الشرق والغرب ، لذلك فإن أسباب هذه الحملة الدعائية تنقسم إلى أسباب تاريخية وأخرى معاصرة ، وعلى هذا الأساس سنناقش هذه الأسباب .. ولذلك نحدد **الأسباب التاريخية** فيما يلى :

* الصراع بين الشرق والغرب .
* الفكر الإستعمارى .
* العداء للإسلام .
* العنصرية الغربية .

ذلك أن وسائل الإعلام المعاصر لم تخلق صورة سيئة للعرب ، بمعنى أنها صورة جديدة ، فوسائل الإعلام لا تخلق الصورة .. ولكن تلون أو تشوه صورة قائمة . . إذ أن الصورة الذهنية تؤثر فيها عوامل عدة منها العوامل التاريخية .. والعوامل الثقافية والحضارية والإجتماعية والسياسية .... إلى آخره ؛ لذلك نقول بأن المعركة بين الشرق والغرب هى فى الأصل معركة حضارية . . يساهم فيها



الإعلام حالياً بدوره من خلال مواد الرأى ، أو مواد الإقناع الحديثة كالتقارير ، والمقالات ، والكتب ، والصور ، والرسوم الكاريكاتيرية . . ولكن معتمداً على مرتكزات تاريخية ، وإختلافات ثقافية وإجتماعية ودينية ، وصراعات إقتصادية وسياسية .

والحقيقة التى لا مراء فيها أن الصورة الذهنية السيئة هى صورة تبادلية بين الشرق والغرب ، نجح فيها العرب إلى حد ما فى تشويه الصورة الغربية " واليهودية بالذات " وذلك فى داخل البلدان العربية وإن لم ينجحوا فى ذلك خارجياً ؛ لأن الصورة التبادلية هى نتاج لسوء التفاهم الدولى .. أو عدم التواصل بين الشرق والغرب ؛ نتيجة لإختلاف الثقافة ، وأيضا لعوامل تاريخية عدة ، منها النظرة الفوقية التى ينظرها الغرب إلى الشرق .. والميراث الإستعمارى الذى ترك فى نفوس العرب قدراً من البغض للغرب .. ويتجلى سوء الفهم المتبادل بين العرب والغرب فى تصوير كل طرف للآخر بشكل مسئ ، خاصة بالنسبة للحياة الإجتماعية ، وشكل العلاقة الأسرية ، وحياة المرأة وحقوقها بالذات ، والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد ؛ ولذلك نجد تركيزاً من الطرفين على إبراز هذه الجوانب ، كل فى وسائل إعلامه بشكل يشين الطرف الآخر .. فمن منا كعرب لا ينطبع فى ذهنه تصوراً سئ عن الغرب كقوم عنصريين .. مغرورين .. إباحيين فى علاقاتهم الإجتماعية ، نسائهم مستهترات .. وهم بخلاء .. باردى



المشاعر .. جامدين .... إلى آخر هذه الصفات التى درجنا على تصوير العرب بها فى صحفنا ، من خلال تتبع الأخبار الطريفة والعجيبة ، التى تؤكد ذلك ، ومن خلال آدابنا ودراساتنا التى تتعرض لصورتهم .

لذلك نجد أن صورة العرب - رغم ماهو واضح من عوامل مؤثرة فى تشويهها - هى سيئة بحكم كونها حلقة فى سلسلة سوء الفهم أو سوء التفاهم العام الذى يسود بين الأفراد ، والجماعات ، والمجتمعات ، والدول ، والأمم المختلفة .. نتيجة للأحكام الخاطئة والتعميمات .. وهو ما يُطلق عليه خبراء الصورة الذهنية اللستيريوتايب (Stereotypes) أو الصور المنطبعة المستمدة من لغة تكنولوجيا الطباعة ، التى يمكن من خلالها طبع آلاف النسخ أو الصور المتطابقة ؛ ولذلك فإن أهم الخواص الأساسية فى الصورة المنطبعة أنها شئ مكرر على نحو لا يتغير ، أو هى صورة متطابقة لأصل ثابت بغض النظر عن ماهية هذا الأصل . . وبالتالى تعوزها السمات الفردية المميزة(*) والستيريوتايب هو المصطلح الذى أطلقه المعلق السياسى الأمريكى الشهير " ولترليبمان " فى نطاق العلوم الإجتماعية فى كتابه " الرأى العام " الصادر عام ١٩٢٢ فى

(*) Harding John . "Stereotypes" International Encyclobedia of Social Sciences (New Work 1958) Vol. 15, P . 259.



نيويورك، وعرّفه بأنه « الصورة الذهنية المشتركة التى يحملها مجموعة من الأفراد ، والتى تتكون غالباً من رأى مبسط أو ناقص أو مشوه ، أو قد تتمثل فى موقف عاطفى تجاه شخص أو قضية أو حدث ما » ؛ ولذلك فهى غالباً ما تكون بعيده عن الحقيقة ، إما نتيجة للحذف والرغبة فى الاختصار ، أو للإضافة بالإستنتاج الخاطئ أو التحيز أو التشويه المتعمد ، أو للفاصل الزمنى الذى قد يفصل بين وقوع الحدث وبين تدفق المعلومات بشأن تطوراته .. ذلك بالإضافة إلى عدة عوامل تؤدى أحياناً إلى تباعد الصورة الذهنية عن الواقع ، والتى من أهمها وجود عقبات مادية أو تعليمية أو إجتماعية أو نفسية قد تحول دون وصول المعلومات إلى الجمهور (*) ومثل الحيلولة دون الأفراد وحقهم فى المعرفة الدقيقة للمعلومات من خلال وسائل الإعلام.

والحقيقة أن أسلوب التعميم الخاطئ المبنى أصلاً على تصور خاطئ أو إنطباع مسطح يُمارس حتى داخل البلد الواحد ، وكنموذج له ، ما يسود بين أبناء المدينة الواحدة من تعميمات ، بأن أبناء الحى الشعبى كنموذج مصرى " جدعان " أو متعاونين أو متكافلين إجتماعياً ، وأن أبناء بعض الأحياء الراقية فى القاهرة مرفهين

(*) د. سهير بركات – الإعلام وظاهرة الصور المنطبعة – مجلة الثقافة – وزارة الإعلام والثقافة الجزائريتز ص ١٠٤ .



ناعـمين .. ناهيك عن الصـور الذهنيـة المنطبـعـة عن أبناء المدن والمحافظات بعضهم وبعض .. ووصف هؤلاء بالبخل أو الكرم .. أو الجمـال .. أو الإنغـلاق ، وإرتبـاط ذلك بشـعب المدينة بأسـرها دون إعتبار للفروق الفردية .. وإذا ما خرجنا من هذه الحلقة أو الدائرة الصـغيرة من سوء الفهم ، أو الصـورة المقولبة بين الأحياء داخل المدينة الواحدة . . وبين المدن وغيرها .. نجد أننا أمام قوالب أخرى أوسع منها بين الدول .. حتى الدول التى تجمعهم قومية واحدة كالقول مثلاً أن أهل مصر خفيفي الظل ، وأن العراقيين حادى المزاج .. واللبنانيين إباحيين ، والجزائريين أو السودانيين عصبى المزاج .. فما بالنا بالصورة المنطبعة لدى شِقَّى الكره عن بعضهم البعض ، فالشرق والغرب كلاً منهما يرسم صورة سيئة للآخر ، هى الدائرة الأوسع لسوء التفاهم العالمى ؛ ولذلك فإن علم الصورة أصبح من العلوم الهامة ، ليس فقط على الصعيد الإجتماعى أوالإعلامى ، ولكن على صعيد العلاقات الدولية السياسية ، ذلك أن سوء الفهم المتبادل تنعكس أثاره على صنُّاع القرار السيـاسى ، ويؤثر فى العلاقـات الدولية ، ويؤكد ما ذهبتُ إليه عن سوء الفهم بين الشرق والغرب القول بأن الصراع بين القوتين العظمتين فى العالم كان له تأثيره فى تشكيل الصورة ، كما كان له تأثيره على تحريك مشاعر العداء أو خلق الإستعداء بين الدول ، وتأثيره على نشوب صراعات إقليمية هى

فى الواقع صدى لصراعات القوتين العظمتين ومن كان يدور فى فلك كلاً منهما ، ويؤثر على علاقة هذه الدول بعضها ببعض ، وعلى تصور كل منها للآخر ، نتيجة لتأثر شعوب وقيادات هذه الدول بالإعلام العالمى ووسائله المختلفة . وهو رأى أكده دكتور " كورت فالدهايم " فى محاضرة له بعنوان " أزمة الثقة فى الشئون الدولية " إذ قال بوجود نوع من عدم الإرتياح فى العلاقات بين الدولتين العظمتين اللتين ينعكس موقفهما السلبى على نظام التعاون الدولى بمجمله . . وهذا الجو من عدم الثقة والشكوك والتناحر والتنافس القائم على المشاعر الوطنية ، والجهل والمفاهيم الخاطئة له عواقبه الإقليمية فى كل أنحاء العالم(*) .

ذلك أن التبعية السياسية التى عانى منها العالم العربى -ومازال إلى حد ما - كان لها أثرها فى تشكيل الصور الذهنية ، فلو درسنا أثر العوامل النفسية والإجتماعية فى السلوك الإنسانى ، وبالتالى فى العلاقات الدولية بين العرب والغرب - كإتجاه عام فى دراسة الصورة القومية وأثرها فى العلاقات الدولية ، وأيضاً تأثُرها بالعلاقات الدولية - سنجد أن علاقة التبعية العربية للدول الغربية لفترة طويلة كان لها أثرها فى نظرة الغربيين للعرب ، على أنهم قوماً

(*) د. كورت فالدهايم - محاضرة فى إطار الندوة الدبلوماسية لوزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة - لعام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - المجلد١٢ ص ٢٣-٢٨

تابعين ، وخاضعين ، وبدو متخلفين .. وذلك كصدى للفكر الإستعماري الغربي ، الذى كان يتصور إن العرب بهذه الصورة المتدنية ، وأنه يأخذ بيدهم ليطورهم .. وأن إستعماره لهم كان وسيلة لترقيتهم . . ورغم إختلاف الأوضاع الدولية والأحوال السياسية الآن، إلاّ أن الصورة الذهنية الغربية عن العرب لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل قرن من الزمان .

ولعل أحد أهم أسباب هذا الإستمرار فى التصور الغربى لنا هو النظرة إلينا من خلال المنظور الغربى فقط ، بمعنى أن تشويه صورتنا يأتى أحياناً من منطلق النظرة إلى الحضارات العربية من منظور أوروبى .. وهو ما يسمى " المركزية الأوروبية " أو "Europo Cintrizm" حيث يستسهل الكُتّاب الغربيون عرض الواقع الشرقى من منظور غربى بحت ، لا يأخذ فى الاعتبار خصوصية هذه الحضارات والمجتمعات العربية أو الإسلامية ، والإختلافات الثقافية بيننا وبينهم ، كذلك الإصرار على إستخدام بعض العبارات ، والكلمات التى تُعتبر دليلاً على إستمرار بعض الأفكار المسبقة حول التاريخى الإسلامى .. كالقدرية أوالإتكالية ، والتعصب والإستبداد والجور والعنف ، وإسقاط كل هذه السمات على العرب والمسلمين المحدثين أو المعاصرين .

ويمكن أن نُضيف إلى ذلك جمود التصوُّر الغربى أو الأوربى



العرب . " فالرأى العام الأوربى الذى كان يرى صورة اليهودى التائه بكل عيوبها ، كان يرى أيضا شخصية العربى لا تقل سوءاً عن تلك الصورة ، فمنذ العصور الوسطى والخوف الغربى من المسلمين ، واعتبار الدين الإسلامى يُشكّل خطراً مباشراً على الحضارة الغربية ، ثم الربط بين التقاليد العربية والوحشية التركية منذ سقوط القسطنطينية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، أضف إلى ذلك مفاهيم ألف ليلة وليلة ، والإعتقاد بأن المجتمع أصيل فى إسترخاءه وكسله وفساده ، وأنه مزيج من الترف البالغ والمكر والخداع ، والتصوُّف المزوج بالقسوة "(1) .

وإذا كانت الظروف التاريخية قد رسَّخت هذا المفهوم ، فإن الحركة الصهيونية عندما تنبهت إلى ضرورة إقناع الرأى العام العالمى ببراءة اليهود من دم المسيح أولاً . . وعندما قررت إستغلال أساطير النازية لكسب العطف والتأييد لذلك الشعب التائه ، قامت فى نفس الوقت بترسيخ تلك الصورة عن العربي المسترخى بكل ما تحمله الصورة من سمات سيئة .

هذا ولابد من التأكيد على تأثير العامل التاريخى ، واختلاف الثقافة فى تشكيل الصورة . ذلك أن العلاقة التاريخية بين الدول

(1) عرفات حجازى (نقيب الصحفيين الأردنيين سابقا) - دور الإعلام الجماهيرى فى التعاون العربى - الأوربى من أجل عدالة القضية الفلسطينية. مجلة شئون عربية ، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢ ، رمضان ١٤٠٢ ، ص ١٥٠ .

العربية والدول الغربية الإستعمارية ، بما يتسم به هذا الوضع الكريه من علاقة فوقية من جانب الغرب .. وعلاقة بغض من جانب العرب ، إلى جانب إختلاف المفاهيم والثقافات ، قد أثرت بشكل واضح فى تفسير السمات العربية ، وفهم ملامح الشخصية العربية .. فالكرم العربى كان ومازال يُفَسَّر على أنه إسراف وسفه وغباء ، والبساطة أو البداوة العربية كانت تُفسَّر على أنها بدائية وتخلُّف .. بل حتى نوم الظهيرة أو القيلولة يُفسَّر لدى الغربيين على أنه كسل ، دون تقدير لطبيعة الجو الحار في المنطقة العربية ؛ لذلك نجد أن الإنسان الأوروبي والأمريكي دأب ومازال على أن لا يُفسِّر العادات والسمات العربية بشكل إيجابي ، وذلك بدافع من نظرة متعالية قديمة ، دعَّمَها حقد دفين على هؤلاء القوم البسطاء ، الذين أثروا فجأة فأصبحوا يملكون أن يستأجروا أو يستخدموا الإنسان الغربي ، ويُسخِّروه لخدمتهم ، وذلك أمر مرفوض نفسياً من الأفراد الغربيين ، ذلك إذا ما أخذنا في الإعتبار العامل التاريخي في العلاقة بين الغرب المُستعمِر والعرب المُستعمَرين من قبله ... إلى جانب الأخذ في الإعتبار بالسمات الشخصية للغربيين خاصة البريطانيين الذين كانوا يرون أنفسهم سادة العالَم .. وأنهم دولة عظمى .

ويؤكِّد رأيي هذا د. علي عجوة ، إذ يَرى أيضاً أن سوء التفسير هو أحد العوامل المُسيئة إلى العرب .. وهو أمر معروف في



دراسات الصورة ، إذ يقول بأننا « نُشاهد في حياتنا اليومية أمثلة كثيرة لمُحاوَلات بعض الأفراد أو الجماعات لمُمارَسَة بعض أنواع السلوك التي تهدف إلى كسب التأييد . وكثيراً ما تذهب هذه الجهود سدى إذا ما فُسِّرَت البساطة على أنها تملق وضعف ، أو التبرع على أنه رشوة مُقَنَّعَة . أو الجهود الخيرية على أنها محاولة للفت الأنظار تحقيقاً لبعض المآرب الخاصة . وفي بعض الأحيان يُفسَّر الحَزْم على أنه إستبداد ، والكَرَم على أنه سذاجة ، والمرونة على أنها تردُّد .. وهكذا »(1) .

ويكمُن السبب وراء إستمرار الغرب في تشويه صورتنا ، وأيضاً إستمرارنا في تشويه صورته إلى إلتزامنا بقيم الأنباء الغربية أو ما يُسمَّى "Western News Values" التي تجعل الصحُف أكثر ميلاً للإهتمام بالسلبيات ، وإهمال الإيجابيات ، وتجعلها لا تُركِّز على الأمور الاعتيادية . ومازالت الصحافة العربية تسير على قيم الأخبار الغربية ونحن نتأثر في هذا الشأن بالإعلام الغربي(2) ؛ ولذلك نجد أن الصحف الغربية تُقدِّم الصورة العربية في إطار مفهومها للقيم الإخبارية ، أي بالتركيز على الشاذ والغريب ، وإهمال

(1) د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، الطبعة الأولى ، 1983 ، عالَم الكُتب ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(2) د. جيهان رشتي ، الصحافة وحرية النقد المسئول ، جريدة الإتحاد الظبيانية ، العَدَد رقم ٣٤٧٩ ، الثلاثاء ١٩٨٢/١٢/٢٨ ، ص ١٧ .



الأمور الإيجابية والعادية ، ونحن بالتبادل نُقدِّم الصورة الغربية من خلال أبواب الطرائف والمنوّعات بنفس الأسلوب ، وبالتركيز على الأمور الغريبة والشاذة ... ولعل ذلك يُذكِّرنا بالمقولة القديمة أنه « لو عضَّ كلب إنساناً فذلك لا يُعَد خبراً صحفياً .. ولكن الخبر الصحفي هو أن يَعُض إنسان كلبً » .. ومن هنا نجد أن الصحف الغربية لا تنشُر مَثلاً تَفوُّق إنسان عربي في مجال من المجالات ، لكنها تحرص – خاصة الصحف الشعبية – على نشر خبر سرقات بعض العرب في المحال التجارية ، أو بذخ الأثرياء العرب واقتنائهم لأشياء غريبة ونادرة ، أو مغامراتهم الجنسية وإنفاقهم عليها ببذخ .. خاصة المشاهير منهم .. ذلك أن الصحف الشعبية بالذات تهدف إلى التسلية وتصيُّد كل ما هو طريف .. وبالمقابل نتعامل مع أخبارهم بنفس الروح ، ووفقاً لنفس القيم ... وإن كان التدفق الإخباري الغربي يجبرنا أحياناً على تقديم بعض الأخبار الإيجابية ، مما يُحقِّق للصورة الغربية في الصحُف العربية بعض التوازن .. في مقابل صورتنا السيئة في صُحفهم .

هذا وتُعتبَر الصورة التبادلية جزءاً من النظام الإعلامي الدولي ، ويتبنى كينث بولدنج – أول من وضع كتاب عن الصورة عام ١٩٥٢ – هذا المنهج في دراسة الصورة القومية ، « فهو يرى أن الصورة القومية تتكوَّن من خلال الخبرات المُشتركَة ، والتجارب التي مَرَّ بها شعب مُعيَّن ، ويُركز بولدنج على أهمية الخبرة المُشترَكة في



تكوين الصورة القومية ، ويرى أن الصورة القومية لشعب ما عن شعب آخر قد تكون صورة مُعادية أو صورة صادقة ، مع وجود إتجاه عام للعداء أو الصداقة بين الدول ... وتتبنى الشعوب صورة قومية ثابتة عن بعض الدول ، وإن كانت الصورة القومية تتغير تبعاً للواقع في ضوء الخبرات المُشتَرَكَة للشعوب ... كما أن هناك علاقات العداء الدائم التي يترتب عليها وجود صورة قومية عدائية مستمرة»[1] ، وترتيباً على ذلك يمكننا القول بأن الصورة المعادية للعرب المبنية على الخبرات والتجارب المُتبادَلَة بين الدول الإستعمارية والدول العربية ، قد بدأت تصاحبها بعض إتجاهات الصداقة بعد جلاء الإستعمار ، إذ بدأت تتغيَّر على ضوء الخبرات المشتركة للشعوب العربية والشعوب الغربية ، التي أصبحت تربُط بينها إتفاقيات صداقة ، أو تبادُل اقتصادي ، أو يتنقل أفرادها هنا وهناك على سبيل السياحة أو للعمل .. في حين ظلَّت الصورة التبادلية بين العرب واليهود كمثال على ما هي عليه كصورة قومية عدائية مستمرة ، وقد أثَّرَت هذه الصورة العدائية المستمرة في الإبقاء على الصورة الغربية للعرب مشوبة بكثير من التظليل والتشويه ، كأثر من آثار الدعاية الصهيونية .. وأيضاً بسبب أن العالَم أصبحَ قرية إعلامية صغيرة ... تتناقل فيه الأخبار ، ومن ثم الصور ، بسهولة .. وتتأثَّر بها بشدَّة .

(١) نادية سالم ، صورة العرب والإسرائيليين في الصحافة الأمريكية ، ص ٢١ – ٢٢ .



ولعل من أسباب إستمرار هذه الصورة السيئة للعرب حتى الآن عدم توافُر مَصادِر للمعلومات عنهم ، تُحقِّق تدفُّقاً إعلامياً جيداً، وأيضاً عدم تصدِّي أي مُنظَّمة عربية ، أو جمعية صداقة عربية - غربية للحملة ضد العرب ، بتقديم إحتجاجاً - مَثلاً - على وجود تشويه لصورة الإنسان العربي .. نُضيف إلى ذلك «أن العالَم العربي مثير وغريب ... وهذا الوهم عمدت أجهزة الإعلام المختلفة في أمريكا إلى تقديمه كما لو كان حقيقة ... »(1) ؛ ولذلك ظلَّ العالَم العربي موضع إهتمام كبير من الغرب ، بوصفه مادة طريفة للصُحف .. ولعل ذلك ما جعل صورة الإنسان العربي في الإعلام الأمريكي عامة موشاة ومُطرَّزة بشكل فريد أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع .. وكنموذج لذلك صورة المرأة العربية في أمريكا التي تُصوَّر على أنها :

« مُلك منقول لا أهمية له ، مُحجَّبة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها ، وليس لديها دور يُذكَر سوى التأكد من إعداد الطعام ، والخدمة كواحدة من حريم الشيخ .... »(2) .

وهذه الصورة للعربي تكاد تُصبِح جُزءاً من التراث الشعبي

---

(1) ، (2) جاك شاهين ، مَقال عن أسباب الصورة العربية المُشوَّهة ، ترجمة د. جاسم محمد جرجيس ، مجلة التوثيق الإعلامي ، المجلد الثاني ، العَدَد الأول ، السَنة الثانية ، ١٩٨٢ ، ص ٣١ .



الأمريكي ، وتظهر صورة العربي « كشبق متعطّش للجنس ، مُخادع يَطعَـن من الخلف ، إلى أسوأ ما يمكن أن يكون المرء عليه من أشكال الدناءة ، وكمُبتَز شَرِه ، أو بدوي مُتعطّش لدم غريمه في عمليات الثأر .... إلخ »(١) .

هذا ونجد إلى جانب العامل التاريخي في تشكيل الصورة .. جوانب نفسية لها بُعد ضارب في التاريخ أيضاً ... خاصة بالنسبة لبريطانيا وباقي الدول الأوروبية التي كانت يوماً ما دولاً مُستعمِرَة للعـالَم العربي .. ويتمثّل الجانب النفسي في العلاقة بين العرب والأوروبيين ، التي كان يصبغها قبلاً عنصُر الشعور بالتفوُّق ، وعلاقات التسييد ، والحماية المفروضة على العرب ، وهي علاقة فوقية .. سنجد إذا ما قارنّاها بشكل العلاقة الحالي بين العرب والغربيين فَرقاً شاسعاً ، فالغربيون الآن يعملون لدى بعض الحكومات العربية ، أو الأفراد العرب خاصة في دول الخليج النفطية الغنية ، يعملون كمرؤوسين .. كذلك يضطرون أحياناً للعمل كتابعين في مهن دنيا كالقيادة ، والسياحة ، والتمريض ، وشتى أعمال الخدمات ... مما قلبَ شكل العلاقة ، وخلقَ نوع من التحسُّس ، أو الرفض النفسي الداخلي غير المُعلَن ، حيال مُمارَسَة هذه المهن من جانب البريطانيين ... في حين خلقَ أيضاً نوعاً من التسييد ، والمشاعر الفوقية لدى

---

(١) نفس المرجع السابق .

هؤلاء العرب الذين يشعرون أنهم بأموالهم يمكنهم توظيف أي فرد في خدمتهم .. وهذا الشعور المتبادَل وإن كان غير مُعلَن ، إلا أنه ترك تأثيره أيضاً في الإبقاء على الصورة العربية في الغرب على ما هي عليه من سوء .. لأن البعض يرون في هذا الوضع قلباً للأوضاع .. في حين يراه البعض الآخر – ممّن يستوعبون تقلُّب الأوضاع بصدر رحب وفهم ووعي – أمراً عادياً ، فلكل عصر دولة ورجال .. ولقد تأكدتُ من ذلك بنفسي من خلال الاستبيان الذي أجريته على عينه من البريطانيين ، يقيم بعضهم في دول عربية للعمل ، وزاروا عدّة دول عربية أخرى .. وبعضهم مقيم في بريطنيا .. ولم يتحقق له الإتصال بالعرب بشكل أو بآخر ، وتكوَّنت معلوماته عنهم من وسائل الإعلام فقط ... فوجدتُ فَرقاً شاسعاً بين تقبُّل هذا الوضع الجديد لدى كلا الفئتين .. إذ أن العاملين في الخليج لا يرون غضاضة في ذلك ، بل يعلنونها صراحة أنهم يعملون لدى من يدفع أكثر .. وما يهمهم كنهه ، أو مَن هو ؟! في حين أن المقيمين في بريطانيا إعتبَروا إستخدام العرب للبريطانيين قلب للأوضاع ، وحينما سُئلوا عن رغبتهم في العمل في هذه الدول العربية وما يتصوَّروه من مُقابِل لذلك؟ أعربَت الغالبية العظمى منهم عن رفضها للعمل في بلاد الخليج رفضاً باتاً .. وبالَغَ البعض في تقدير المُقابِل لذلك ، كتعبير نفسي عن رفض الفكرة بشكل آخر من أشكال التعبير .

نستنتج من كل ما تقدَّمَ أن صورة العرب في الإعلام الغربي ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب فقط .. ولكنها انعكاساً للصراع التاريخي الأزلي بين الشرق والغرب ... ونتاجاً للفكر الإستعماري ، وللعنصرية الغربية ، والشعور بالإستعلاء الأوروبي على دول وشعوب الشـرق ، بما في ذلك العـالم العـربي .. مـضـافـاً إلى ذلك العـداء التـقليدي الغربي للإسـلام .. والتـخـوُّف منه كفكر تقدُّمي يُمكِن أن يضحد وينسخ كل الديانات الأخرى ، التي يعتنقها الغرب كاليهودية والمسيحية .. خاصة وأن الغرب يعتبر أنه ضحَّى كثيراً في سبيل حسر المد الإسلامي وتقويض الإمبراطورية الإسلامية .. وتقليص النفوذ الإسلامي عن الدول الأوروبية التي وصلَ إليها في أسبانيا ، والحدود الفرنسية ، وفي تركيا ، وفي جزء كبير من جمهوريات الإتحاد السوفيتي .. خاصة وأنه ينظُر للحروب الصليبية على أنها حرب تحرير لأوروبا من المسلمين والعرب .. ولايزال ماثلاً أمام أعيُن الغربيين أحداث ووقـائع الحروب الصليبية ، التي تُتناقَل حتى الآن بشيء من الإيهام بشراسة العدو المُسلِم ووحشيته وطغيانه .. وما يحيط بذلك من مُبالَغات .

نُضيف إلى الوقائع التاريخية .. الأعمال الأدبية التي كان لها أثراً بالغاً في تشكيل صورة العرب في الغرب من خلال كتاب الليالي العربية "Arabian Nights" أو ألف ليلة وليلة ، وكتاب « أعمدة

الحكمة السبعة » تأليف ت. أ. لورانس .. وكل رومانسياته عن العرب وعن الجزيرة العربية ، ليس هو وحده بل ومعه عَدَد كبير من الرحَّالة الغربيين في جولاتهم في شبه الجزيرة العربية وفي بعض الأقطار العربية .

فمثل هذه الكتابات على ما حَوَت أحياناً من آراء موضوعية حول الشخصية العربية ، نجدها أيضاً دسَّت السُم في الدَسم .. فلورانس العرب كما يسمونه كان خصب الخيال رومانسي .. ولذلك إنعكسَ هذا الخيال في تصويره للشخصية العربية ، وكمثال لذلك ما قاله عن أثر الصحراء على الإنسان العربي وكيف أنها :

« إحتضنَت الروح العربية وابقتها نقية من أي شائبة خارجية ، مُعطية بذلك للبلاد خاصتها المُميَّزَة »(١) .

ويستعرض لورانس العرب سمات الشخصية العربية بشقيّها الحضري ، والبدو ، في آسيا العربية ، ويرى أنه رغم وجود تفاوتاً إجتماعياً واقتصادياً بين البدوي والحضري ، فإن هناك تشابهاً عظيماً في طُرُق التفكير ، وفي النشاط الروحي .. إذ يقول :

« ومن الوهلة الأولى نُلاحظ عندهما صفاء

---

(١) ت. أ. لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ ، ص ١٢ - ١٣ .



غريباً وصلابة فريدة في المُعتقد ، وهما يريان العالَم في ألوانه الأصلية ، بل في لونيه الرئيسيين : الأبيض والأسود ، وفكرهما الجازم يحتقر الشك ، ولا يقبَل مطلقاً التردد الذي تسلَّحنا به نحن الأوروبيين لمواجهة شئون ما وراء الطبيعة ، كما يأبى القبول بقلقنا النفسي ، فهو يعرف بكل بساطة ما هو حق وما هو باطل ، ما هو إيمان وما هو إلحاد » .

« هذا الأسود والأبيض للنظرة العربية نجده في عالمي الروح والفِكر . وبسبب الأسود والأبيض هذا يحب الشعب الجلاء والوضوح . وهذا الشعب ذو الأفق الضيِّق في التفكير يمكنه أن يترك الذهن جانباً وينقاد بصورة عفوية وراء حُب الاستطلاع .. خياله خصب ولكنه ليس خلّاقاً »(١) .

هكذا يُبدِعُ لورانس في تحليل الشخصية العربية ، ذات الخيال الخصب ، والفكر الجازم ، المستقِر نفسياً ، المؤمن ، الواضح

---

(١) نفس المرجع السابق .

.. وفي زحام هذا الغَزَل يصمُ العرب بضيق الأفق ، وعدم القدرة على الخَلق .

وبالطبع تعج كتابات لورانس العرب بتوصيف سمات الشعب العربي ، كالقول بأن العرب شعب الإنفعالات ، والثورات ، والإلهامات، والوحي ، وعنصر العبقريات الفردية .. وأكبر صناعاتهم صنع المعتقدات والأديان .. ثم القول بأن هذا الشعب ينقصه التبصُّر وروح التنظيم .. ويتسم بالعنف ، وتتسم حضارته بالفكر الأخلاقي المعنوي ، أكثر من الأفكار العملية .

ناهيك عن وصفه للضيافة والكرم العربي ، والشهامة العربية مع الأضياف حتى لو كانوا من الأعداء .. ووصف تديُّن العرب ، وعظمة عقيدتهم الدينية ، وتكافئهم الحاد .. وإن كان الأمر لا يعفي من القول بأنهم قراصنة يعيشون على السلب والنهب .

من كل ما تقدَّم لا يمكن تجاهل ما كان للأسباب التاريخية من أثر في تشكيل صورة العرب في الغرب ... سواء كأحداث وصراعات أو ككتابات وأدبيَّات .. فتشويه الصورة العربية في الغرب له جذوره التي تتعلَّق بالعداء الديني والعرقي تجاه العرب والإسلام ، كما تتعلَّق بالعداء الغربي ، وتتعلَّق بالعنصرية الغربية ، والعلاقات الغربية العربية التي ظلَّت لوقت طويل قائمة على الإستغلال والسيطرة على العالَم العربي ، ويؤكِّد هذه النظرة أيضاً دكتور هشام



شرابي في تحديده « لجذور تشويه الصورة العربية في الغرب » إذ يوجزها في أربع مَصادرِ للتشويه هي :

« أولاً : الأيديولوجية المعادية للإسلام والتي تعود إلى القرون الوسطى .

ثانياً : عُنصرية الأمبريالية .

ثالثاً : الدعاية الصهيونية المعادية للعرب .

رابعاً : المَسلَك العربي نفسه »(١) .

ويرى دكتور شرابي أنه حتى بعد الحروب الصليبية التي إنتَصرَ فيها الغربيون في القرن التاسع عشر ، وانتَصَرَ فيها المسلمون في القرن الحادي عشر على يد صلاح الدين الأيوبي ، وحتى بعد عَلمَنة أوروبا لم يُقضَ على الشعور المُعادي للإسلام ، كما لم تُردَم الهوة بين الحضارتين .. إذ ظلَّت الإمبريالية الغربية تستمد ركائزها في السيطرة من تراث القرون الوسطى .

الأسباب المُعاصرَة :

ولعلَّ الأسباب التاريخية التي سُقناها فيما تقدَّمَ لا تأتي مُنفصلة تماماً عن الأسباب المُعاصرَة للتحامُل على العرب وتشويه

---

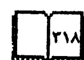
(١) الإعلام الغربي والعرب ، أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية ، لندن ١٩٧٩ ، وزارة الإعلام والثقافة – دولة الإمارات العربية المتحدة ، ص ١٩٨ .

صورتهم .. والتي نستطيع أن نُحدِّدها بإيجاز قبل البدء في تفنيدها في نقاط لها أيضاً جذور من التاريخ وهي :

- *الفراغ من مشاكل الأقليّات في مجتمعات الغرب .*
- *المد القومي .. والمد الإسلامي المُتنامي .*
- *الدعاية الصهيونية ، والحروب العربية - الإسرائيلية .*
- *الرغبة في تكريس التخلُّف العربي .*

وقد تَعرَّضنا سلَفاً لفكرة الفراغ من مشاكل الأقليّات (الزنوج والهنود الحُمر) في المجتمعات الغربية .. وكيف أن الإنتهاء من تشويه صورة هذه الأقليّات قد أدى إلى التحوُّل إلى تشويه صورة العرب والمسلمين ، بوصفهم الأعداء الجُدَد أو بوصفهم الشعوب الأدنى ، التي ينظُر إليهم الغرب نظرة فوقية .. ثم كان العصر الإستعماري الذي تمثَّلت فيه هذه النظرة بكل قوَّتها .. وجاء عصر التحرُّر من الإستعمار .. وهي المرحلة التي كانت بمثابة كسر لشوكة الغرب .. وتحطيم لنظرته الفوقية .. إذ رأى الدول التي كانت مُستعمَرَة ، ومُستَغلَّة ، ومُستعبَدَة ترفُض بشدة هذه السيطرة .. وترفض التبعية .. وتعلن عن ثوراتها المتلاحقة ، التي تؤكد بُغضها الشديد للإستعمار بكل أشكاله ورفضها له .. بل وكشفها لأساليبه المختلفة وتعريتها .. وإحتقارها .

وهذه الفترة بالذات قد خلقَت جواً من العداء ، أثَّرَ بشكل فعَّال في الصورة القومية العربية .. خاصة في مرحلة الخمسينيات



والستينيات من هذا القرن ، وهي المرحلة التي تنامى فيها المَد القومي بشكل ملحوظ .. وقد أثَّر هذا المناخ العام من العَداء المُتبادَل، في تشكيل الصورة التبادُليّة بين العرب والغرب .. فمما لاشك فيه «ان تزايد حدة العداء بين دولتين يؤثر تأثيراً كبيراً على نوعية الصورة التي يرسمها كل منهما للدولة الأخرى في وسائل الإتصال الجماهيرية . في حين أن مشاعر الود والصداقة التي تجمع بين دولتين في وقت معين تنعكس بشكل واضح على ما تنشره او تذيعه أيا من هاتين الدولتين عن الدولة الصديقة »(١) .

ولذلك ظلَّت الصورة الذهنية الغربية عن العرب سيئة بل أسوأ ما تكون طوال سنوات المد القومي في المنطقة العربية .. والتواصل بين الدول العربية .. وذلك إيماناً من الغرب بخطورة هذا المَد المتنامي، ووقوفه في وجه المطامع والمصالح الغربية ؛ لذلك عمد الغرب إلى محاربة هذا المَد القومي بكل الوسائل المُشوِّهة لصورته .. والمُحطِّمَة لآماله والمُفتِّتَة لوحدته .. حتى شهدَت السبعينيات إنحساراً لهذا المَد القومي .. وبذلك أيضاً تغيَّرَت ملامح الصورة إلى حد ما .. فمن الثابت « أن الصورة القومية هي إنعكاساً للأوضاع الإجتماعية والسياسية ، والإقتصادية والثقافية ، التي تسود أي مجتمع في وقت معين ، كما

(١) د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، ص ص ١٣٧ - ١٣٩ .



أثبتت الأحداث أن الصورة القومية ليست ثابتة أو مطلقة ، وإنما نسبية ومتغيرة ، تبعاً لتغير الأوضاع الإقتصادية والأبنية الإجتماعية والظروف السياسية والثقافية »(١) .

ولعل هذه العقود الثلاثة من منتصف الخمسينيات وحتى منتصف الثمانينيات هي من أشد مراحل التغيير في الوطن العربي سياسياً وإجتماعياً وإقتصادياً وثقافياً ... ولذلك تغيرت إلى حد ما صورتنا القومية في الغرب مع الإحتفاظ بالملامح والسمات الأصلية ذات الجذور التاريخية .

ولقد حظيت هذه الفترة بالذات بعناية العديد من الباحثين الجادين الذين إنصبت دراساتهم على سمات الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية إبان إثنتين من أهم الحروب العربية - الإسرائيلية ، وهي حرب يونيو ١٩٦٧ ، وحرب أكتوبر ١٩٧٣م .. وتتبع أثر نتائج هذه الحروب على صورة الشخصية العربية ، ومنهم - كما سبق بيانه - دكتورة نادية سالم ، ودكتور سامي مسلم ، ودكتور حلمي ساري ، وكاتبة هذه السطور .. إذ خصص كل منهم أطروحته للدكتوراه لدراسة صورة العرب في هذه الحقبة بالذات ، والمقارنة بين صورة الشعب المنتصر ، والشعب المهزوم .. وأثر الحروب ، وتغيير القيادات على الصورة .. إذ كانت الزعامة القومية للرئيس جمال عبد الناصر تقض مضجع الغرب كله ، وخاصة

(١) نفس المرجع السابق .

بريطانيا ، في حين كانت فترة السبعينيات فترة هُدنة مؤقتة للحملة على العرب المصريين فقط ، إلى ان كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما بدى فيها من تعاون عربي ، تَمثَّلَ في قرار الحظر النفطي الذي أشهرته دول الخليج العربية النفطية سلاحاً سياسياً في المعركة .. جعلَ الدول الغربية تُركِّز هجومها على هذا الجناح العربي بشكل خاص ، وتُسيء إليه أبلغ الإساءة .

ورغم أن هذا الحظر إستُخدِمَ كسلاح إقتصادي وسياسي عربي ، من حَق العرب إستخدامه ، إلا أنه إستُغلَّ لوصف العرب الخليجيين بالذات بمُمارَسَة الضغط والابتزاز ، ورغم إعتراف صُحُف النخبة البريطانية بأن ذلك كان حقاً عربياً سياسياً .. لم يكن المقصود به الإنسان الغربي .. إلا أن الصحُف الشعبية بالغَت وهولَت في خطورة هذا السلاح ، وظلَّت تُلوِّح لفترة طويلة بإمكانية تكرار إستخدامه كعامل ضغط .. لكن « هذه الصحف كان لها مصالح ومآرب من وراء هذا التضخيم .. فقد كان هناك دائماً فرق بين العرب أصحاب المال وغيرهم ، حتى في إطار الخليج ، وبعد أن كانت الصورة في مرحلة من المراحل تُعمِّم السلبيات على العرب كلهم ، وتخُص بعض الأقطار بالسلبيات .. أصبح التركيز على عرب الخليج بالذات .. ويكمن وراء ذلك أسباباً تاريخية وأيضاً تأثيراً صهيونياً ، وبقايا من عقدة



الذنب حيال اليهود وقصة المحرقة .. ويزكي ذلك كله التصرفات الشخصية العربية التي جاءت نتيجة للثراء الفاجيء لمنطقة محرومة لفترة طويلة .. وما واكب ذلك من جعل تصرفات الأفراد هوجاء ومتسمة بالطفرة ، حتى أن ملاهي واندية القمار التي أقيمت أساساً للبريطانيين وليس للعرب اصبحنا نحن نجومها »(١) .

ونضيف بدورنا إلى هذا التحليل للتحامل الغربي على الشخصية الخليجية بالذات .. أن ظهور النفط وتحول أنظار العالم إلى منطقة الشرق الأوسط ، والخليج بالذات ، على إعتبار أنها تملك أكبر إحتياطي عالمي من النفط ، قد خلق إلى حد ما نوع من الحقد في نفوس الغرب ، نظراً لاحتياج الغرب إلى البترول كطاقة فاعلة وأساسية في تطوره الصناعي الحالي والمستقبلي ، تكمن آباره واحتياطيه خارج أرضه .. وبعيداً عن هيمنته .. فالبترول كان ومازال محط أطماع القوى العالمية على إختلافها .

هذا وقد تواكب مع إنحسار المد القومي ما لم يكن في حسبان الغرب .. وهو بروز المد الإسلامي المتنامي بقوة ، وإكتساحه لمنطقة الشرق الأوسط بأثرها ، وليس فقط الدول العربية .. بل

---

(١) د. محمد الرميحي ، حديث خاص في ١٩٨٣/٢/٢ ، أبو ظبي .



وامتداده إلى شرق آسيا في أفغانستان وما جاورها ، والغرب يعلم علم اليقين خطورة هذا المد بالذات .. إذ يُقدِّره حق قدره ، ويعلم أن خطره يفوق كثيراً تنامي المد القومي العربي .. وأن بإمكانه أن يكتسح الدول الإسلامية الآسيوية ... ويمتد إلى أوروبا أيضاً .. وتجربتهم مع المد الإسلامي وقوته التي تدعمها العقيدة والإيمان .. لم تُنسى بعد .. بل إن آثارها باقية في بعض دول أوروبا التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية ... ووصل إليها الدين الإسلامي كعقيدة .

ولعل القول بالعداء التقليدي بين الشرق والغرب ، والصراع بينهما لا يقف حائلاً دون الأمل في تغيير الصورة العربية في الغرب.. فمن حُسن الحظ أنه في النصف الثاني من القرن العشرين

« قد تطورت فرص الإلتقاء والتواصل بين شعوب العالم المختلفة بشكل هائل .. وقد إنعكس ذلك على معلومات الأفراد والجماعات عن الشعوب المختلفة ، وأصبحت الصور أكثر قُرباً من الواقع عما كانت عليه في الماضي . ولكنها بقيت مع ذلك متأثرة بإتجاهات الشعوب تجاه بعضها البعض في أوقات معيَّنة ، وما تمثله هذا الإتجاهات المحايدة التي تخفف فيها حدة التشويه أو المغالاة في الثناء والتقدير »[1].

---

(١) د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، ص ١٤٠ .



وذلك ما لمسته بنفسي حينما أردتُ المقارنة بين الصورة التي تُقدِّمها وسائل الإعلام البريطانية لعرب الخليج كمثال .. والصورة الذهنية المُنطبعة لدى الأفراد البريطانيين .. إذ وجدتُ إختلافاً كبيراً بين الصورتين في صالح العرب ، ذلك أن الجمهور المتلقي عادة لا يَقبَل الصورة كما تقدمها له وسائل الإعلام .. لكنه يضيف عليها من خبراته الشخصية ، وإنطباعاته الذاتية ، من خلال إتصاله الشخصي بأي من عرب الخليج ، أو من البريطانيين الذين زاروا المنطقة العربية.. فالاتصال الشخصي كان في مُقدِّمة وسائل الإتصال المؤثِّرة في تشكيل الصورة العربية في بريطانيا وأكثرها عُمقاً في التأثير ؛ لأن الصورة البريطانية لعرب الخليج قد جاءَت إنعكاساً للواقع الإجتماعي للشعب البريطاني الواعي المُثقف الذي يتدبَّر ما يُقدَّم له ، ويُضيف إليه خلاصة خبرته الإنسانية عبر مراحل التاريخ .. ناهيك عن أن الصورة المُقدَّمَة في صحُف النخبة كانت صورة متوازنة ، إن لم نقُل جيدة ، ولا تُقارَن بأي حال بالصورة المُقدَّمَة في الصحُف الشعبية .

وطالما أن قوة الصورة أو ضعفها عند الأفراد الذين تتكوَّن لديهم تتوقَّف على درجة الإتصال بينهم وبين موضوع الصورة ، ومدى إهتمامهم بهذا الموضوع وتأثُّرهم به ، وقد نجح الإعلام الغربي في فترة السبعينيات في خَلق هذا الإهتمام بالعرب عامة ، وعرب

الخليج بالذات ، وربطوا السياسة العربية ، والقرارات العربية وطبيعة التصرفات العربية بالحياة اليومية للمواطن الغربي العادي ، من خلال الربط بين قرار الحظر النفطي واحتياجات الإنسان العادي من الوقود ، للتدفئة ولتسيير سيارته .. ولقضاء عطلة نهاية الأسبوع ؛ لذا نجد أن صورة العربي الخليجي واضحة لدى الإنسان الغربي .. بل إن هناك تفريقاً فعلياً بين صور فرعية للشخصية العربية تؤرخ د. نادية سالم لبدايتها مع حرب ١٩٧٣ .. إذ أصبح هناك تفريق بين ثلاثة صور للعرب هي : المصريين - والفلسطينيين - والخليجيين ؛ وقد قمت بنفسي بالتأكد من وضوح هذا التفريق من خلال الإستبيان فإتضح هذا التفريق بجلاء .

هذا وقد كانت من أهم ملامح هذه الفترة في الإعلام الغربي وتصويره للعرب .. تركيز وسائل الإعلام على نشر أخبار الخلافات العربية ... وهي مادة جيدة للصحف الغربية تؤكد على عدة سمات في الصورة العربية عبر التاريخ وهي : الصراع الدموي ... والتناحر القبلي الذي يصل إلى حد الاقتتال .. وقد أدى تكرار نشر أخبار التظاهرات الشعبية والشبابية ، والمطالبة بحقوق وحريات في بعض البلدان العربية إلى الإيحاء بعدم إستقرار هذه المجتمعات العربية .. رغم أن نشر مثل هذه الأخبار يُعتبر من دلائل صحة أي مجتمع ، إذ يدل على أن هذه المجتمعات تتمتع بقسط من الحرية يسمح لها

بالتظاهر في ظل نظُم ديمقراطية .. لكن الصحُف كانت تُركز على مثل هذه الأخبار مع ربطها بموضوعات تاريخية .. بحيث تُحدث تأثيراً تراكمياً سيئاً . وقد كان للخلافات العربية التي وقعَت في السبعينيات وامتدّت حتى الثمانينيات أثر بالغ في تشويه الصورة العربية .. وقد عبّرت عنها صحيفة فرانس سوار[1] الفرنسية قائلة :

« إن العرب قد رأوا أنفسهم مرة أخرى في مرآة محطّمة كما رآهم العالم كله ، فهم لا يتفقون مطلقاً إلا في الخُطَب والمؤتمرات المناهضة لإسرائيل .. لكن السمة الغالبة في علاقاتهم هي التصارع حتى الموت .. وقد جاء التعتيم على أخبار مؤتمر قمة فاس ليعكس عادة العرب في الشرق ، إذ يضعون خمار الحشمة تغطية على كراهية وضغائن تَغلي من تحته » .

ولعل الخلافات العربية بين الحكومات هي العامل الأساسي والحاسم في تشويه صورة الأفراد العرب .. ذلك أن الصراعات الحكومية والقرارات المتضاربة كانت خلال العَقد الماضي ، ومُعظَم سنوات عَقد الثمانينات من أهم أسباب الإساءة للصورة العربية .. ومصداق ذلك يأتي بشهادة شاهد من أهلها وهو « فرانك جايلز »

(1) France Soir, 27/11/1981.

نائب رئيس تحرير صحيفة « الصانداي تايمز » البريطانية .. إذ تناولَه في موضوع « الصحافة البريطانية والعرب » مؤكِّداً هذا المعنى حينما قال أنه « على الرغم من عدم وجود دلائل على

مؤامرة متعمدة ومنتظمة ومستمرة لتشويه العرب ، فإن الصحافة البريطانية الشعبية ، وفي بعض الأحيان النوعية ، كانت تعمل بإنتظام على نشر مقولة مفادها أن كلمة (شرقي) هي الصفةالطبيعية للكلمات التالية : الإزدواجية ، الإستبداد ، الوحشية والخنوع .. وإلى تلك الكلمات يمكن أن نضيف كلمة التشويش الذهني ، وهي الميزة التي ترتبط في أذهان الغربيين بالحكومات في الشرق الأوسط وبإجراءاتها »(١) .

ذلك أن تأثير المواد السلبية على الصورة العربية كان أكثر بكثير من المواد الإيجابية ... فحتى إذا كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد حسنَّت إلى حد ما صورة الإنسان العربي المصري كمُقاتِل شجاع يحافظ على السر ، مُنظَّم ، إلى غير ذلك من صفات ، مضافاً إليها بعض سمات أخرى جيدة نتيجة للسياسة المصرية التي أعقبَت هذه

(١) فرانك جايلز ، الإعلام الغربي والعرب ، ص ٢٣٢ .

الحرب ، والتي إختلفَ حولها العرب ورفضوها ، في حين رآها الغرب شكلاً من أشكال التحضُّر والدبلوماسية الحكيمة .. أقول رغم إختلافنا على تقويم هذه السياسة .. لكنها قد أحدثت تحسُّناً في سمات الصورة إلى حد ما ، وإن أساءت إلى صورة فرعية من صور العرب الكُلِّيَّة .. ذلك أن المساحة الممنوحة للمادة المُعادية للعرب - عرب الخليج بالذات - كانت أكبر بكثير من المساحة الممنوحة للمادة المحايدة ، أو المؤيِّدَة للعرب بوجه عام ، والتي كان من شأنها أن تُغيِّر أو تُحسِّن صورتهم .. فقد كانت في تقديري أشبه بالمساحة الزمنية الممنوحة للإعلان عن السجائر بفن وجاذبية ، مُقارَنَة بالمساحة الممنوحة للتحذير من التدخين .. إذ كانت المساحة الإيجابية والمُحايدة غالباً ما تكون برامج دعائية مدفوعة من قِبَل دول الخليج وفي مناسبات قومية .. أو بمناسبة تبادُل زيارات رسمية .. لابد أن يصحبها جو من الموضوعية والصياغة الدبلوماسية .. وغالباً ما لا يُقبِلُ جمهور المُتلقِّين على هذه النوعية من الرسائل الإعلامية .

لذلك يمكننا القول بأن ضعف التدفُّق الإعلامي العربي ، أو قلة المعلومات ، ليست دائماً هي السبب الكامن وراء تكوُّن الصورة السلبية للعرب في وسائل الإعلام الغربية .. ولكن قد تكون أحياناً كثرة المعلومات مع سلبيتها هي السبب في التشويه ؛ لأنه ليس كل زيادة في المعلومات تؤدي بالضرورة إلى تحسين الصورة أو تكوين صور إيجابية .. فالمهم هو نوعية هذه المعلومات .

أساليب الحملة على العرب :

وذلك يقودنا بالضرورة إلى مناقشة نوعية المواد المُناصرَة لصورة العرب والمواد المُعادية لها .. أي التعرُّض لأساليب الحملة على العرب .. وقد باتت واضحة إلى حد كبير بعد كل ما أوردنا من نماذج في الباب الأول .. فالمواد المُناصرة هي في تقديري كل مادة صحفية يميل مضمونها إلى جانب تأكيد فكرة أن الدول العربية أو الأفراد العرب يجمعهم التآلف الإجتماعي ، والتعاون ، والإستقرار السياسي والإقتصادي ، والقوة ، وأنهم يتصلون بالعالَم ويتعاونون دولياً على المستوى السياسي ، والإجتماعي ، والإقتصادي سواء كدول ، أو كفئات ، أو كأفراد .. وهي أيضاً كل مادة تُظهرهم على أنهم أقوياء ، أو على حَق . أما بالنسبة لاستعراض شئونهم الداخلية فتتحدد المُناصرَة على أساس المواد التي تعكس نشاط الأفراد الذين يتعاونون ، فيتقدمون إجتماعياً واقتصادياً ، وما يُنشَر من أحداث تدُل على أن الدول العربية دول تقدُّمية ناجحة ، تنمو باطراد ، وعلى أنها دول مُحبة للسلام ، تلتزم بالأخلاقيات وتتسم سياستها بالذكاء .. وكذلك أفرادها ، وأنها تلتزم بحُكم القانون الدولي .. وتلتزم داخلياً بتطبيق القانون ، وحماية حقوق الإنسان ، وممارسته لحقه الديمقراطي .

وذلك ما نجده بالفعل في صحُف النخبة أو الصفوة ، وفي المجلات الإقتصادية والسياسية المتخصصة .. أما ما تعج به

الصحُف الشعبية ، وبرامج التليفزيون ، وبعض الأفلام .. فكله مما يمكن إدخاله في إطار المواد المُعادية ، التي تتضمن عكس كل ما سبقَ، بالإضافة إلى القول بأن الدول العربية كمثال تستخدم قوّتها الإقتصادية في الضغط على الدول الأخرى ، التي في حاجة إلى مواردها والعاملين فيها .. أو الإشارة إلى الثراء الفاحش الذي يُشبَّه غالباً بالإحداث ويُشبَّه الأفراد فيه بأثرياء الحرب ، وسلوكهم من حيث الإسراف والإنحلال الخُلقي والروحي ، والتحريض والتآمر والرشوة.. أو ما يمكن تسميته بالفساد العام .

هذا إلى جانب أن الرسائل الإعلامية التي يمكن تصنيفها على أنها مادة مُناصِرَة للعرب ، ومساعِدة في تحسين صورتهم ، كانت تتعرض غالباً لمنافَسَة وسائل إعلامية أخرى تُفقدها تأثيرها .. وذلك في إطار عمليات تلوين الأخبار التي تُعتبَر واحدة من خصائص التقديم غير المباشر للواقع .. بمعنى أن أي رسالة إعلامية تُوجَّه عن طريق وسائل الإتصال ، تتعرض غالباً لمُنافسَة الوسائل الأخرى ، التي تؤثر في المعاني التي تتضمنها الرسالة ، وبالتالي تتغيَّر إلى حَد ما معالِم الصورة المنقولة خلال الرسالة ، فتُضاف إليها بعض المعاني التي لم تكن تحملها ، وأيضاً تفقد بعض المعاني التي كانت تتضمنها .. وقياساً على هذا يمكننا القول بأن الرسائل الإعلامية التي كانت تُقدِّم العرب في صورة طيبة - على قِلتها - كانت بعض

الصحُف تعمُد إلى إحاطتها برسائل أخرى تؤثّر في محتواها ، وتضييع الهدف منها .. وعلى سبيل المثال إذا تواكبَت زيارة مسئول عربي لدولة غربية أو العكس ، فإن هذه الأخبار التي تَعكس التعاون الدولي ، والعلاقات الدبلوماسية الطيبة تُنشَر إلى جوار أخبار أخرى تُسيء إلى العرب .. فنجد أن الجمع بين النوعين من الأخبار يُضيّع الأثر الطيِّب لصور الزيارة ، وما تعكسه من معالم تقدُّم أو إزدهار ، وخاصة إذا ما أُحيطَت بمقالات أو أخبار تصف البذخ ، أو الهدايا التي تدُل على الإسراف والسفه ، وهو ما حدث عدَّة مرَّات وسبقَت الإشارة إليه في الباب السابق .

واستكمالاً للحديث عن أساليب الحملة على العرب ، لابد من الإشارة إلى أن هذه الحملة بقدر ما تبدو ملامحها في الإعلام المغرض الموجَّه لكل دول العالَم ، والذي يُسيء إلى العرب ويُشوِّه صورتهم سواء عن عمد وقصد ، أو كصدى لخلافات ثقافية ، وتضارُب في المصالح الآنية ، أو تأثُّراً بالجذور التاريخية ، المُتمثّلة في إختلاف العقيدة .. وإختلاف القيم والمفاهيم ، والصراع الحضاري بين الشرق والغرب .. أقول سواء كان عن عمد أو عن جهل وقلة معلومات ، فإن له شقّه الآخر الذي يجب التنبُّه إليه ، وهو الغزو الفكري المُنظَّم .. المُوجَّه إلى البلدان العربية ، بهدف التأثير في الرؤيا العربية للذات العربية .. بحيث يتم من خلال ما يُبَث من فكر



هدَّام ، تكريس ملامح الصورة المُشوهة ، التي يرسمها لنا الغرب ويُروِّج لها في كل العالَم .. ومن شأن إطلاعنا عليها أن تتحطَّم نفوسنا .. ونبدأ في إحتقار ذواتنا وترديد ما يُروِّجَهُ الغرب عنَّا .. وإعتناقه .. وتَبنيه .. في حين أن الواجب علينا حيال هذه الهجمة الشرسة ، والحملة المُكثَّفَة ضدنا أو علينا ، أن ننتبه إلى خطورة الغزو الفكري فننبذه ونرفضه ونتصدى له .. وفي نفس الوقت نسعى جاهدين في كل مجال للتخطيط لتحسين صورتنا مما يحاولون إلصاقه بها .. وذلك يتم كبداية من معرفة ملامح هذه الصورة ودرساتها ، بشكل علمي ، ومُتابَعَة تطوراتها .. وما يستجد عليها من سمات .. وفِقاً لتوالي الأحداث ، ودراسة الدوافع الكامنة وراء هذه الحملة .. وهو ما حاولتُ في الباب الأول إستيضاحه والتركيز على نماذج منه .. حتى وإن كان يسوؤنا نشرها ويؤثِّر فينا الإطلاع عليها .. لكن حرصتُ على إيراد مثل هذه النماذج ، لتكون بمثابة الصدمة الشديدة لمشاعرنا .. بحيث تُحرِّك فينا الرغبة الصادقة والدائمة في تحسين هذه الصورة كلٌّ في مجاله ، ووفق قدراته المحدودة .. سواء كأفراد أو جماعات أو هيئات أو حكومات .. وذلك من خلال تخطيط سليم .. وعمل دائب داخلياً وخارجياً .. مرحلياً وبشكل مستمر .. وهو ما سنحاول ترسُّم خطواته في الفصل القادم.



الفصل الخامس

من أجل خطة إعلامية
لمواجَهَة الحملات الغربية

يأتي هذا الفصل من الكتاب قبل الختام .. رغم أن كل الأبواب السابقة كانت بمثابة تمهيداً له ... فإذا كان هذا الفصل يُناقِش أساليب الرد على الغرب .. وتصحيح صورتنا في وسائل إعلامه المختلفة ، ووضع خطة مُحدَّدَة لمُواجَهَة حملاته ، فلابد أننا سنتعرض أحياناً لأساليب الهجوم كي نتخيَّر أساليب الرَد المُناسِب لها .. وإذا كانت الحملة علينا شديدة في الخارج ، ويصل رذاذها إلى أرضنا ، ويؤثِّر في البعض ممَّن يعيشون بين ظهرانينا ويؤثِّر فينا، كغزو فكري ، سواء بالإستياء أو التبنِّي والاعتناق لما يَرِد فيه من أفكار ... أقول سواء كان الأمر كهذا أو كذاك ، فلابد أن نُقسِّم الموضوع إلى نقطتين أساسيتين :

الأولى : كيف تكون شخصيتنا جيدة داخلياً ؟ وكيف نُخطِّط لتحصينها بالفعل ؟

وهنا أقول : لابد وأن تكون الشخصية العربية شخصية ذات سمات جيدة ومتميزة بالفعل ، حتى تعكس صورة طيبة في الخارج ، ذلك « *أن الله لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم* » .

والثانية : أن نستتبع ذلك بمحاولة وضع خطة لتغيير



الصورة خارجياً .. مع الإشارة مُسبقاً إلى أن الخطتين المحلية والخارجية تؤدي كل منهما إلى الأخرى ، وتُكمل كل منهما الثانية ذلك أنه لا يمكن أن تنجح واحدة دون الأخرى .. وتدليلاً على ذلك نبدأ تفصيلاً في شرح ملامح كلاً منهما ، لتبيان أوجه التكامل بين الخطتين .. ومعذرة من القارئ إذا تطرّق بنا الحديث مَرّة أخرى إلى ذكر نماذج ، وإذا إستطردنا في شرح أمور أكاديمية أو إيراد تعريفات علمية .. فالوصول إلى هدفنا – وهو تغيير الصورة العربية الراسخة في الذهن الغربي – أمراً ليس بالسهل بحال من الأحوال.. كما وأنه لا يمكن أن يتحول إلى جهد فردي .. أدّعي القيام به وحدي.. فما أذكره مجرد ملامح عامة للتخطيط تصلح كقاعدة له .

والحقيقة التي لا مراء فيها أن صورتنا إجمالاً ليست طيبة في وسائل الإعلام الغربية ، وتزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، بفضل الدعاية الصهيونية في الغرب ، ونجاحها غير المحدود ، ليس فقط منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ ، ولكن قبل ذلك بعقود ، وليس أدل على ذلك من قول أمين الريحاني في محاضرة عامة ألقاها عام ١٩٣٧ قال فيها نَصّاً :

> « الصهيونية متحدة فعلينا بالإتحاد . الصهيونية مُنظَّمَة فعلينا بالتنظيم . الصهيونية مُجاهدة فعلينا بالجهاد . الصهيونية شديدة الإيمان فعلينا بإيماننا العربي القومي ، نؤيّده ونعزّزه .

الصهيونية غنية وما نحن بفقراء . وللصهيونية دعاية كبيرة في العالم فعلينا أن نقاومها بدعاية مثلها » .

ومنذ صرخ الريحاني بهذه المقولة قبل أكثر من نُصْف قَرن من الزمان ، وحتى يومنا هذا ، ونحن نُطالب بالإتحاد في مواجهة العدو ، حتى لو كانت أسلحته هي الكلام والتشويه ، ولأنه مُنظَّم ، لابد أن تكون دعايتنا المُتصديَّة لهجومه مُنظَّمَة ، ومُحكَمَة ، ومن خلال جهة مركزية واحدة ، تتبعها آلاف الأبواق التي تُسمِع العالَم ، وتُقنعَهُ دون ضجيج وإفتعال .. وفي سبيل ذلك لابد أن يُوحدنا إيمان قوي بقومتينا ، وبعدالة قضيتنا .. وأن ننفق في سبيل ذلك مما حبانا الله به من مال ، فلسنا بالأمة الفقيرة في مالها ، لكننا فقراء بعدم التنظيم ، وعدم التكامل ، وعدم الوعي بحيث يصل إلى حَد القناعة والإيمان .. وعدم وجود خطة دعائية متكاملة تتصدى للدعاية الصهيونية .

ولا عيب البتَّة في ترسُّم خطوات الأيديولوجية الصهيونية في عرض قضايانا العربية ، والإقناع بعدالتها .. فنحن بالفعل أصحاب حَق .. ونحن بالفعل لسنا بالصورة الشوهاء التي يرسمونها لنا .

ذلك أن الأيديولوجية الصهيونية قد نجحَت في إقناع الخصم والصديق بعدالة قضيتها – ألا وهي اغتصاب الأرض ، أرض



الميعاد- رغم أن قضيتها هذه غير عادلة على الإطلاق !! فكيف وصلوا إلى هذا النجاح ؟!! رغم أن الصهيونية تفتقر إلى التجانُس الذي يتوافر في أمَّة العرب ؟! وتفتقر إلى عدالة ما تطرحه !! .

يجب أن نُدرك أن السر الحقيقي الكامن خلف نجاحها هو تبنِّيها لأشكال مُتعدِّدَة من الدعاية ، وتحديدها لأهدافها المرحلية والبعيدة .. وإيمانها بضرورة إقناع الخصم والصديق معاً ، مُتَّخِذَة من العقيدة وسيلة نفعية تستخدمها كأداة ؛ لتحقيق أهدافها الثابتة في كل مرحلة وفقاً لما يناسبها(*) .. ونحن بدورنا يجب أن نضع خِططاً مرحلية وأخرى طويلة المدى .. وخططاً داخلية ، وأخرى خارجية ، ولكل من هذه وتلك الأساليب التي تناسبها .. والتي يجب أن نتَّبعها بوعي ، ونستخدمها بذكاء ؛ للتصدي للهجوم الغربي الواضح ، والدعاية الصهيونية التي تقف من خلفه ، حتى لو ترسَّمنا خطاها التي أدت بها إلى النجاح والتفوق الدعائي علينا .

ولنقل حمداً لله أننا بدأنا نعرف العدو من الصديق .. وبدأت عيوننا تتفتح على الأعداء .. وبدأت بالفعل العديد من الدراسات التي تُقدِّم لنا على مشرحة البحث ، تحليلاً لمضمون كل ما يُكتَب عنَّا .. حتى بتنا نَعرفُ تماماً المضمون الظاهر ، والمضمون الباطن لكل ما يُراد به تشويه صورتنا .. وعلينا أن نُقدِّم في مقابل ذلك عملاً إعلامياً

(*) راجع د. محمد محمود ربيع ، الأيدولوجيات السياسية المعاصرة .. قضايا ونماذج ، ص ٢٢٥ وما تلاها ، طُبِعَ في الكويت .

جاداً ، وليس مُجرَّد كلام أو هجوم ، فعدوّنا يفهمنا حَق الفهم ؛ ولذلك يستطيع النفوذ من خلال أخطائنا ، وليس أدل على ذلك مما قاله «لورور فيجارو » من أن « *ما يقدمه العرب هو هجوم كلامي فقط* » .

الخطة المحلية :

عوضاً عن التقديم الطويل لأهداف الخطة الإعلامية المحلية أو الإقليمية ، والتحدث عن جدوى هذه الخطة – الذي لا يتم تغيير صورتنا بدونه – لابد من القول بأنه إذا ما كان السلوك الشخصي رشيداً في الداخل وفي الخارج .. فإن مجموع ما يعكسه هذا السلوك هو صورة طيِّبة وإنطباعاً جيداً لدى الغير .. ولذلك لابد من تنمية بشريَّة .. تُحقِّق ما نصبو إليه من شخصية رشيدة .

تستهدف الخطة الإقليمية بالضرورة الأجانب المقيمين في المنطقة العربية ؛ لأنهم سيكونوا بمثابة قادة رأي في مجتمعاتهم الغربية .. ولدورهم هذا أثراً بالغاً لا يتحقق إلا من خلالهم .. ولا يستطيع أي داعية عربي ، أو رجل إعلام عربي مهما أوتي من مقدرة على الإقناع ، أن يُحدث أثراً بمقدار ما يُحدثه الحديث العفوي الذي يُردِّده الغربيون الذين أقاموا لفترات في المنطقة العربية .. وقد تأكدتُ من هذا بنفسي أثناء إجراء استبيان على عينة من البريطانيين المقيمين في موطنهم ، والمقيمين في إحدى الدول العربية ، وتأكَّدَ لي تماماً أن الاتصال الشخصي كان له أكبر الأثر في تشكيل الصورة

الذهنية ...بل إن تأثيره قد فاقَ تأثير وسائل الإعلام بكل إلحاحها وقوَّتها ، وقد قُمتُ بقياس هذا الأثر بمُعامَلات إحصائية أثبتت قوَّته .. مما يجعلني أؤكد على ضرورة إستغلال الإعلام الداخلي الصادر باللُّغات الأجنبية في كل دولة عربية ، وتوجيه رسائل إعلامية من خلاله للمقيمين الأجانب وإعطائهم مساحة من إهتمامنا ، وقدر من التوجيه – غير المباشر بالطبع – ليكونوا دُعاة لنا وليسوا علينا .. فكيف يكون ذلك ؟!!

بدايةً نُردِّدُ مقولة فولتير "Voltaire" المعروفة « إن *الطريقة الوحيدة التي تجعل بها الناس يتحدثون عنك بصورة حسَنة هي أن تتصرف بطريقة طيِّبة* »[1] ، ويؤكد هذا القول أيضاً دكتور علي عجوة مُعتمِداً على الواقع العملي والدراسات العديدة في مجال العلاقات العامة ، التي أثبتَت « *أن الممارسات السليمة ، والسلوك المستقيم ، والأفعال الطيبة هي الأساس في تكوين الصورة الطيبة ، التي تتدعم ويتسع نطاقها بين الجماهير من خلال قادة الرأي والجماعات التي ينتمي إليها الفرد وتؤثر عليه تأثيراً قوياً ، وأيضاً من خلال رسائل الإتصال الجماهيرية* »[2] ، ومن ذلك يتضح لنا أهمية العنصرين معاً : ترشيد سلوك الأفراد العرب داخلياً وخارجياً،

(1) Kogan Irving Smith: Public Relations Second Edition, New York, Alexander Hamilton, 1973, p. 26.

(٢) د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، ص ٧١ .

وضرورة الإهتمام بالإعلام الداخلي المُوجَّه للغربيين المقيمين في المنطقة العربية .

فأما عن السلوك الفردي فإنه قد بات من المُلاحَظ إستياء الصفوة العربية من السلوك غير الرشيد الذي تُمارسه الغالبية في حضرة الأجانب ، سواء داخل البلاد العربية أو خارجها ، أثناء ترحالهم هنا وهناك في أوروبا وأمريكا .. حيث يحلو للبعض التحلُّل من القيم والتقاليد العربية الأصيلة بعيداً عن الأهل والوطن ، أي بعيداً عن أعيُن اللائمين ، فيكون الإسراف إلى حد السفه ، ويكون التكالب على النساء أو على الجنس بوجه عام ، ويكون السلوك الذي يعكس بداية مرآة الشخصية العربية ، بمعنى أن الغربيين يدركون من الوهلة الأولى أننا نأتي في الخارج ما لا نستطيع الإتيان به داخل أوطاننا العربية ؛ ولذلك يُدمغوننا دائماً بصفة المرآة وازدواجية الوجه .

وقد تناولت عدة موضوعات صحفية ، وأيضاً أعمال فنية قضية السلوك الفردي وأثره على صورة العرب في الخارج ... ونذكر منها على سبيل المثال مسرحية « باي باي لندن »(*) الكويتية ، التي كانت بحق صرخة صادقة عبَّرت عن هذا المعنى بجد ، حبذا لو تنبَّهنا لها .

(*) تأليف الكاتب المسرحي المصري نبيل بدران .

ورغم أن مثل هذه الصورة العربية قد تَسبَّبَ في تشكيلها فئة قليلة العَـدَد من العـرب ، ألا وهُم العـرب الأثرياء ، الذين يملكون المُباهاة بما لهُم ... والإنفاق بسفه .. بل ويملكون باديء ذي بدء المال الذي يُحقِّق لهُم الترحال إلى الغرب ، مُضافاً إليهم بعض الشباب المُهاجِر من العرب الذين تركوا بلادهم سعياً وراء الرزق والعمل ، والذين يُسيئون أيضاً إلى الصورة الذهنية المُكوَّنَة عن العرب ، ولكن بشكل آخـر .. إذ تضطرهم ظروفـهم المادية في بلاد الغُـربة إلى التسوُّل أحياناً .. والسرقة أحياناً أخرى .. أو المُشارَكَة بشكل أو بآخر في مُمارَسَة أعمال تتنافى مع الآداب ، إن لم نقُل تدخُل في إطار العنف والجريمة ... فيعطون تصوراً خاطئاً عن العرب أجمعين.. ذلك أنه رغم ظهور صوراً فرعية للعرب بعد حرب ١٩٧٣ -كما سبقَت الإشارة إلى ذلك - إلا أن الغالبية العظمى مُمثَّلَة في الصحُف الشعبية وفي الأفراد العاديين في الغرب ، لا يُفرِّقون بين هذه الصور الفرعية للعرب ، بل يرونهم كصورة قومية متوحدة .. وبذلك ينسحب السلوك الفردي لبعض العرب على التصوُّر الذي يجمعهم في قالب واحد .

فصورة الدولة أو مجموعة الدول التي تجمعها مجموعة من الخصائص المشترَكَة تؤثِّر على سلوك المجتمع الدولي نحو هذه الدول أو تلك ، بل إن بعض الدول العربية ، ونخُص بالذكر هنا دول الخليج



كمثال ، قد كان لها أو لأفرادها قصب السبق في تشكيل الصورة الغربيـة عن العـرب ككُل ، ذلك أن بعض الدول التي تتمـيـز بموقع جغرافي فريد أو أماكن جذب من نوع مُعيَّن يلعب المواطنون فيها دوراً كبيراً في تقديم مجتمعهم إلى مُمثَّلي الشعوب الأخرى من خلال تصرُّفـاتهم وسلوكهم الخـاص ، وطريقة تعامُلهم مع هؤلاء الأفراد

> «كما يلعب المظهر الشخصي والزي الوطني السائد وأنماط السلوك العام والعادات والتقاليد والقيم التي تظهر من خلال الأعمال السابقة ، أو من الإحتكاك المباشر دوراً كبيراً في تشكيل صور المجتمعات التي تُعبِّر عنها»(1).

وقد أكَّدت تصرُّفات الأفراد في الخارج على سمات أساسية في الصورة الذهنية المُكوَّنة في الغرب عن العرب عبر التاريخ ، من خلال « الليالي العربية » أو « ألف ليلة وليلة » وصورة شيخ الشيوخ الثري المُحاط دائماً بالنساء ، والمولع أبداً بالخمر والمُقامَرَة .. حتى أن هذه الصـورة الأسطورية قـد غطَّت على صـورة العـرب الذين تضطرهم الحاجة أحياناً إلى السرقة من المحال التجارية ، أو كسر صناديق الهواتف العمومية ، وما إلى ذلك من جرائم كانت تُصوِّرها

(1) د. علي عجوه ، مرجع سبقَ ذكره ، ص ١٣٠ .



الصحُف الغربية مصحوبة بالدهشة ، التي توحي بأن العرب يعيشون بشخصيات مُزدَوَجَة ، فكيف يسرقون أشياء تافهة وهُم الأثرياء المترفين ؟! وذلك التقديم في حد ذاته أكّدَ التصوُّر الغربي بأن الإنسان العربي شخصية مُركّبَة ، إن لم نَقُل مريضة .

ولعله من الضروري حينما نُخطّطُ لتحسين صورة العرب بوجه عام أن نَقيس مدى ثبات الصورة السابقة في أذهان الغربيين ، وهل هي بالفعل صورة راسخة ، لا يمكن تغييرها إلى النقيض إلا بأحداث جثام ، من شأنها إحداث هزّة عنيفة وتبدُّل كبير في التفكير .. أم أنها صورة باهتة ضعيفة يمكن تغييرها ، ولو إلى حد بسيط .. وقد قُمتُ بقياس ذلك من خلال الإستبيان ، ولكن على صورة فرعية من الصور العربية - ألا وهي صورة الخليجيين بالذات - فوجدتُ أن إمكانات التغيير مُتاحة .. لو واكَبَها من الآن سلوك رشيد ، ذلك أن الصورة التي تُقدِّمُها وسائل الإعلام الغربية أوضَح لي الإستبيان إختلافها عن الصورة الذهنية المُنطبعة لدى الأفراد .. فالإنسان الخليجي من أحب الشخصيات العربية لدى البريطانيين كمثال .. وسمات صورته الذهنية المُنطبعة لديهم تضُم سمات جيدة ، كما وأنه مقبول في مُعظَم العلاقات الإجتماعية لدى البريطانيين ، ومنها علاقة الصداقة ، والجيرة ، والزيارة ، والزواج ... إلى آخره .

والفضل في ذلك يرجع إلى أثر الإتصال الشخصي في

تشكيل وتغيير الصورة الذهنية ، وأيضاً لأن هذه الصورة لا يمكن القول بأنها جديدة تماماً فقد بدأت مع الطفرة النفطية ، والثراء المفاجيء الذي عمّقَ الصورة التاريخية للعربي .. وأيضاً أكّدَتهُ وعَمَّقَتهُ الصورة التاريخية كخلفية أسطورية .

هذا وأريد أن أنوّهُ إلى إني هنا أُركِّزُ على مُحدِّدات أربع فقط في سمات صورة الإنسان العربي كشخصية مُوحّدَة – وليس كصورة قومية لدول – أي أركِّز على المُحدِّدات التي رسمَت سمات صورة الإنسان العربي ، وليس الدول العربية ، وهي المُحدِّدات الثقافية والإجتماعية ، والنفسية ، وكخلفية لها المحددات التاريخية ، دون التركيز على المحددات الإقتصادية والسياسية التي لها تأثيرها ولاشك .. ولكن على صورة الدول ، وليس الأفراد ، خاصة لدى الصفوة المتعلمة .. في حين تنسحب السمات القومية على الأفراد في التعاملات اليومية ، وفي توقُّع سلوكهم بناء على الصورة الذهنية المُنطبعة عن دولهم ، أو قوميتهم ككُل .

وكمثال لذلك أن بعض العامة من بائعي المحال والعُمّال في أوروبا ، يرون أن الإنسان العربي بالضرورة ثري مُترَف ، وأن كل العرب أمراء أسطوريون .. في حين أنه بتوجيه سؤال مباشر للبريطانيين حول هذا المعنى ، وهل يتخيَّلون وجود فُقراء في دول الخليج الثرية ؟؟ أكدوا بإجماع وجود هذا التخيُّل لديهم !!



في حين أن بائع أحد المحال التجارية في العاصمة البريطانية إستنكرَ أن لا يستطيع شخص عربي شراء سلعة لأن سعرها غالي ، وواجهه بسؤال مؤدّاه : كيف ذلك وأنتم تشترون فندق دورشستر بملايين الجنيهات ؟! أي أن التفريق بين الصور العربية واضح فقط لدى الخصة المُثقَّفة ، وغير واضح لدى العامة من الناس .

هذا وأرى أن أسلَم الطُرُق لتغيير الصورة لا يأتي بإتباع طُرُق دفاعية تجعل الصورة تبدو مُخالِفة للحقيقة ، وإنما بالجهود المستمرة لكسب الثقة من خلال الأعمال التي تحظى بإحترام الآخرين بلا خداع ولا تزييف .. بل بالسعي إلى خَلق وبلورة صورة تستند إلى الحقيقة ، وتلتزم بالصدق والصراحة والوضوح ، فإذا كان الواقع سيِّئاً ، أو تشوبه بعض الشوائب والسلبيات ، فينبغي في البداية تنقية هذا الواقع ، وتدارُك ما به من أخطاء ، بدلاً من محاولة إخفائها أو تزييفها بكلام كاذب ، حتى وإن بدا برّاقاً فإنه سرعان ما يزول أثره ، وينكشف زيفه .. لذا أرى أنه لابد من معرفة شوائب الشخصية العربية ، وسلوكها في الواقع أولاً ، والعمل على تنقيتها من هذه الشوائب بترشيد سلوك الأفراد ، وتوعيتهم بضرورة أن يكون سلوكهم أمام الآخرين – أو حتى فيما بينهم – سلوكاً رشيداً ، ثم نُحاول بعد ذلك نقل هذا الواقع ، أو صورته للآخرين كصورة تُطابِق الواقع ، أي تقديم صورة صادقة .



وهنا تجدُر الإشارة إلى ضرورة التركيز على النماذج الفردية الجيدة في الإعلام المحلي .. وأيضاً من خلال وسائل الإعلام الإقليمية ، أو العربية المُوحَّدَة .. وعدم التركيز على التحرُكات الرسمية للقيادات السياسية والوزارية ؛ لأن مثل هذا التتبُّع الرسمي لا يُحسِّن الصورة بقدر ما يُحسِّنُها كمثال نشر خبر عن بطل عربي في رياضة ما .. أو نبوغ عربي في مجال علمي ما ، أو إبتكار أو إختراع أو إضافة عربية في أي مضمار – حتى ولو كان ذلك له صفة الفردية – فإن هذه الأخبار على بساطتها وفرديتها ، تُحدِثُ لدى القراء العاديين صوراً تراكمية جيِّدة ، من شأنها تحسين الصورة ، بالتكرار والإلحاح الذي يبدو غير مُتعمَّد .. والذي لابد وأن يؤتي ثماره في تحسين الصورة بسياسة النفَس الطويل .. ذلك أن تحسين الصورة لا يأتي بين يوم وليلة .. ولا تؤثِّر فيه الأخبار الرسمية بقدر ما تؤثِّر فيه الأخبار ذات الطابع الإنساني ، التي تُركِّزُ على جوانب إيجابية ، دون إعتبار لأهمية الشخص موضوع الخبر ، فقد يكون طالباً عادياً ، أو فناناً مغموراً ، وليس بالضرورة أن يكون حاكماً أو شخصية عامة ، فقد تكون هذه الشخصيات الرسمية ليس لها قبول لدى الغربيين ، أو لها سُمعة غير طيبة لدى العامة من الناس .

هذا ولابد على الصعيد المحلي من إستخدام شتى وسائل الإعلام ، المسموعة والمرئية والمطبوعة .. بل وحتى الإتصال

الشخصي والإتصال الجماهيري على الصعيد المحلي .. كالتجمُّعات في المدارس والجامعات ، والمراكز الثقافية ، ومن خلال السينما التسجيلية والإنتاج التليفزيوني ، الذي يمكن أن يُسخَّر جزء منه للإسهام في تغيير الصورة المُشوَّهَة ، بدلاً من إستخدام وسائل الإعلام المحلية في كل دولة عربية في تمجيد السُلطة فقط ، وإلقاء الضوء على مُنجَزاتها وتحرُّكاتها ، فلا بأس من توجيه جزء من الإرسال اليومي الإذاعي والتيفزيوني لتغيير صورة المواطن العربي في أعيُن الأجانب المقيمين والوافدين على المنطقة العربية .. وأيضاً بث روح التغيير والإيحاء به في نفس المواطنين أنفسهم ؛ ليسعوا إلى تغيير مسلكهم الشخصي .

ذلك أن وسائل الإعلام المحلية المُوجَّهَة إلى الأجانب بلُغَتهم هي نافذتهم الحقيقية لمعرفة وتفهُّم السلوك العربي بكل أشكاله وأنماطه .. شريطة أن يُقدَّم هذا التوجيه بأسلوب غير مباشر .. وبتلقائية توحي بعدم التعمُّد .. مع تقديم الجوانب الإنسانية - كما سبقَ القول- على الجوانب الرسمية .. ذلك أنه بسؤال البريطانيين عن تلقِّيهم للرسائل الإعلامية المُوجَّهَة لهُم ، خاصة نشرات الأخبار ، والصحُف التي تصدُر باللُّغات الأجنبية في المنطقة العربية ، أشار البعض إلى رفضهم لمحتواها ؛ لأنها لا تُقدِّم إلا الرسميين ، ولا تُقدِّم الحياة الحقيقية للمجتمع العربي .. وأن صياغتها تتضح منها الصيغة



الحكومية .. والتوجيه المباشر بسذاجة .. فالنشرات المحلية باللُّغات الأجنبية غالباً ما تكون ترجمة حَرفيَّة للنشرات العربية .. في حين أن الجمهور المُوجَّه إليه هذه الرسائل الإعلامية مختلفاً تمام الإختلاف في طباعه وميوله .. وحتى في المساحة الزمنية التي يمنحونها لتلقِّي مثل هذه الرسائل .

هذا ولابد من إستخدام أساليب مختلفة لتغيير الصورة ، ولو داخلياً بين جمهور الأجانب .. فلو إفترضنا أن ما يتعرَّض له العرب هو بالفعل حرب نفسية تحاول تشويه صورتهم ، وتكريس سمات هذه الصورة المُشوَّهَة من خلال الغزو الفكري للدول العربية بأفكار مريضة .. وبإغراق أسواقه بشتى السلع التي تدعوه دون أن يدري إلى سلوك إستهلاكي غير رشيد .. وإلى الكثير من التصرُّفات التي تصمه بسمات ليست فيه أصلاً .. لو افترضنا قيام هذه الحرب الباردة على الأمَّة العربية .. فلابد من الرد عليها ، ولن يتأتى ذلك بالضغط ، أو بالرد بالمثل .. ولكن يمكن في مثل هذه الحالة إستخدام التكتيكات المعنوية المُستخدَمَة في الحرب الباردة ، ومن هذه التكتيكات خلق مرحلة تمهيدية للإستعداد ، وذلك بتنشيط الروح المعنوية داخلياً ، وترشيد السلوك العربي ، ثم يلي ذلك مرحلة إستمالة الرأي العام الأجنبي محلياً إلى الجانب العربي ، تمهيداً لتقبُّل الصورة الجديدة التي نسعى لإحلالها مكان الأنماط السائدة

عن العرب .

ونظراً لأن قوة الإقناع هي العامل الأساسي والرئيسي في عمليات تغيير الصورة .. وليس مجرد توجيه رسائل إعلامية تحمل كلمات برّاقة ، فكما يقول د. أنور السباعي : « إن الكلمات في عالم الدعاية يمكن أن تتحلل ، فتنساها الجماهير . ومرد هذا هو أن الانعكاسات العاطفية للجماهير ، دون إقناع يؤثر فيها ، لا يمكن أن تكون قوة متحكمة في هذه الجماهير »(١) ولذلك فإن قوة الإقناع قد ارتفعَ شأنها إلى حد أصبحَ معه من الممكن كشف الكذب المنتشر في بعض الدعايات ... فحتى في حالة تقديم وسائل الإعلام لحدث ما سياسي محلي «ينبغي أن لا ينفصل عن الإقناع الذي يُفسر اصله وأسبابه على ضوء دراسات طباع وحياة الأشخاص الذين لهُم صلة بهذا الحدث »(٢) ؛ ولذلك لابد من الدقة ومخاطبة العقل وليس العواطف .. واستخدام شتى وسائل الإقناع في كل رسالة إعلامية ترمي إلى تغيير الصورة .. من خلال النشرات والمقالات ، والندوات الصحفية والمُقابَلات ، وفن الكاريكاتير ، وأيضاً الكُتب ، بل وحتى التمثيليات والفكاهات البارعة الخفيفة التي يُتعمَّد إعدادها لرسم الصورة الجديدة للعرب ، أو لتغيير بعض ملامح وسمات صورتهم

(١) ، (٢) د. أنور السباعي ، التخطيط الإعلامي السياسي ، ص ١٥٦ .



السائدة .

وبالطبع لابد أن ترتبط التنمية الداخلية بعملية تغيير الصورة العربية ، وذلك من خلال مساهمة وسائل الإعلام المحلية في التنمية ، بحيث تتواكب العمليتان زمنياً ، بل من الأفضل أن تسبق عملية التنمية عملية السعي لتغيير الصورة .. ذلك أن تحرير الإنسان العربي من المفاهيم الإجتماعية البالية التي تُبرز سمات الإتّكال ، والتكاسُل ، والتمسُّك بالموروثات إلى حد التقديس ، يُعتبَر خطوة أولى في سبيل تغيير الواقع المُعاش ، والتخلُّص من سمات تنعكس وتُضخَّم في الصورة التي يرسمها لنا الغرب .

كما يجب أن يُزوَّد المواطن العربي بالمعلومات التي يستطيع من خلالها تأدية دوره في عملية تطوير البنى الإجتماعية القديمة والموروثة ، خاصة ما يتعلق منها بعاداتنا في الإنفاق والإستهلاك والإسراف ، الذي يُؤخَذ علينا في الغرب ، ويُعتبَر سمة أساسية سائدة عن سلوكنا .. وبذلك يتم التأثير في الأنماط الاجتماعية السائدة ، وبقدْر ما ينجح الإعلام في تغيير الواقع ، وتنمية الأفراد ، بقدْر ما ينجح في تغيير الصورة .. ويُقاس هذا النجاح ليس فقط بكثرة وسائل الإعلام ، ولكن بقيمة المضمون الذي تُقدِّمُهُ هذه الوسائل .

وعن أهم النقاط التي يمكن أن يُمارِس فيها الإعلام دوره في

مـجال التنمـية بنجـاح – رغم مـا قـد يواجـهـه من صـعـوبات في المجتمعات التقليدية ، التي غالباً ما لا تستجيب بالقدْر الكافي لما تتلقاه من رسـائل ، مما قـد يُضعِف درجة تأثيره – أقـول رغم هذه الصعوبات فإن على الإعلام العربي دور كبير في مجال التنمية ، من خلال :

* مناقـشـتـه للمـتطلبـات التـربوية .. ودعـوته إلى توسـيع مـجـالات المشـاركة في الحيـاة ، وإعـداد المواطن للعـمل والإنتـاج ، وخَلق الوعي لدى الأفراد وتعبئتهم ضد التخلُّف .
* إلى جانب إسهامات الإعلام في مجالات محو الأمية الهجائية أو اللغوية ؛ وأيضاً الأمية الوظيفية والثقافية والسياسية .
* دعم التـعليم المدرسي النظامي ؛ لتـحسين مـسـتواه بإسـتـخدام التكنولوجيا توطئة للتنمية الشـاملة ، وذلك عن طريق المُلصَقات والمَعـارِض والإتصال الشـخصي ، والأفلام التـثقـيفيـة ، ونوادي الإستماع والمشاهدة الجماعية .
* عمليات التثـقيف النسـائي من خـلال برامج التوعيـة الصـحيـة .. وذلك لما للمرأة من أهمية في عملية التنمية الشاملة .
* التـوعيـة المسـتمرة والدائمـة بالنسـبة لمشكلات النمـو الحضـاري المتعلقة بأنماط الإستهلاك .. والرامية إلى توسيع الأفق ، وخَلق

الشخصية التي يمكنها تفهُّم الغير ، وذلك لنقل الناس من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات المتحضرة(*) .

وبالإضافة إلى ذلك يمكن لوسائل الإعلام المحلية أن تقوم بدور فعَّال في خَلق الرأي العام المستنير .. وتدعيم دور القيادات .

أما الإتصال الشخصي والجَمعي فيقوم بدور أهم ، لتحقيق الإستجابات المطلوبة من جانب قطاعات المجتمع ، كما يمكن من خلاله إعادة الترتيب القيِّمي لدى الجماهير ، ومتُابعة كل إنحراف .. ودعم الإتجاهات الجيدة وترسيخها ، وإحداث تغييرات جديدة ، والتبشير بالقيم الإنسانية الرفيعة ، وتنمية الذوق العام .

وإجمالاً يمكن القول بأن وسائل الإعلام أو وسائل الإتصال الجماهيري يمكنها تصوير الشخصية الإنسانية بوصفها المحور الأساسي لعملية التنمية ، فالإنسان دائماً هو هدف التنمية وصانع التنمية .

وكي ننجح في إستخدام وسائل الإعلام لتحقيق كل ما سبق لابد من :

- **أولاً** : أن يتم التخطيط الإعلامي بأسلوب علمي مدروس .

(*) د. سمير محمد حسين ، الإعلام والتنمية في الدول العربية ، محاضرة عامة.



ثانياً : أن تُحدَّد أهداف التنمية وتُقسَّم مرحلياً .. مع الأخذ في الاعتبار أن تكون أهداف عملية قابلة للتطبيق .

ثالثاً : أن تُستخدَم الحملات الإعلامية أحياناً لتحقيق الأهداف العاجلة .

رابعاً : الربط بذكاء بين السياسات التنموية بحيث تتواكب التنمية الإقتصادية مع التنمية الإجتماعية والسياسية .

خامساً: توفير الأجهزة والموارد اللازمة لتنفيذ الخطط الإعلامية .

سادساً: توفير الكوادر المتخصصة الوطنية اللازمة لتحقيق كل ما سبقَ .

ولعل النقطة الأخيرة بالذات هي المشكلة الرئيسية التي قد تقف عائقاً بين الدول النامية ، ومحاولاتها التنموية ومحاربتها من أجل تغيير صورتها في العالَم .. مما يجعلنا نضع في مقدمة كل ذلك ضرورة الإهتمام بالتعليم الإعلامي ، والتدريب الإعلامي لخلق كوادر إعلامية واعية ، يُعتمَد عليها في عملية التنمية ، وأيضاً في عملية التخطيط الإعلامي لتحسين الصورة العربية .

وهنا أيضاً تظهر مشكلة أخرى ، وهي دور اللُّغة والأسلوب في تغيير الصورة .. فالمُفترَض أننا سنُخاطِب الغرب بلُغته ؛ لذا لابد من الإهتمام أولاً بتخريج عَدَد من الإعلاميين القادرين على التعبير

بلُغات متعددة ، وبمقدرة واتقان يَرقى إلى مستوى أهل هذه اللُّغة أنفسهم ؛ حتى يستطيعوا التأثير عليهم وإقناعهم ؛ لأن عملية التغيير والإبدال في الصور الذهنية الثابتة منذ فترة ليست بالهينة .

كذلك لابد من التأكيد على نقطة أخرى تتعلَّق بنفس الموضوع وهي أننا نخاطب الغرب وكأننا نتخاطب كعرب .. إذ تعتمد رسائلنا الإعلامية غالباً على التركيز على المشاعر دون تقديم أفكار .. فالغرب يعالج الفكرة بفكرة .. ولا يعالجها بإحساس .. فمثلاً الحديث عن تخلفنا لا يُرَد عليه بأن ذلك كان نتيجة للإستعمار ، ولميراث طويل من التخلُّف .. ولأسباب إجتماعية ونفسية .. ولكن الرد عليه يكون من خلال نشر الأرقام الخاصة بالتنمية ، حتى نُشعِر المواطن الغربي بأننا تطورنا وتغيرنا ، فيقتنع بضرورة إبدال صورته الذهنية عنَّا .. وهنا يمكنني أن أؤكد أن وسائل الإعلام العربية مُقصِّرَة إلى حد ما من حيث قدرتها على أن تعكس النمو المذهل الذي تشهده بعض الدول العربية ، وذلك يردني إلى الحديث عن أن هذه الوسائل تُكرِّس جل جهدها في إستعراض تحرُّكات الرسميين وتمجيد السُلطات ودعمها ولا تهتم بالتنمية بالقدر الكافي .

هذا ونجد أن فهم الإعلاميين والدبلوماسيين العرب لأساليب تغيير الصورة فَهْم قاصر في أغلب الأحيان ، فهُم يتصوَّرون مثلاً أن إقامة الاحتفالات في الفنادق الكبرى ، ودعوة الأجانب إليها يمكن



من خلاله تحسين صورتنا .. رغم أن مثل هذه الاحتفاليات تعكس أحياناً صورة سيئة ؛ إذ تعطي إنطباعاً بأننا مُسرفون إلى حد السفه .. فليس بالكرم وكثرة الطعام .. والإبتسامات الدبلوماسية البلهاء .. وكلمات المجاملة الجوفاء .. والحديث في موضوعات عامة بنبرة المثقفين ، وترديد مصطلحات وعبارات مكررة ومعادة ، يمكن أن نغير صورتنا ، أو نعطي إنطباعاً جيداً .. ولكن مثل هذه المناسبات يجب أن يُنظّم لها ، بحيث لا تقف عند حد الإستقبال والوداع .. ولكن يندس بين المدعوين صفوة من المتخصصين الذين يحسنون توجيه الحديث إلى الوجهة المرغوبة ؛ لتحقيق بعض الأهداف من خلال مثل هذه اللقاءات .. على أن يكون المدعوون إليها أيضاً صفوة مختارة من الجانبين العربي والغربي .. وإلا فلا فائدة منها سوى إهدار المال وتعميق الصورة السيئة .

وهنا تحضرني واقعة حقيقية شاهدتها بنفسي – بل وكنت طرفاً فيها – إذ دُعيت في احدى الليالي لحضور حفل إستقبال وعشاء فاخر أقامته إحدى شركات الطيران في دولة عربية خليجية .. ودُعي إلي هذا الحفل عَدَد كبير من الشخصيات العربية والأجنبية من تُجّار وأصحاب شركات سياحية ومؤسّسات وبنوك .

وشاء الحظ أن تأتي جلستي إلى جوار رجُل أعمال أمريكي يزور المنطقة العربية لأول مرة .. ولاحظت دهشته الشديدة لظهور



النساء العربيات في مثل هذه الاحتفالات ولمظهرهن المتحضر .. وظل مُحدِّثي يُعرب عن دهشته لما يرى ، قياساً بالصورة التي كان يتصور المرأة العربية عليها .. إذ أن صورة المرأة العربية في الغرب هي أنها مجرد حريم للشيخ ، وأنها تسير كالخيمة لا يُرى منها شيئاً .. وأنها جاهلة .. ولا تلقى أي إحترام من الرجُل العربي .. وأنها في نظره مجرد جارية أو متاع ... إلى آخر هذا التصور السائد عن نساء العرب .. ووجدتها فرصة لإفهام هذا الأمريكي الوضع الحقيقي للمرأة العربية في كل بلاد العرب التقدمي منها والتقليدي .. وشعرت أني نجحت إلى حد كبير في تصحيح صورة المرأة العربية ، وصورة العلاقة بين المرأة والرجُل في العالم العربي .. وأعرب مُحدِّثي عن إقتناعه بما أقول .. ويكفيه دليلاً على ذلك ما يراه ويسمعه بنفسه من حوار جاد من إمرأة عربية متعلمة وواعية ومُثقَّفَة - على حد تعبيره- وما أن فرغتُ من حديثي ، أو لم أكد أفرغ إلا وظهرت على المسرح راقصة شرقية .. ونجحَت أيضاً في إفهامه أن هذه ليست نموذجاً للمرأة العربية .. لكنها قِلَّة نادرة في دولة واحدة أو عَدَد من الدول العربية ، وليس كلها .. لكن ما حدث بعد ذلك محى كل ما قلته ، إذ تكالب الحضور من الرجال على الراقصة يحمل كل منهم مظروف به عملات نقدية كبيرة ، وصعدَ كل منهم لينثرها على الراقصة .. وقال لي مُحدِّثي بشماتة شديدة : هذه هي صورة العرب الحقيقية .. ليس

ما حدثتيني عنه .. فلم أجد ما أعلّق به لأن ماحدث هدم كل ما قيل .. ولم يبقى ما يُقال !!!

وتعيدني هذه الواقعة على طرافتها وتفرُّدها إلي الحديث عن أهمية التأثير في الوافدين الأجانب .. والمقيمين منهم في المنطقة العربية ، وأهمية كسبهم ، ليس من واقع التجربة الشخصية فحسب، ولكن من واقع ما يقوله خُبراء الإعلام ومُنظّروه .. إذ يمكن أن يقوم الأجانب المقيمون في المنطقة العربية بدور فعّال في تغيير الصورة ، إذا ما استطعنا أن نكسبهم إلى جانبنا ، فنظراً للنتائج التي توصّلَ إليها « لازرسفيلد » و« بيرلسون » و« جوديه » حول سريان مضمون الإعلام ، والقول بأنه لا يتجه إلى أفراد المجتمع كذرُات منفصلة ، ولكن يصل إلى قادة الرأي في هذاالمجتمع ، وهُم يقومون بنقل هذا المضمون إلى الآخرين بعد إضفاء فكرهم الخاص على الرسالة الإعلامية ، وهو ما يسمونه بالإنسياب الإعلامي على مرحلتين .. أو ما جاءت به نظرية الإنسياب متعدد المراحل من أن : هناك فئات أخرى غير فئة قادة الرأي تنقل المعلومات إلى الآخرين .. نظراً لذلك يمكننا إستخدام الأجانب المقيمين في المنطقة العربية لفترة طويلة ، والذين كَوّنوا انطباعاً طيباً عن العرب ، أو على الأقل إنطباعاً حقيقياً صادقاً فيه جوانب طيِّبة : ليكونوا قادة رأي أو ناقلي معلومات عن العرب ، علّهم يقومون عنّا بتغيير بعض الإتجاهات السائدة ضد

العرب في مجتمعاتهم .. وهذه أيضاً نقطة قُمت بقياسها من خلال الإستبيان .. بالسؤال عن مصدر معلومات المبحوث عن العرب .. فـأكّدت الغالبية العُظمى أنهم إستقوا معلوماتهم عن العرب من أصدقاء زاروا المنطقة العربية وأقاموا فيها .

هذا ويُعتبَر المراسلون الغربيون المقيمون ، أو الوافدون إلى المنطقة العربية في المناسبات من أخطر من يُنقَل عنهم .. ويُصدَّق ما يكتبونه بوصفه رؤيا شاهد عيان .. ولذا أرى أنه لابد إذا ما حرصنا على تغيير صورتنا ، أن تشترط وزارات الإعلام التي تُرخِّص لوجود هؤلاء المراسلين على دور الصحف الغربية أن يكون مراسليها الدائمين .. كذلك مراسلي وكالات الأنباء ، والإذاعات العالمية وغيرها مُلِمُّون باللُّغة العربية ، ولهُم دراسات في الشئون العربية ؛ لأن ذلك في النهاية سيعود بالنفع الأكبر على الصحُف نفسها ، من حيث دِقة التقارير التي يرسلونها ؛ لأنهم يحسنون فهم الأمور ، ويطّلعون على كل الأحداث بفِهم أكبر ، ويتعرّضون لوسائل الإعلام المحلية - وليسوا مجرد صُم يسيرون في مهرجان أو موكب لا يسمعون منه إلا الأزيز والصدى - كما أن مثل هذا الشرط سيعود أيضاً بالنفع على الصورة العربية ، لأن من يكتب بِفهم ، ويعرف كل وجهات النظر ، ويلِم بالأمور برمتها ، أسبابها ودوافعها ، لابد أنه سينصف العرب ، أو على الأقل سيكون رأيه موضوعي ، له

جوانبه الإيجابية والسلبية .. وليس سلبياً محضاً ؛ لأن لديه القدرة على النقاش والجدل ، وفهم الأمر من عدة أفراد ، وسماع أكثر من تحليل وتعليل ، وليس مُجرد مُسجِّل لأحداث لا يُحسن تحليلها ، وفهم خلفياتها .

هذا ولابد عند التخطيط للصورة المرغوبة من القناعة بأنه لا يمكن تغيير الصورة الراسخة تغييراً جذرياً .. ولكن علينا في البداية أن نبدأ بتحديد نقاط الضعف والقوة في الصورة الحالية ، وذلك من خلال دراسة دقيقة للتعرُّف على المعالم الأساسية والهامشية لهذه الصورة .. وإدراك نواحي القبول والرفض ، وتحديد الإجراءات التي ينبغي أن نقوم بها لإضعاف دوافع الرفض وتحييدها .

ويقول د. علي عجوة عن خطوات وضع برنامج لتغيير الصورة، أو التخطيط للصورة المرغوبة : « أنه لابد من وضع تخطيط مكتوب لمعالم الصورة المرغوبة ، وهنا يلزم معرفة حقيقة الأوضاع .. لأن الصورة المرغوبة ، إذا كانت بعيدة عن الواقع فإن إحتمال تحقيقها سوف تعترضه مصاعب .. وربما يكون بُعدها عن الواقع سبباً في تحول الجهود التي تُبذل في سبيل تكوينها إلى سلاح عكسي يكشف عن التناقض بين الأقوال والواقع »[1] . وهو ما سبقَ أن أكدنا عليه

(١) د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، ص ٨٥ – ٨٦ .



من ضرورة أن نبدأ بالتنمية ، وبتغيير أنفسنا .. وألا نحاول أن نخطط لتغيير صورتنا إلا على ضوء الواقع وعلى ضوء الصورة الحالية لنا ، فنؤكد على الجوانب الإيجابية ونُضعف الجوانب السلبية، وذلك يقتضي منا بدايةً أن نعرف من نحن أولاً ؟ من خلال بحوث ودراسات .. ثم ما هي صورتنا لدى الآخرين ؟ ولنبدأ في معرفة ذلك من خلال الإستبيان ، والإتصال الشخصي بالأجانب المقيمين بيننا كعيِّنة .. ثم في الخارج كمرحلة تالية . ويؤكد ذلك أيضاً د. علي عجوه إذ يقول : « *من الضروري أن نُجيب على هذه التساؤلات بدقة كاملة :*

- *من نحن ؟*
- *وماذا نريد ؟*
- *وبماذا نتميز عن غيرنا ؟*
- *وعلى أي نحو نود أن يفكر فينا الآخرون* »(١).

أما المرحلة التالية لذلك فهي مرحلة إختيار الوسائل التي نوصِّل من خلالها صورتنا إلى الآخرين .. والأساليب التي ستُتَّبَع لذلك ، والأفكار والموضوعات التي تُمكِّننا من ذلك ، من خلال كل وسائل الإتصال المتاحة لتكوين معالم الصورة .

ويرى (كلود روبنسون) ، و(والتر بارلو) أيضاً ضرورة

(١) نفس المرجع السابق ، نفس الصفحة .

إستخدام كل وسائل الإتصال .. لأن الصورة الطيبة هي نتاج طبيعي للإتصالات المستمرة بالجمهور المستهدف ، على أن تُستخدَم الوسائل الجماهيرية جنباً إلي جنب مع الإتصال الشخصي .. بإسلوب متطور، وغير مباشر ، ولكن يعتمد على التأثير التراكمي لكل ما نبذُل من جُهد ، وما نُنفِّذ من برامج على المدى القريب ، وعلى المدى البعيد.

هذا ولابد أن نأخذ في الإعتبار العقلية الغربية ، ومُحاولَة ربط قضايانا وما نطرحه من أفكار بإهتماماتها الذاتية .. فبقدْر ما نجحَ الغربيون في تشويه الصورة العربية بربط كل المشاكل العالمية والأزمات الإقتصادية التي يُعتبَر العرب طرفاً فيها بالإحتياجات اليومية للمواطن الغربي ، بقدر ما يجب علينا أخذ ذلك في الإعتبار حينما نخطط لتغيير صورتنا ، وهو ما عجزنا حتى الآن عن تحقيقه .. وهو ما يؤكده بعض كُتَّابنا ممَّن يرون « أن الإعلام العربي بقي عاجزاً أن يخترق الجدار الأوروبي والأمريكي بسبب عجزه عن فهم العقلية الجماهيرية في المجتمع الأوروبي التي لا تهتم إلا بما يفرض عليها فرضاً من رأي وفكر وقضايا إنسانية ، وما له علاقة بمصالحها الذاتية »[1] ، وهو

---

(١) عرفات حجازي ، دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي الأوروبي من أجل عدالة القضية الفلسطينية ، شئون عربية ، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ١٥١ .



بالفعل أمر لابد من الإعتراف بفشلنا في تحقيقه .. فحتى حينما أصدرنا بعض الصحف والمجلات العربية بلُغات أجنبية ، وخصّصنا مساحة من الإرسال التليفزيوني وفي المحطات الفضائية والإذاعات المُوجَّهَة بلُغات أجنبية لم ننجح في ربط المُتلقّي الأجنبي بإهتمامات تخدم قضايانا .. أو تُحسّن تصوُّره لنا .. وظلّت هذه الوسائل مجرَّد ترجمة لما يُكتَب في مثيلاتها باللُّغة العربية .

وأمر آخر لابد أنْ نأخذه في الإعتبار حينما نخطط لبرامج تغيير الصورة ، وهو الخصائص النفسية لأفرادالجمهور الذي نستهدف التأثير فيه ، وفي مقدمة هذه الخصائص العواطف أو المشاعر ، التي لا تعتمد على العقل ، والتي تتحكم في كمية المعلومات التي تتدفق إلى شخص ما .. وقدرته على التخيُّل والتذكُّر ، وقُدرة عقله على إسترجاع الصور ، إذ يرجع ذلك كله إلى ميل الأفراد لتذكُّر الموضوعات التي تتفق مع إتجاهاتهم وقيمهم .. وهو ما يُسمَّى بالتذكُّر الإنتقائي ، ومما يزيد من صعوبة التخطيط لتغيير صورة العرب تلك العوامل النفسية التي تُضعِف إلى حد ما من الإستجابة المُتوقَّعَة لجهودنا .. فالغرب كان ومازال عدواً لنا .. ومن البديهي أن الغربيون بعواطفهم العدائية يتحينون لنا السقطات والأخطاء .

كذلك يدخُل في إطار العوامل النفسية المؤثِّرَة في الجمهور ، العقائد الراسخة سواء الدينية أو السياسية .. وقد أوضح « الدوس هكسلي » Aldous Huxley أن الناس لا يُقدِمون على عمل



نتيجة لصفحات قرأوها ، أو خُطَب سمعوها ، وإنما تكون تصرُّفاتهم نتيجة لتعرُّضهم منذ الطفولة لتربية مُعيَّنة ، وتوجيه سلوكي متراكم .. وهذا العامل بالذات يحضنا على الإهتمام بأدب الأطفال ، ودوائر معارف الأطفال والكتب المدرسية ، التي تعج بالإساءة إلى العرب وتشويه صورتهم ، وضرورة التصدي لذلك ، ومُحاولة تغييره قبل أن يرسخ كعقيدة ثابتة ضمن التراث الفكري للأطفال الغربيين ، ومن ثم رجال الغد ، وصنَّاع قرار الغد والمستقبل .

هذا ولابد من الإعتراف بأننا نتعامل بحساسية شديدة مع المواد الإعلامية المُسيئة إلينا ، وبأسلوب يُسيء إلينا أكثر ويُشوِّه صورتنا أكثر .. فغالباً ما تعمد الرقابة الإعلامية في أي بلد عربي إلى منع مُعظَم الكتابات الغربية التي ترى أنها تسيء إلى العرب .. وذلك حتى لا يطَّلِع عليها المواطن العربي ، فتؤثِّر فيه أو في نظرته لذاته !! وهذا المنع على ما له من إيجابيات يُعَد دفاعاً سلبياً ، إذا مُنِعَ كل ما يصف العرب بسوء ، في حين أنه من الأفضل تمرير جزء مما يُقال عنَّا حتى يطَّلِع عليه المواطن العربي مشفوعاً بدفاع ، أو مردوداً عليه بأسلوب علمي وموضوعي .. حتى يعلم المواطن العادي ما يُقال عنه ، فيسعى إلى تغييره ، إذا تضمَّن بعض من حقيقة ، أو على الأقل تُستثار حفيظته ضد الغربيين ، ويقف على مدى الحقد الذي يكنوه له .. ويُقدِّرَهُ حق قَدْرِهُ ، فلا يُمارَس حيالهم التسامح



العربي المُستمَد من البساطة والفطرة ، ولذلك أهميته القصوى بالنسبة لأصحاب رؤوس الأموال الذين يستثمرونها في الغرب .. وأيضاً بالنسبة للشخصيات العامة التي تتباهى بنقد الذات العربية أمام الأجانب ، وبالنسبة لصنُّاع القرارات الإقتصادية والسياسية التي يستفيد منها الغرب .. فالغرب عدو لاشك في ذلك .. وواجبنا ليس مناصبته العداء .. ولكن فهم نواياه جيداً ، والتصدي لها بذكاء، بحيث لا نسمح له بالإستفادة منّا ، ثم لعننا وسبّنا .. ويؤكد وجهة نظري هذه د. محمد الرميحي إذ يقول :

« اننا يجب أن نرحب بكل ما يُكتَب عنّا .. ولا نعاديه كله .. ولا نتعامل بسياسة إعلامية أقرب إلى سياسة النعامة في إخفاء رأسها .. وذلك يحتاج منا إلى تسامح كبير ، وفهم كبير .. لأن فاقد الشيء لا يعطيه .. فلابد أولاً أن نبدأ بعمل تنموي حقيقي .. حتى ننجح في نقل صورة طيبة عنّا .. وذلك لن يتم إلا بكثرة من الإعلاميين الواعين ، وعموماً الوضع النفطي الجديد بالتأكيد بعد ضغط الميزانيات سيُغيِّر أنماط الإنفاق ، ويُقلّل كميات النقود المُتداوَلَة ، ويُقلّل من السلوك الفردي الشاذ ..

إلى جانب التعليم والتثقيف الذي سيلعب دوره في تنوير الإنسان »[1] .

هذا وقد كان لبعض الأحداث السياسية والعسكرية أثراً في تغيير صورة العرب تغييراً ملموساً ، فليس بالمعلومات فقط تتغير الصورة .. لكنها تتغير بالأحداث الجسام كالحروب .. وتغيير القيادات .. لكن هذا التغيير ليس جوهرياً بحيث يُغيِّر ملامح الصورة الراسخة إلى النقيض .. وإن كان قد أحدث هزَّة عنيفة بدلّت بعض سمات الصورة .. وبذلك مهدَ لنا الطريق أمام تحسين السمات الأخرى السلبية .. وهو عامل مساعد لابد من إستغلاله الإستغلال الأمثل .. وقد أشرتُ سلَفاً إلى أن حرب أكتوبر قد حسَّنت إلى حد ما صورة الجندي العربي المصري ، أو السوري ، كجندي منتصر وشجاع .. وأشرتُ إلى الدراسات التي أثبتَت ذلك .. وإلى أن هذه الحرب قد نحَّت عنَّا سمات جبان ، وثرثار ، ولا يحفظ السر ، إلى غير ذلك من سمات ، وأحلَّت محلها سمات طيبة .. وإن كانت هذه الحرب نفسها قد كان من نتاجها أن تصاعد العمل الفدائي فكثر وصف الفلسطينيين « بالإرهابيين » .. وقد كان من نتاجها أن إتخذَت دول الخليج قرار الحظر النفطي ، الذي إستغله الغرب لتشويه صورة العربي الخليجي ، ووصفه « بالإبتزاز » و« التخلُّف » بدلاً من

(1) د. محمد الرميحي ، لقاء شخصي في أبو ظبي ، في ٢/٢/١٩٨٣ .



التأكيد على أنه « قومي متعاون » .. وأن ما مارسه هو حقُّهُ في دعم أشقائه العرب بسلاح سياسي هو يملكه .

وإلى جانب الأحداث الكبرى ، ومحاولة إستقطاب الأجانب المقيمين في بلاد العرب .. أرى أنه لابد من الإهتمام بحركة الترجمة للآداب العربية إلى لُغات أجنبية ؛ متعددة لِما لذلك من أهمية في إعطاء تصوُّر جيد لأي أمة في ذهن الآخرين .. ومنح حضارتهم أبعاداً مجهولة للآخرين .. والحقيقة أن حركة الترجمة التي بدأت منذ فترة غير قصيرة قد أتت بعض ثمارها .. لكنها حركة عشوائية تُترجَم فيها الكُتب التي يضمن مترجمها وناشرها أنها ستلقى رواجاً وقبولاً يُحقِّق له الربح المأمول .. لكنني هنا أقصد أن تَنشط حركة ترجمة مُوجَّهَة تُختار فيها الكُتب بعناية شديدة ، وفي الإتجاه المطلوب الذي من شأنه تحسين صورتنا .. وليكن ذلك محلياً وبالإعتماد على مترجمين عرب في البداية .. ومن خلال دور نشر عربية .. إلى أن يجد الكتاب العربي سوقاً له في الخارج تطلبه .. وتتهافت عليه دور النشر الغربية .. إذا ما إستشعرَت رواجه .

وبالإضافة لكل ما سبقَ أرى ضرورة حث كل دولة عربية ، أو كل تجمُّع عربي إقليمي على ضرورة إقامة مراكز معلومات مُتخصِّصَة ومُستقلَّة أو شبكة إنترنت عربية ، توثِّق لديها المعلومات القومية في شتى المجالات بحيث يسهُل الوصول إليها لتصحيح أي



أفكار مغلوطة ، تمس العرب عن جهل .. فالإساءة إلينا - كما سبقت الإشارة - لا تأتي دائماً عن عمد ، ولكن تأتي أحياناً عن جهل وقِلّة معلومات ، أو لإعتماد الكُتّاب على مصادر معلومات جزئية أو ناقصة .. وكمثال لذلك أن معظم دوائر المعارف تعتمد في إستقائها لمعلوماتها عن الإسلام على دائرة المعارف الشيعية ، وتُقدِّم مادتها على أنها المعلومات الدقيقة الموثّقة عن الإسلام كله .. كما تعتمد معظم الصحف في إستقاء معلوماتها على ما تنشره الصحف العربية من مهاترات وحملات متبادلة غير موضوعية .. في حين أنه من الضروري وجود مراكز المعلومات الإقليمية أو « مركز المعلومات العربي » الذي لا يضُم إلا المعلومات الموثّقة والدقيقة ، التي يوافق العرب جميعاً عليها ، ويكون هو الجهة الوحيدة ذات الإختصاص التي تتصل بمراكزالمعلومات العالمية لتُغذّيها ، وتمدها بالصادق والموثّق والدقيق فقط عبر شبكة الإنترنت العالمية .

هذا ولابد أيضاً في إطار وضع خطة داخلية لتحسين الصورة من وضع فلسفة إعلامية عربية واضحة المعالم ، بهدف التصدّي للهجمات الإعلامية المُعادية .. فقد يختلف العرب في مرحلة ما على مصالح سياسية أو عسكرية أو إقتصادية .. لكنهم ولاشك متفقون تماماً على أن صورتهم ككل مُشوّهَة في الغرب ... وأنه يجب الإتفاق، ووضع الخطوط اللازمة لتحسين هذه الصورة .



وهنا لابد أن نشير إلى ضرورة الإهتمام بالبحوث الإعلامية المتعلقة بدراسة الصورة الذهنية ، ودراسات تحليل مضمون وسائل الإعلام الغربية ، بما يكفُل كشف كل الأهداف الظاهرة والباطنة الرامية لتشويه صورة العرب(*) .

وحتى يتحقق كل ما سبقَ لابد من التأكيد على ضرورة تكوين كوادر إعلامية واعية ، وقادرة على البحث والتخطيط الإعلامي السليم، المبني على أُسُس علمية .. ليس هذا فقط ، بل أيضاً تكوين رجُل الإعلام القادر على القيام بالوساطة اللبقة بين الأفراد والجماعات ، ليجعل من الإعلام مُمارَسَة يومية لكل مواطن ، وعُنصراً حيوياً فعَّالاً في بناء التنمية ، وأيضاً في مجال تحسين الصورة من خلال الإتصال الشخصي والجمعي .. وهنا لابد من خَلق تعاوُن حقيقي بين كليات ومعاهد وأقسام الإعلام والصحافة في كل البلدان العربية .. بل وأيضاً الإسلامية للتنسيق فيما بينها ، وخَلق تعاون حقيقي وعملي في مجال التكوين الإعلامي ، وتبادُل الخبرات العملية والأكاديمية .

ذلك أن ندرة الخبرات الإعلامية العلمية الجادة تُعَد معوقاً حقيقياً في سبيل نجاح أي تخطيط إعلامي ، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي .. بل هو عاملاً من عوامل ترك الأمر على ما

(*) محمد أحمد زمزم ، البحوث الإعلامية في الوطن العربي ، ص ١٤٣ .

هو عليه بالنسبة لصورة العرب في الخارج .. وأحياناً تُساهِم الخبرات غير الواعية في الإساءة إلى الصورة أكثر ، وتشويهها بمحاوَلات التصدِّي للتشويه الغربي بعصبية ، أو بتشنُّج غير واعٍ ، وغير مدروس .

وقد يقول البعض بأن عَدَد خريجي كُليات الإعلام والصحافة في الوطن العربي لا يُستهان به .. لكن الحقيقة تقول أن هؤلاء الخريجين ليسوا جميعاً على المستوى المطلوب من الوعي .. ولم يتلقوا التدريب العملي الكافي ، والممارسة الفعلية ، والقدرة على البحث والتخطيط ، وأبسط ما يُقال عنهم أنهم مجرد طُلاب حصلوا على مجموع يؤهلهم لدخول كليات الإعلام فدخلوها لهذا السبب – أو لِما لها من بريق – دون أن يكون لدى الكثيرين منهم القدرة على التصدي للعمل الإعلامي ، المتمثلة في ثقافة واسعة ووعي بمجريات الأمور .. وحماس للعمل الإعلامي ، وتبنِّي لقضية ما – أياً كانت هذه القضية – سياسية ، أو اجتماعية ، أو دينية ، والحَق يُقال أن معظم خريجي هذه الكليات شخصيات باهتة ، وغير مؤثِّرة .. ولا تملك من قوة الشخصية ، واللباقة ، والقدرة على الإقناع ما يؤهلها للتصدي لقضية كبيرة ، كقضية الإساءة إلى صورة العرب والمسلمين في الغرب ، داخلياً أو خارجياً .

ولعل ذلك ما يجعل معظم هؤلاء الخريجين يهربون من

الإضطلاع بمثل هذه المهام الصعبة والهامة ، إلى العمل في أي مجال آخر أكثر ربحاً .. أو يُحقق لهُم منصباً إدارياً أو أعمالاً حُرّة ، أبعد ما تكون عن تخصصهم .. والبعض يعمل في التليفزيون أو الإذاعة ليُقدِّم برامج منوعات ، وطرائف ، ولقاءات تافهة أحياناً .. وذلك لأن هؤلاً جميعاً ، لم يُلقّنوا ، ويدرسوا كيف تكون لهُم قضية إعلامية من واجبهم تبنِّيها .. وإستخدام قدراتهم الشخصية ، وما تعلموه في الدفاع عنها .. وبالتالي لم يَظهَر وعي حقيقي بين هؤلاء الخريجين بجدوى تبنِّي قضايا عامة ، والعمل على التوعية بها ، أو تصحيح بعض المفاهيم حولها ، خاصة قضية الإساءة إلى العرب في الغرب .. لا بل وحتى القضايا المحلية : كتنظيم الأُسرة ، ومحو الأمية ، وقضية التنمية الاجتماعية ، والوعي الثقافي ، وترشيد الإنفاق .... وما إليها من قضايا .. لم تُخرِّج كليات الإعلام جيلاً من شباب الإعلاميين الذين يتخذون من مثل هذه القضايا .. حافزاً ودافعاً للعمل الإعلامي ، بحيث يُكرِّسون جهدهم لها ، ويبتكرون الأفكار والوسائل التي يمكن أن تخدم فيها ، ولكن الغالبية تتعلم أو تتلقَّن ، لتمتحن ، ثم تُعيَّن في وظيفة من أجل الاسترزاق .. وإذا كان هذا الأمر مقبولاً بالنسبة لخريجي أي كليات جامعية .. فهو غير مقبول على الإطلاق بالنسبة لخريجي كليات الإعلام .. الذين يجب أن يربوا على أن كل فرد فيهم لابد وأن تكون له قضية ما ، يتحمس لها

.. ولذلك يجب أن يتواكب تخريج دُفعات من الإعلاميين الواعين ، وبداية التخطيط الإعلامي الشامل من أجل تغيير صورة العرب في الغرب .. بل يكون هذا الموضوع هو منهاج أو مساق يُدرَّس لكل طلاب الإعلام في العالم العربي ، كما تُدرَّس طُرُق البحث الميداني ، وتحليل المضمون الإعلامي .. ودراسات الصورة الذهنية .. والتخطيط الإعلامي .. وأي مواد تخدم في هذا المجال .

ذلك مع الأخذ في الإعتبار ضرورة التخلص من التبعية الحضارية والتكنولوجية التي تطبع التكوين الإعلامي ، ومحاولة خَلق فكْر إعلامي عربي لا ينقل عن الغرب دون وعي ، وذلك يتحقق بخَلق مؤسسات عربية لتكوين الأطر العليا من باحثين وأساتذة مرتبطين بالمعطيات العربية ، وملزمين بتطوير التكنولوجيا الغربية في مجال الإعلام للتخفيف من التبعية للغرب في هذا المجال(*) .. وإن كان من الضروري أيضاً الإطلاع على التجارب الغربية في مجال دراسات الصورة الذهنية ، وبرامج تغييرها ، ومحاولة تعريب هذه التجارب ، والأخذ منها بما يناسب واقع قضيتنا الإعلامية مع الغرب .. مع تحميس الخبراء في هذا المجال على الإستمرار في وطنهم .. وذلك أن الغالبية من الإعلاميين العرب الذين سافروا إلى أوروبا وأمريكا

(*) د. محمد الادريسي العلمي ، بحث عن التعاون العربي الأفريقي في ميدان التكوين الإعلامي ، مُقدّم لندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي ، دمشق ، ١ - ١٩٨١/٩/٦ ، ص ص ٩٢ - ٩٤ .



لإستكمال دراساتهم العُليا ، لم يعودوا إلى أوطانهم فيما يمكن أن نسميه هروب الخبرات الإعلامية من الوطن العربي ؛ لأن العمل الإعلامي كمهنة لم يتمتع القائمين به حتى الآن بما يستحقون بوصفهم خبراء في أهم وأخطر علوم العصر .

ذلك عن الأُسس التي يجب أخذها في الاعتبار حينما نُفكِّر في وضع خطة محلية أو إقليمية عربية لتحسين الصورة ، تناولَنا فيها أفكاراً تُعتبَر أساساً مبدئياً يخدم في وضع هذا الشق من الخطة العامة الرامية إلى تحسين صورتنا في الغرب داخلياً .

ويمكن إيجاز ما سبقَ في نقاط محددة هي :

* *ترشيد سلوك الأفراد العرب في الداخل والخارج .*
* *كسب الأجانب المقيمون في المنطقة العربية كقادة رأي في جانب العرب .*
* *عمل دراسات تتبعية وبحوث ميدانية لقياس سمات الصورة العربية الحالية .*
* *العمل على تقديم صورة صادقة ومطابقة للواقع بعد تنقيته .*
* *التركيز على النماذج الفردية الجيدة في وسائل الإعلام .*



* إستخدام كل وسائل الإتصال الجماهيرية والإتصال الشخصي والجمعي .

* إتباع أساليب إقناع متطورة وغير مباشرة في الرسائل الإعلامية .

* إشراك وسائل الإعلام في عملية التنمية الداخلية ، وأيضاً نشر مُعدلات هذه التنمية.

* العمل على خلق كوادر إعلامية واعية،من خلال تطوير التعليم الإعلامي والتنسيق بين كليات الإعلام .

* الإهتمام بتعلُم اللُغات الأجنبية إلى حد الإجادة للتمكن من مخاطبة الغرب .

* تفهُم العقلية والنفسية الغربية وربط قضايانا بإهتماماتها وإحتياجاتها .

* إطلاع المواطن العربي على جزء مما يُقال عنه في الغرب مشفوعاً برد .

* إستغلال التغيير الذي تُحدِثَهُ الحروب والأحداث الجسام وتغيُر القيادات في الصورة.



* الإهتمام بحركة الترجمة للآداب العربية إلى لغات أجنبية .

* إقامة مراكز معلومات عربية على مستوى الدول ، وعلى المستوى القومي .

* وضع فلسفة إعلامية عربية واضحة المعالم تهدف لتغيير الصورة .

الخطة الخارجية :

يقول د. أنور السباعي أن « أي تغيير يُراد إدخاله على الرأي العام العالمي لا يمكن أن يحدث تلقائياً .. بل يحتاج إلى تكوين المواقف المُقنِعَة إلى حد يكفي لتحريك الجماهير في كل مكان على أساس المعلومات التي ترِد »(1) .

فكيف يمكننا التحكُّم في إحداث هذا التغيير في الرأي العام العالمي تجاهنا من خلال كَم من المعلومات المُوثَّقَة الدقيقة ؟

قد يكون كل ما سبقَ ذِكره من نقاط مفيداً على المدى الطويل، في إحداث تغيير تلقائي في التصوُّر الذهني المُكوَّن لدى الغربيين عن العرب ، من خلال التنمية البشرية في الداخل ، وتكوين قادة رأي

(1) التخطيط الإعلامي السياسي ، ١٩٧٤ ، ص ١٤٤ .

غربيين ، يمكن التأثير عليهم وتزويدهم بالمعلومات الدقيقة ، نظراً لوجودهم في المنطقة العربية وإطلاعهم على مجريات الأمور فيها ، لكن الحملة الشرسة على العرب في وسائل الإعلام الخارجية لابد من التصدي لها بأسلوب مُنظّم ، وبخطة شاملة .. وبخبرات ودراسات مستمرة ودائمة ، وبقَدْر من التدفُق الإعلامي ، الذي يرُد على الإفتراءات الغربية ، ويُظهِر للعالَم الحقائق من خلال معلومات دقيقة .. ولابد أن يكون كل ذلك بمُخاطَبَة وسائل الإعلام الغربية مباشرة ، بل وإنشاء وسائل إعلام عربية في الخارج بتوجيه الإستثمارات العربية في الخارج إلى الإستثمار في قطاع الإعلام والصحافة . وكل ذلك لن يتأتى إلا من خلال إنشاء هيئة إقليمية عربية مستقلة ذات مُهِمّة مُحدَّدة .

فإلى جانب توجيه سلوك الأفراد والجماعات وترشيده ، لابد من وجود تخطيط إعلامي خارجي جيد بعيداً عن الإرتجال ، يتواكب مع التنمية البشرية ، والإعلام المحلي والإقليمي الرامي لتغيير الصورة .. على أن يتم هذا التخطيط في ضوء المعلومات التي تُقدِّمها البحوث الخاصة بتحليل المضمون .. والاستبيانات والدراسات التتبُّعيَّة لقياس إتجاهات الرأي العام العالمي أو الغربي نحو الشخصية العربية .. على أن تُسخَّر كل الوسائل المُمكنة لتنفيذ فكر



هذا التخطيط العلمي الدقيق .. فمَن يقوم بذلك إلا هيئة علمية إعلامية لها إستقلالها المادي والمعنوي .. ولها قُدرتها العلمية والمعلوماتية التي تُمكِّنها من تحقيق ذلك .

قد يَرُد البعض بأن هناك عِدَّة جهات إعلامية رسمية تتولى الدفاع عن العرب ، وتحسين صورتهم ، أو التصدي للحملات الإعلامية الشرسة المُوجَّهَة إليهم ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر .. « دائرة الإعلام التابعة لجامعة الدول العربية » .. و« لجنة التنسيق والتخطيط للإعلام البترولي » و« لجنة العلاقات الإعلامية الدولية لدول الخليج » و« اللجنة المتحركة للشئون الإسلامية في بريطانيا » وجمعيات الصداقة العربية في عِدَّة دول أوروبية وأمريكية .. ناهيك عن وزارات الإعلام في كل الدول العربية ، ووزارات الخارجية ، وإدارات الإعلام الخارجي ، وإدارات الرقابة الإعلامية .. وكل هذه يقوم بعضها بجهد مشكور على أي حال .. ولكن يغلب على أعمالها الحماس والعصبية ، أكثر من العلمية والتعقُّل ، فليس بالحماس وحدَه يمكن أن نُصحِّح صورتنا في الغرب ، أو نحمي سمعتنا كعرب أو كمُسلمين .

فالحقيقة التي لا مِراء فيها أننا في حاجة ماسة إلى هيئة مُستقلَّة تتولى الدفاع عنَّا والرد علمياً على المفترين .. هذه الهيئة

يجب أولاً أن يقوم عليها أو يُساهم في أعمالها أناس يُفترَض أن يكونوا رجال إعلام متخصصين ، ذلك أن لكل جمهور الأسلوب الذي يناسبه في الإقناع .. والجمهور الغربي المُستهدَف بما تبثه هذه الهيئة ، لن يؤثّر فيه كثيراً أو قليلاً الدفاع العاطفي عن العروبة كقومية ، أو عن الإسلام كعقيدة .. بالإستشهاد بأقوال الزعماء أو الأنبياء والكُتب السماوية ؛ لأنهم أصلاً لا يؤمنون بأصحاب هذه المقولات .. بل ويُشكّكون فيهم .. ويُعادون العرب كأمّة والإسلام كدين .. كما أن أسلوب الدُعاه التقليديين وطرائقهم في الإقناع المُعتمِدَة على « قال الله » و« قال الرسول » وقائمة المأثورات المحفوظة من القصص المليئة بالعِبَر والحِكَم ، يتناسب أكثر مع الجمهور العربي المسلم .. وجمهور العالَم الشرقي .. الذي يُعتبَر الكلام لعبته الأولى .. وهذا الأسلوب لا يُناسب مطلقاً نمط التفكير المادي الغربي المتشكك في كل شيء ، والمُتحلّل من كل قيمة .

والمُفترَض أيضاً بعد توفير عَدَد من الإعلاميين والدُعاه المستنيرين ، توفير خُبراء في شتى المجالات العربية الثقافية ، والتاريخية ، والتراثية ، ينضم إليهم فريق آخر من المُترجمين ودارسي الإعلام ممَّن يُجيدون عدَّة لُغات أجنبية إجادة تامة كأهلها ، كي يستطيعوا التعبير بكل دِقَّة ، وبقُدرة على الإقناع ، وسلاسة في الإسلوب على كل ما يُفترى به علينا .. ذلك أن أولى خطوات النجاح في مجال الإتصال الجماهيري هو معرفة الأرضية أو الجمهور الذي



نوجِّه إليه الحديث معرفة تامة ؛ لأن الجهل بطبيعة ونفسية من نُخاطِبَهُم يُضيِّع الهدف المرجو من أي رسالة إعلامية .. كما أن الأسلوب المُصاغَة به هذه الرسالة قد يُنفِّر الجمهور منها ، ويُضعف إستجابته لها .. فهناك عناصر كثيرة على الإعلامي أن يضعها نصب عينيه كي يُحقِّق عملاً إعلامياً ناجحاً .. وكي تعينه في تحقيق هدفه ، وهي التعرُّف على التبايُن النوعي للجمهور المُستهدَف ، فالجمهور الغربي ليس كلّه مُثقَف وواعي كما يتصور البعض .. كما أن العرب وصورتهم وقضاياهم ليسوا محوراً أساسياً في حياة الغربيين كلّهم .. بل إن هناك جهل كبير لدى قطاع من الجمهور الغربي بالعرب ، وحياتهم وعاداتهم .. ولذلك فعلى المسئول عن الإعلام الخارجي أن يُلِم بكل شيء عن جمهوره ، وأن يُخاطِبَهُ بالعقل قبل العاطفة .. وأن يورد الحجج القوية التي تتناسب مع طبيعة وتركيبة المُخاطَب .. بل إن الواجب المُنوَّط بالإعلامي يقتضي بأن يُلِم بأدَق التفاصيل عن جمهوره « *ومن ثم يوسع دائرة تأثيره مستعيناً في ذلك يرفد الإعلام بالدعاية .. ونقل قضيته من الدائرة المحلية إلى الإقليمية ، فالدولية .. ويجب أن يضع في إعتباره أن لكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث توجُّهاً مختلفاً* »(١) .

---

(١) عبد السلام الطروانة (مدير تحرير الدستور الأردنية) ، تصوُّرات حَوْل الإعلام العربي ودوره في خدمة القضايا العربية ، شئون عربية ، العَدَد ١٧، يوليو ١٩٨٢ ، ص ١٣٧ .

والأهم من ذلك أن يُرصَد للهيئة المنوطة بالدفاع عن العرب ، وتغيير صورتهم ميزانية مُستقلّة ، تُساهِم فيها كل الدول العربية ، ويُتاح فيها مجالاً للتبرُّع بالمال لكل عربي يَغار على سُمعة أُمّته ، ويَغار على دينه الحنيف من التشويه .. ويُتاح فيها مَجالاً للتطوُّع العلمي ، بمعنى المساهمَة العلمية في ضحد الإفتراءَات في شكل مَقالات أو تقارير ، وأبحاث علمية مهمتها الأولى والأخيرة الرَد على ما يُشاع ، أو يُذاع ، أو يُنشَر بأي وسيلة نشر ، أو إعلام ، في شكل مكتوب ، أو مرئي ، أو مسموع .. سواء جاء ذلك في دوريات ، أو مُؤلَّفات إبداعية ، أو فكرية ، أو أفلام سينمائية أو تليفزيونية ، روائية أو تسجيلية .. أو في مَراجع علمية ، أو دوائر معارف ورسالات جامعية ، أو بحوث .. كما يُتاح فيها مجالاً للمُشاركة الشعبية من جموع العرب والمسلمين .. بمعنى أن كل فرد عليه أن يُرسِل ما يقع بين يديه من مثِل هذه المواد المُسيئة ، مما لا يَعرفون السبيل إلى دحضه ، والرد عليه إلى الهيئة المنوطة بذلك .. لتتولى الرد عليه وتفنيده .. أو على الأقل لفت نظرها إلى مصدر الإساءة .. وذلك على عنوان يجب أن يكون معروفاً لكل عربي .. أو من خلال مكاتب إعلامية منتشرة في كل قُطر عربي ، تتولى تَلقِّي مثِل هذه الرسائل ، وتكون بمثابة همزة وصل بين الأفراد والهيئة العُليا المنوطة بتحسين الصورة .



هذا ويجب أن يتوافر لهذه الهيئة كل وسائل الإتصال الجماهيرية ، بدايةً من الإتصال الشخصي والجمعي متمثلاً في جولات الدُعاة ورجال الإعلام .. والخُطب والندوات ، والمُناظرات واللقاءات العامة والجماهيرية .. وإنتهاءً بشراء مساحات من الإرسال الإذاعي والتليفزيوني في القنوات الفضائية العالمية .. وإمكانيات إنتاج المواد الإعلامية .. وشراء مساحات من الدوريات والصحُف العالمية مهما تكلّف ذلك .. دون أن يُعوّق هذا العمل روتين أو بيروقراطية أو جدل عقيم .. مع الحفاظ على روح الفريق ، وعدم إفتعال خلاف بين القائمين على هذا العمل العظيم حول نقاط غير جوهرية ، ولا طائل من ورائها ، غير إثبات الذات .. ذلك أنه في هذا العمل لا مجال لأي باحث أو داعية لإثبات ذاته ، بقدر أهمية أن يصل الرد والتصحيح في الوقت المناسب إلى الجهة المعنية به .. وبأنسب أسلوب يتفق وطبيعة وسيلة الإعلام ، وطبيعة الجمهور المُوجَّهَة إليه الرسالة الإعلامية دون تشنُّج أو عصبية .

وذلك يمكن أن يتحقق ، إذا ما أُحسِنَ إختيار العناصر القائمة على هذا العمل الجليل ، بحيث يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب له تماماً ، وفقاً لقُدراته ولتخصُّصه الدقيق ، ولا يترُك الأمر للمُجامَلات والمحسوبيات والشِلَليَّة ، والعلاقات الشخصية .. ذلك أن هذا العمل يُفترَض فيه أنه رسالة للدفاع عن الوجه الإنساني للعروبة ، والدفاع عن الدين الإسلامي السمح بسلاح الكلمة .

فإذا ما أُحسنَ إختيار العناصر القائمة على هذا العمل منذ البداية ، نجحَت هذه الهيئة في القيام بمهمتها الجليلة على الوجه الأكمل .. وإذا ما تدخَّلت الأغراض الشخصية فقولوا على هذه الفكرة السلام ، ولتلحق بمثيلاتها من اللجان والجمعيات الإعلامية الرامية لتحسين الصورة ، والتي أثبتَت حتى الآن عجزها عن التصدِّي للفكر الغربي المُعادي .. والتي أبقَت على صورتنا مُشوَّهَة ، على مدى عقود وقرون خلَت . ولنترُك صورتنا كعرب وكمسلمين نهباً للمُغرِّضين والتافهين ، ولنستحق بالفعل كل ما يُقال ويُنشَر عنَّا ، طالما أننا غير قادرين على التصدِّي له .

تلك بإختصار شديد تصوُّراتي المبدئيَّة لإنشاء هيئة مُستقلة ذات مهمة واحدة ، ومُحدَّدَة ، تُساهِم فيها وتصُب فيها كل الجهود العلمية والمادية والمعنوية .. وتَسعى لإنجاحها .. وتسير جهودها جنباً إلى جنب مع التخطيط الإعلامي الداخلي في كل بلد عربي ، بحيث يتواكب التخطيط الإعلامي الداخلي والخارجي .. ذلك أن ظروف الدعاية تختلف إلى حد كبير من فترة لأخرى ، وفقاً للأحداث الإقليمية والعالمية .. لكنها تتطلب خطة مشتركة للعمل ، لتحقيق الأهداف المنشودة خطة طويلة المدى ذات إستراتيجية واضحة ، وخطط تكتيكية قصيرة وفقاً لمقتضيات الأمور ، وكأننا في حالة حرب – ونحن كذلك بالفعل – طرفاً في حرب باردة مع وسائل الإعلام الغربية .. وذلك يتطلَّب منا تحديد خطوط نظرية وتحليلية ، وبرامج

عمل تدُل على إمكانية مُخاطَبَة العالَم من مُنطلَق واحد ، مُخاطبة العقول والعواطف في ظل الأحداث التي يمكن إستغلالها لصالحنا .. حتى ولو كانت غير ذلك .. ولنأخذ مما يفعلون عِبرة .. لنأخذ مثلاً كيف إستغلَت الصهيونية والعالم الغربي من ورائها قرار الحظر البترولي عام ١٩٧٣ وربطَته بإحتياجات المواطن الغربي العادي ، وإستثارَت من خلال هذا الحَدَث - وربطُه بالحاجات الشخصية - حفيظة الناس ، وإستَعدَتهم على العرب ، وشوَّهَت صورتهم .

هذا ولابد أن يتوافر لمِثل هذه الهيئة الصلاحيات اللازمة التي تُمكِّنَها من أداء مهمتها بحيث تملُك كمثال الإتصال بكل وسائل الإعلام الخارجية ، كما تملُك وسائل التأثير ، والتوصية لكل وزارات الخارجية والإعلام العربية ، فيما يختص بما يُناط بهم من مسئوليات وطنية أو قومية ، أو دولية ، في العمل على درء الأخطاء بشتى الوسائل الممكنة .. ليس فقط بتوقيف نشر أو إذاعة أي مواد إعلامية يستفيد منها الغرب في الإساءة إلينا .. ولكن أيضاً بالإعتماد على حملات الإقناع المُستَنِدَة إلى سياسة قومية عامة لتحسين الصورة .. وأيضاً التبادُل فيما بينها ، والتداوُل فيما يُفيد الخطة الإعلامية الخارجية والتعاون في درء الإدعاءات التي تُطلقها بعض الدول الغربية ضدنا من خلال وزارات خارجيتها ، أو مكاتبها الإعلامية في الخارج ، ولعل سرعة الإتصال وتطور خدماته الآن ومستقبلاً

سيساعد كثيراً في تحقيق تدفق إعلامي سريع ودقيق ومؤثر ، في صالح الصورة العربية وتصحيح المعلومات الخاطئة المنشورة عنها .

ولعل العنصر المُشترَك ، والأكثر إلحاحاً في هذا التعاوُن هو دعوة رؤساء الدول ، ورؤساء مجالس الوزراء ، ووزراء الخارجية ، والإعلام ، والمُراسلين الصحفيين الأجانب لزيارة البلاد العربية ، والإطلاع على ما حدث فيها من تطور وتنمية اجتماعية واقتصادية وثقافية .. وإستخدام ذلك في خَلق الصورة الطيبة للعرب ، من خلال اللقاءات بالعناصر الحقيقية للتطوُر .. وإنجاح السياسة الإعلامية المرسومة لتحسين الصورة .. وتحقيق الصورة المرغوبة .. فمن المُستحَب إعلامياً ، أن يستمع العالَم إلى نتائج هذه الزيارات الرسمية ، وإلى تعليقات الصحفيين والمُراسلين على زياراتهم للبلاد العربية في نفس الوقت الذي يضطلع فيه واضعوا التخطيط الإعلامي بمهمة رسم الصورة المرغوبة(*) .

هذا ولابد أن تتعاون هذه الهيئة مع وكالات الأنباء المحلية ، والإقليمية العربية ، على بَث نوعية مُعيَّنَة من الأخبار والتحقيقات التي تخدم في مجال تحسين الصورة .. خاصة ما يتعلق منها بتنمية الإنسان العربي ، ومُعدُلات هذه التنمية .. كذلك الحال بالنسبة لدور الوكالات العالمية الغربية في نقل الأخبار وإعادة توزيعها من الدول

(*) د. أنور السباعي ، التخطيط الإعلامي السياسي ، ١٩٧١ ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .



النامية إلى العالَم .. فالمُلاحَظ أن هذه الوكالات العالمية تُركّز فقط على الإنقلابات ، والأحداث المُخِلّة بالأمن ، والإضطرابات الطائفية والعشائرية ، مُهمِلة ما يتعلق بعمليات التنمية .. وهذا ما يزيد من إحباط الإنسان الذي ينتمي إلى هذا العالَم المُتخلِّف »[1] .

وهنا يبرُز دور هذه الهيئة الإعلامية .. إذ أن عليها أن تُوجِّه هذه الوكالات إلى ضرورة توخِّي الصدق والأمانة في نقل الخبر ومدها بالمعلومات السليمة .. وتُوجِّه الوكالات المحلية إلى التركيز على الأخبار ذات الصفة الإيجابية عامة ، وما يتعلق منها بالعمليات التنموية بشكل خاص .. وأن تتكاتف وتُنسِّق فيما بينها لتبادُل المعلومات والأخبار حول المسائل التنموية لدى كل منها .

كما يجب على هذه الهيئة أن تُنسِّق الجهود مع البعثات الدبلوماسية العربية في شتى أنحاء العالَم ، من خلال سفاراتها ومراكزها الثقافية ، والإعلامية ، والمكاتب والمكتبات المُلحَقة بها . لتُسخِّر جُزء من جُهدها لتحسين الصورة .. وتُزوِّدها بالمعلومات اللازمة للرد على أي مادة إعلامية مُعادية .. كما تعمل في الوقت نفسه على الإتصال بالجهات الأجنبية المُماثلة الموجودة في العالَم

(١) قاسم باغي ، دور المُخبِر الصحفي في عملية التنمية ، بحث قُدِّمَ لندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .



العربي .. والتقليل من أثار الغزو الثقافي الغربي ، وتحويله من مُجرَّد غزو ثقافي إلى تفاعُل ثقافيّ مُتبادَل ، بين الدول الغربية والعربية .. فالمعروف أن المراكز الثقافية الغربية وما يُلحَق بها من مدارس خاصة ومكتبات ، وما تُوزِّعه من نَشرات ومُؤلَّفات في العالَم العربي ، وما تُقدِّمه من منح دراسية ، من شأنها التأثير على المتعاملين معها من العرب ، يمكن لو أن الهيئة تدخَّلت للتحصين ضد غزوها الثقافي والحد منه، وتحويله إلى تفاعل ثقافي مفيد من شأنه أن يُحسِّن صورتنا بشكل جيد ، إذا ما أُحسِنَ إستغلاله .

هذا وتستطيع الهيئة التي ندعو إلى إقامتها ، أن تُنظِّم ندوات علمية عالمية ، لمُناقشة ما يلحق بصورة العرب من تشويه في أذهان الغربيين .. تدعو إليها المختصين من كل أنحاء العالَم ، لتدارُس هذه الظاهرة ، والإحتكاك بالإعلاميين العرب الأكفاء .. ومن مثل هذه الندوات نستطيع معرفة العدو من الصديق .. كما تستطيع هذه الندوات أن تُفرِز عناصر غربية ، ممكن إستغلالها وتجنيدها للدفاع عنَّا في الغرب من الغربيين أنفسهم ... وهذه ليست بدعة .. فقد نجحَت وزارة الإعلام والثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة في عَقد ندوة الصحافة الدولية في لندن في سبتمبر ١٩٧٩ ، التي ناقشَ فيها المجتمعون صورة العرب في الإعلام الغربي ، وخرجَت بتوصية تقدَّمَ بها عَدَد من الصحفيين الأوربيين المُشاركين فيها ، تدعو إلى إنشاء رابطة أو جمعية للصحفيين الغربيين والعرب ، يكون من



أهدافها تشجيع التفاهُم والتعاون العربي الأوروبي في مجال الإعلام، ومواجهة التشويه الذي تحفل به وسائل الإعلام الغربية ضد العرب ، سواء كان هذا نتيجة نقص في المعلومات ، أو تحيُّز .. وكذلك زيادة فهم وسائل الإعلام الغربية لوجهة النظر العربية ، والقيم العربية دون إنحياز لأية وجهة نظر خاصة أو إقليمية .. ولا يَخفى ما في هذه التوصية من إعتراف غربي وبتشويه الصورة العربية ، لكن مثل هذه الندوة لم تتكرر كثيراً .. ولم تتبنَّى أي جهة إعلامية أخرى إقامة ندوات مُماثلة لها ، في أي دولة أوروبية أخرى .. رغم أن مثل هذه الندوات لها أهميتها القصوى ، وأثرها الفعَّال في خَلق نوع من التفهُّم لشخصيتنا العربية .. على أن تتم في إطار من الوعي الإعلامي والدعائي .. وأن تُغطَّى أخبارها بشكل جيد ، وتُصدرُ بحوثها في كُتب ، وتُترجَم لعدَّة لُغات ، ويُستفاد من خبرات المشاركين فيها .. دون أن تُحاط بأي من مظاهر البذخ والإسراف العربي المعتاد .. ولكن يكون هدفها الأساسي الوصول إلى الرأي العام العالمي بقطاعاته المختلفة ؛ لتوضيح وجهة النظر العربية فيما يتعلق بشتى الشئون والقضايا العربية .

هذا ويتعيَّن على الهيئة الإعلامية المستقلة تجميع المادة المُسيئة إلى العرب ، من خلال الإشتراك في كل دوائر المعارف والدوريات ، والصُحُف ، والإتصال بشتى مراكز المعلومات ، وإيفاد باحثيها للمُطالَعة في المكتبات العامة ومراكز المعلومات ، لكل ما يندرج تحت



مادة عرب أو شرق أوسط ، أو ما يمكن أن يأتي على ذكر العروبة أو الإسلام .. والإطلاع على الكشافات التحليلية ، لمُراجَعَة المواد التي يُحتمَل أن تكون غير دقيقة أو مغلوطة تحت كل العناوين الأرشيفية أو التوثيقية التي يُتوقَّع أن تضُم مادة يمكن تصحيحها .. كما يجب أن تُخصَّص مندوبين لها في معظم الدول الغربية التي تزداد فيها الإساءة للعرب ، بناء على ما تُسفِر عنه بحوث إستطلاع الرأي ، والإستبيانات ، والدراسات التتبُعيَّة لتَغيُّر الإتجاهات وقياس الرأي العام .. كما عليها أن تُنسِّق العمل مع المُلحَقين الإعلاميين العرب في السفارات بالخارج ، من أجل تنشيط العمل الإعلامي والدعائي العربي ، من خلال إقامة أسابيع الصداقة بين الشباب العرب والشباب الغربي .. ناهيك عن المهرجانات الشبابية والفنية والرياضية التي من شأنها أن تعطي إنطباعاً طيِّباً عن الأمة العربية ككل ... وليس كدول منفردة .. بحيث تأتي مثل هذه النشاطات غير مُتسمة بالأسلوب الدعائي السافر المنفر .. وإنما الأسلوب المُعتمِد على التأثير الإعلامي التراكُمي طويل المدى ، بشرط الحرص على التنظيم الدقيق والبُعد عن الإرتِجال .. والبُعد عن الروتين ، والوظيفية القاتلة لأي عمل إعلامي .. مع ضرورة مُتابَعَة مثل هذه الأنشطة بصفة دورية ؛ للوقوف على النتائج والآثار التي نجمَت عنها، وقياس جدواها .. وتجنُّب سلبياتها .. وإستبعاد العناصر التي تهدر جدواها .

هذا ولا يجب أن يقف نشاط هذه الهيئة على العمل في الدول الأوروبية والأمريكية الغربية فحسب .. ولكن يجب أن يُوجَّه جُزء من عملها الإعلامي الخارجي إلى الدول الإفريقية ، والآسيوية ودول العالَم الثالث جميعاً ، وبعض دول أمريكا اللاتينية .. التي يغلُب على علاقاتها بنا الصداقة وليس العداء - رغم ذلك فإن صحفهم تُسيء إلينا أحياناً - لذا يجب أن نكسب أنصاراً في هذه الدول ، كجُزء من تحسين صورتنا في كل أنحاء العالَم .. ولابد أن هذه الصورة ستنعكس إلى حد ما على مثيلاتها في الدول الأخرى ، ولو كظلال إيجابية ، نظراً لصغر العالَم بعد الثورة الإعلامية والإتصالية العالمية ، وثورة المعلومات التي يشهدها عصرنا الحالي .. ذلك أنه أولى بنا البدء بالدول الصديقة قبل أن نطمح إلى رسم صورة عربية جيدة في دول بعيدة ، ومُعادية لنا ، ولها تاريخ إستعماري في المنطقة العربية .. في حين أن الصورة في بعض الدول المجاورة لنا والمُفترَض أنها صديقة صورة سيئة .. وكمثال على ذلك دول كإيران ، والهند ، وباكستان ، وبعض دول أفريقيا .. وهذا المنهج أيضاً ليس بدعة ، فإن الصهيونية في دعايتها لكسب الرأي العام العالمي بذلَت جهوداً متوازية في الدول التي تُعاديها ، وفي الدول التي تضمن صداقتها وتأييدها .. فلم تترُك لنا المجال حتى لتحييد مثِل هذه الدول .. وجعل صورتنا في هذه الدول متوازنة ، إن لم نقل إيجابية .

هذا وتقع على الهيئة الإعلامية المستقلة أيضاً مهمة خَلق مستشرقين جُدد ، باتباع سياسة النَّفَس الطويل لتحقيق ذلك .. فمن المهم بمكان التنبُّه إلى خطورة الغزو الثقافي الغربي ، ومواجهته بغزو ثقافي عربي يُمجِّد الحضارة العربية والثقافة واللغة العربية ، ويُرحِب بالدارسين المُبتدئين للتاريخ والأدب ، واللغة العربية ، لتربية أجيال جديدة من المستشرقين ، نضمن ولائهم النفسي والروحي للعرب ، وتهيئة المناخ المحلي لذلك بإعطائهم منح دراسية ، وإقامة مجانية تحت إشراف وتوجيه علمي عربي .. وبإتباع سياسة النَّفَس الطويل ، والصبر في هذا المجال بالذات ، مُتأسِّين بما مارستَه البعثات التبشيرية الغربية ، وما إتَّبَعَته الدعاية الصهيونية كنظُم دعائية مُعادية ، لكنها ناجحة – ولابد من الإعتراف بنجاحها ولو نسبياً – وقد يقول البعض بأن البعثات التبشيرية ومدارسها في المنطقة العربية ، والجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت لم تنجح نجاحاً مطلقاً ، إذ لم يحدُث أن تحوَّلَ مُسلِم عن الإسلام ... ولم يحدُث أن تحوَّلَ إنسان عربي عن وطنيته وولائه لوطنه لحساب الصهيونية ، لكن الدعاية التبشيرية والصهيونية قد نجحَت إلى حد كبير في خَلق المُسلِم المُحايد أو المُذبذَب في ولائه وإيمانه ، غير المُتعصِّب لقضاياه الوطنية أوالدينه .. وذلك في حد ذاته نجاحاً كبيراً .. حبَّذا لو إستطاع العرب أن يُحقِّقوا مثله ، بأن يصلوا إلى خَلق جمهور غربي

غير متعصب ضد العروبة أو الإسلام ، وغير مُعاد لهما .. بل يراهم بموضوعية بمحاسنهم ومساوئهم .

ويقول د. محمد علي العويني عن الإستشراق وأثره ، وعن الدعوات التبشيرية :

« لاشك أن مجال الإستشراق من المجالات الهامة التي ترتع فيها الدعاية المُضادة ، وفي هذا نذكر أسماء مثل جيب وبيرك وإدوارد سعيد وغيرهم » .

كما يُشير إلى « مؤتمر الدعاية التبشيرية الذي عُقد بالقاهرة في ٤ أبريل ١٩٠٦ ، وكان على رأسه القس زويمر الذي بيّن أهمية التظاهر بود المسلمين والتعاطف مع أمانيهم لكسب ثقتهم .. ثم ينقضون عليهم ، وإقناع المسلمين بعدم عداوة النصارى لهم ، وتبشير المسلمين بواسطة رجال دعاية ينتمون إليهم .. لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها ، مع التحلّي بالنَفَس الطويل والصبر » .

« وكما قال المستشرق الفرنسي شاتيليه : ينبغي أن يكون عملنا مبنياً على أساس التأثير العقلي والروحي ، ولا يقتصر هذا العمل على



المُبشرين ، ولكن عليه أن يمتد إلى أعمال أخرى كالتعليم واستخدامه في التأثير »(١) .

هذا ولابد أن تكون لهيئتنا التي ندعو لإنشائها علاقات تعاون وتنسيق مع كل إدارات الرقابة الإعلامية في كل بلد عربي .. ذلك أن هذه الإدارات لها رُقَباتها الذين يُنقبون عن كل ما يُسيء لدولهم لمنعه من التداول .. ولها قوانينها وتوجيهاتها التي أحياناً ما تكون في غير صالح العمل الإعلامي الرامي لتحسين الصورة العربية .. فقد تُصدَر قرارات المنع العصبية لما لا يستحق المنع .. ولما يمكن أن يُناقَش ويُرَد عليه .. لأن المنع المُجرَّد يُعتبَر دفاعاً سلبياً .. ومُجرَّد تعتيماً إعلامياً داخلياً يقع أثره على المواطنين العرب فقط ، في حين أن هذه المادة الممنوعة تُتداوَل في الخارج ، وتُحدِثُ آثارها المرجوَّة دون أن تَجِد من يتصدى لها ، ناهيك عن أن أسلوب المنع من التداول أو العرض لم يعد له جدوى في ظل السماوات المفتوحة وما تبثه القنوات الفضائية .

وعموماً فإن التعتيم الإعلامي المحلي ، سواء كان على مادة أجنبية ، أو تعتيم على أحداث آنية يُراد عدم إعلانها ، كُلّه في النهاية لا يخدم الإعلام الخارجي الرامي إلى تحسين الصورة .. ذلك أنه إذا كان الحدث المُراد التعتيم عليه له أبعاده الدولية .. فإن الضغط

---

(١) د. محمد علي العويني ، التفاعُل وليس الغزو الثقافي ، مقال بجريدة الإتحاد الظبيانية ، العَدد ٣٢٥٨ ، في ١٩٨٧/٤/١٢ ، ص ١٨ .



المطي التعتيم عليه ، يُشكِّل تقييداً لحُرِّيَّة أجهزة الإعلام الأجنبية ، تُحاول بدورها أن تتخطاه وتُحطِّم جدار الصمت المضروب حول هذا الحدث ، وقد تُشاركها في ذلك أجهزة الإعلام المحلية أيضاً ، ويُحاول الجميع أن ينشطوا للوصول إلى التفاصيل .. ويوقفوا كل نشاطهم على محاولة الوصول إلى الحقيقة .. مما يَخلق تكتُّلاً إعلامياً مُضاداً لمحاولات التعتيم الإعلامي ، ولأساليب الرقابة ، في حين أنه بالإمكان أن يُشار إلى أي أحداث محلية ، والتعريف بوقائعها ، وتحديد مضمونها بكلمات مُقنعة ، تجعلها جُزء من الدعاية أو الإعلام الخارجي المُقنَّن ، والمُوجَّه بَدلاً من إثارة وسائل الإعلام الأجنبية ، وجعلها تستنتج ، وتلجأ إلى استنطاق جهات غير مسئولة بحثاً عن الحقائق .

أما المهمة الأساسية للهيئة الإعلامية المنوطة بتحسين صورة العرب فهي النفاذ إلى الغرب ، ومُخاطَبَته بالأسلوب الذي يقنعه ويناسبه ، والرد على الإفتراءات ، وإظهار الحقائق ، وتقديم المعلومات .. من خلال مخاطبة الأجهزة الإعلامية الغربية مباشرة ، سواء كانت صحيفة أو مجلة ، أو دائرة معارف ، والرد على ما يُنشَر لا يكون إلا بمقارعة الحجة بالحجة ، والفكرة بالفكرة .. والأسلوب المتطور بأسلوب أكثر تطوراً وأكثر جذباً .. فالمعروف غالباً أن التهكُّم على العرب الذي يُحدِثُ صدى كبيراً ، يأتي عادة في شكل برنامج فكاهي .. أو رسم كاريكاتيري ، أو خبر طريف يُطالِعَهُ الجميع من خلال

مادة إعلامية مقروءة أو مسموعة ، واسعة الإنتشار .. ولنأخذ مثالاً على ذلك كريكاتير جريدة « الصن » البريطانية الشعبية الأكثر توزيعاً في بريطانيا (٧ مليون نسخة) ، ذلك الكاريكاتير الذي وصَفَت فيه الغرب بأنهم خنازير ، أو أن الخنزير يأنف أن يوصَف بالعربي .. كيف رددنا عليه ؟؟ رددنا بعصبية شديدة ، وبتدبيج مقالات طوال ، لم يقرأها أحد سوانا ، في حين قرأ الجميع الكاريكاتير الساخر ، وضحكوا منه وضحكوا علينا .. وفي هذه الحالة كان الواجب أن يكون الرد بنفس الروح ، وبنفس الأسلوب الساخر ، وبذكاء .. وبدون تشنج ، ولكن كيف يتأتّى ذلك ونحن لم نكن نملك وسائل إعلام ، صُحُف ، ومحطات إذاعية وتليفزيونية في الغرب؟؟! وكان أثرياؤنا يستثمرون أموالهم في السياحة وشراء الفنادق والضياع والقصور !! وحتى الصُحُف الغربية الصادرة في الخارج كانت تُركِّزُ جلَّ إهتمامها على موضوعات رسمية سخيفة لا يقرأها أحد !! ولم يحدث أن غامَرَ ثري عربي ، أو دولة عربية بشراء صحيفة لها جمهور عريض ، وبعث فيها الحياة كما فعلَ اليهودي مردوخ كمثال ، حينما إشترى صُحُف « التايمز » اللندنية الشهيرة .. لكن الأمر قد إختلف الآن تماماً في عصر الفضائيات وتحول العالَم إلى قرية صغيرة .

هذا ولابد من مُحاوَلَة إستغلال الشخصيات العربية ذات القبول في الغرب .. حتى ولو كُنّا كعرب لنا بعض التحفُّظات عليها ..



فالغربيون لهم رؤياهم الخاصة .. ويتقبلون في العادة الشخصيات العربية ذات الثقافة الغربية ، والمُنفتحة على الغرب ... ويثقون كثيراً في أحكام هذه الشخصيات ، ويتقبَّلون ما يصدُر عنها من أقوال ، في حين نرى نحن هذه الشخصيات على أنهم متفرنجون أو غير متدينين ، بل أحياناً نُبالغ فنصمهم بالخيانة ، ولكن بِغَضّ النظر عن رؤيانا هذه ، أو عدم تقبُّلنا لمثل هذه النماذج العربية ، أرى أنه من الواجب إستغلال هذه الشخصيات بشكل إيجابي في مجال تحسين الصورة العربية .

كما يجب التنبُّه إلى أن الشخصيات القيادية وما يصدُر عنها من أفعال وتصرُّفات له تأثيره الكبير في تشكيل أو تغيير الصورة ؛ ولذلك يجب أن يُراعى كل ما يصدُر عن مثل هذه الشخصيات ويؤخَذ في الإعتبار أن يكون مما يُحسِّن الصورة ولا يُسيء إليها ، وقد أشرت سلفاً إلى أن معظم من دبَّجوا المؤلفات عن العرب من الغربيين كانوا يستشهدون بممارسات غير رشيدة أو غير مسؤولة من حُكام ومسؤولين كبار ، إستقبلوهم وإستضافوهم في قصورهم ومجالسهم وقرَّبوهم منهم دون تحسُّب لِما يدور في هذه المجالس من عفويات غير محسوبة .

هذا ولابد أن تقوم هيئتنا أو مُنظَّمَتنا الإعلامية المزمعة بتحديد أهدافها الآنية والمرحلية .. فمن غير المعقول مَثلاً أن تضع هدفاً واحداً لها ، وهو تغيير الصورة السائدة عن العرب بكل سماتها ؛ لأن



ذلك يُعَد ضرباً من المستحيل .. ولا يمكن تحقيقه إلا عبر قرون من الزمان ، ومن خلال وقوع أحداث جسام ، وتغيير في القيادات ، وفي الأوضاع الدولية .. وبجهد مُضني من التخطيط الإعلامي ، ومُتابَعَة تنفيذه بسياسة النَفَس الطويل .. ولكن الممكن والمُتاح هو وضع خطط مرحلية ، تبدأ **أولاً** بدراسة الصورة الحالية وجوانب السلب والإيجاب فيها ، ثم يستتبع ذلك **كمرحلة ثانية** مُحاوَلَة إضافة بعض المعلومات الجديدة إلى التصوُّر الحالي .. ومُحاولَة تدعيم بعض الجوانب الإيجابية للتصوُّر الحالي .. ثم **كمرحلة ثالثة** مُحاولة إحداث بعض المُراجَعات أو التغييرات على الجوانب السلبية من الصورة .. **وأخيراً** الطموح إلى إحداث إعادة بناء كاملة للصورة الحالية ، من خلال كل ما سبقَ ذكره .. وبتضافُر كل الجهود في الإتجاه الموحَّد والمرغوب .

ذلك أن عُنصر المُفاجَأة والإصرار مرفوض في مجال تغيير الصورة ، لأن الإنسان غالباً ما يتمسَّك بما لديه من صور ويرفُض أي محاولة لتغيير الصور التي تكوَّنَت لديه .. بل ويتعصَّب أحياناً لصوره الذهنية ، ويرفُض التعرُّض أو الإستجابة لأي رسالة لا تتَّفِق وتصوُّراته ، كما أنه يُدرِك محتوى الرسائل الإعلامية التي يَتعرَّض لها على نحو يَتفق مع الصورة المُكوَّنَة والمُستقِرة في ذهنه .. ويتذكر المواقف والتفاصيل التي تدعِّم صوره الذهنية .. لذلك يجب أن تكون رسائلنا الإعلامية الرامية لتغيير الصورة غاية في الذكاء .. ومبنية على أُسس علمية مدروسة ، حتى تؤتي المرجو منها .. فالصورة



الذهنية لا تتصف بالثبات والجمود المُطلق ، ولكن « تَتَّسِم بالمرونة والتفاعُل المستمر ، فتتطور ، وتنمو ، وتتسع وتتعدد ، وتتعمق ، وتقبل التغيير طوال الحياة »(١) .

هذا ولابد أن تَعمَد هيئتنا الإعلامية العلمية إلى تبَنّي مواقف ، وتحيُّن فُرَص ، وإستغلال أحداث جارية ؛ لتعميق بعض سمات الصورة المرغوبة ، وتغيير السمات السلبية ، وألا تعتمد على اللغة والألفاظ والكلام فقط في محاولاتها لتغيير الصورة .. ذلك أن عدم الدقّة في التعبير وحاجز اللغة ، والإطار الدلالي للألفاظ ، وإختلافه من بيئة لأخرى قد يؤدي إلى عكس المطلوب ؛ لذلك يجب تبنّي المواقف أكثر من الإعتماد على المعاني والألفاظ ، خاصة الألفاظ ذات المعاني المُجرَّدَة ، التي تختلف دلالتها أحياناً من فرد لآخر ، إعتماداً على خبراته وتجاربه الشخصية ، ناهيك عن إختلافها من مجتمع لآخر غريب عنه ، ومختلف تماماً .. ومُعادي له .

هذا وسنجد بدراسة واقع الصورة العربية في كل مجتمع غربي أن لكل بلد الأسلوب الذي يناسبها لتغيير صورتنا هناك .. فبعض الدول يناسبها مَثلاً إصدار صُحُف دولية تصدُر باللغة الإنجليزية ومن قلب العالَم الغربي ؛ لتعكس صورة متوازنة للعرب .. في حين أن بعض الدول الأخرى يناسبها أن نحاول خَلق جماعات

(١) د. راجية قنديل ، رسالة الدكتوراه ، ص ٣٨ .

ضغط داخلها ، والبعض الآخر يُناسبه الأعمال الروائية والدرامية والسينمائية والتليفزيونية .. ولكن في النهاية لابد وأن تُتَّبع عدةُ أساليب لضمان حدوث النتائج المرجوة ، وأن تُدرَس آثار كل أسلوب بصفة دائمة ؛ حتى يمكن إحداث تبديل وإحلال لإستخدام إحدى الوسائل أو الإبقاء عليها ، أو تغييرها ، وفقاً لتحديد نوع المجتمع وميوله وثقافته ، ومدى تقبُّله لوسيلة إعلامية مُعيَّنَة ، والأسلوب الذي يتقبَّلهُ ، والفترة الزمنية المُناسبة لتلقِّي الرسالة الإعلامية ، مع مُراعاة التجريب لأن المُجتمعات الغربية ليس من السهل إخضاعها للدراسة وتحديد ما يمكن تقبُّله إلا من خلال التجربة ؛ لأن صورها الذهنية عن العرب تكوَّنت أصلاً وثبتَت من خلال شتى وسائل الإعلام وعبْر حقب طويلة .

ومما يُسهِّل عملية تغيير الصورة العربية وتحسينها أنها أصلاً صورة مُكوَّنَة عن بُعد .. فالعرب ليسوا محوراً أساسياً في الحياة اليومية للإنسان الغربي – وإن حاول الإعلام الغربي ربط العرب بحياة الإنسان وإحتياجاته – وطالما أن الصورة التي تتكون عن أشياء وأشخاص بعيدة تكون غالباً ضعيفة ، وقابلة للتغيير ، فإن صورة العرب لدى الغربيين ممَّن لم يتصلوا بهُم إتصالاً مُباشراً في مواقف شخصية ، ستكون صورة ضعيفة وقابلة للتغيير ، وهنا يمكن للهيئة المنوطة بتغيير الصورة التخطيط لذلك ، ولكن مع الأخذ في الإعتبار أن التغيير لن يحدُث بين يوم وليلة ... وأنه يتطلَّب بذل جُهد



متواصل ودائم ؛ لأن الصورة الغربية عن العرب - رغم تكونها عن بُعد - إلا أنها أيضاً لم تتكون بين يوم وليلة .. ولكنها تكوَّنت نتيجة تراكم دائم لسنوات .

ومما يُسهِّل مُهمة تغيير صورة العرب في العالَم ، أن هذه الصورة هي جُزء من التجني العالمي حتى على غير العرب ، من شعوب مُستهدَفة بالإساءة والتشويه .. منذ عقود مضَت ومازالت تُشوَّه صورتها ، ويرى د. أنور السباعي أنه « من محكمة العدل الدولية في لاهاي إلى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك برزت نهضة سياسية نفخ فيها الرأي العام العالمي من روحه لتدعيم السلام بين الشعوب ، وكانت النتيجة أن إزداد الإنسان العاصر فهما لتجنيات بعض الدول على بعض الشعوب ، وأصبح من اليسير التداول في أمر الدفاع عن هذه الشعوب »[1] ومنها بالطبع الشعب العربي .. الذي بدأ الغربيون أنفسهم يعترفون بتحيُّزهم وتشويههم لصورته في كل وسائل الإعلام كما سبقَ بيانه .

ومن كل ما سبقَ يمكن أن نخلُص إلى عناصر مُحدَّدَة للعملية الإعلامية التي نريد بها تغيير الوجه العربي في تصوُّر الغربيين ..

---

(١) أنور السباعي ، التخطيط الإعلامي السياسي ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٢ .

وهو ما لخّصهُ عرفات حجازي في نقاط مُحدَّدة هي : « وجهة نظر ، وحجة تؤيد وجهة النظر ، ولغة تستخدم لعرض وجهة النظر ، وشخص نتجه إليه بعرض وجهة النظر ، وأداة صالحة لنقل وجهة النظر ».

« وهذه العناصر الخمسة للعملية الدعائية الجماهيرية يجب أن ترتبط بأبعاد خمسة في عملية الإقناع بمعنى أن لا تكون العملية مُوجّهة بطريقة إغراقية تضيع معها التفاصيل ، وعملية مُتابعَة لتحليل ردود الفعل ، وأخيراً التمييز في الدعاية ، كحجة ولغة بين عنصرين أساسيين : عنصر عام يتجه لجميع الفئات ، وعنصر خاص يتجه إلى فئات مُحددة لها تأثيرها في العمل الدعائي »(١) .

تلك بإختصار عناصر العملية ، وقد إستعرضنا في هذا الفصل كيف يمكن أن تتم من خلال مؤسسة واحدة تمتاز بالقُدرة على التغيير ، بالعلم ، والعمل الدؤوب ، وبتضافُر الجهود - كل الجهود - وتوافُر الإمكانات - كل الإمكانات - عوضاً عن الجهود

---

(١) عرفات حجازي ، دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي / الأوروبي من أجل عدالة القضية الفلسطينية ، مجلة شئون عربية ، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .



المُبعثَرة ، والإمكانات المُهدَرَة ، التي أثبتَت الأيام عدم جدواها .. وهو أمر واقع يتفقُ عليه غالبية الباحثين .. ويقول عنه رضوان مولوي :

«الواقع أنه ليس هناك إعلام عربي موحد يمتلك الأجهزة والوسائل الإعلامية المختلفة التي تحمل الرسالة الإعلامية العربية وتنطلق بها في أرجاء العالم .. فإنه ليس ثمة إعلام عربي يعمل مثلاً من خلال وكالة أنباء عربية موحدة على مستوى الوكالات العالمية ، أو مؤسسة تليفزيونية وإذاعية عربية موحدة ، بحيث يتأتى عن ذلك تأثير فعال في إطار العمل الإعلامي الموضوعي ، أي نقل الخبر على حقيقته ، وإعطاء صورة حقيقية وواقعية عن مجرى الأحداث في العالم العربي ، فكيف به على الصعيد الدعائي في مواجهة الإعلام الإسرائيلي الذكي والمقتدر . صحيح أن هناك الإتحادات المهنية الممارسة لمهام إعلامية عربية ، كإتحاد الإذاعات العربية ، أو إتحاد وكالات الأنباء العربية تعمل في إطار جامعة الدول العربية ، ولكن عملها لا يخرج عن نطاق التنسيق وتبادل الخبرات وما إلى ذلك »[1] وهو

(١) رضوان مولوي ، الإعلام العربي والاجتياح الإسرائيلي للبنان ، مجلة شئون عربية ، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٩٠ .

أمر محمود على أي حال أن تستمر مثل هذه الإتحادات في التنسيق والتعاوُن .. لكنه قد أثبتَ عدم قُدرته في التصدي للقضية الإعلامية الأساسية ، ألا وهي صورة العرب المُشوَّهَة في الغرب .. والتي مازالت مُشوَّهَة حتى الآن .. رغم مرور عقود على إنشاء جامعة الدول العربية ، وما إنبثَقَ عنها من إتحادات ولجان ، وهيئات متخصصة .

ولعلنا نتساءل عن أسباب عجز الإعلام العربي المُنبثِق عن جامعة الدول العربية ومحدودية فاعليته وتأثيره !! وهي كثيرة ومتعددة – لسنا هنا بصدد تفنيدها – فما بُذِلَ من جُهد – في رأيي – مشكوراً على أي حال .. لكنه لم يصل إلى المأمول منه ، ولم يصل إلى مستوى تحسين صورتنا ، ربما بسبب أسلوب العمل نفسه ، أو قِلَّة الإمكانات .. أو الخلافات المُستمِرَّة حول الطروحات الإعلامية ، حيث تتسبب الأهداف السياسية لكل دولة عربية بنظرتها المحلية المُحضة في شل كل تحرُّك إعلامي قومي .. وعرقلة مسيرته .. فضلاً عن أن «*مكاتب الإعلام العربي لا تملك الإمكانات ، ولا الوسائل والأجهزة الإعلامية اللازمة ، التي تُمكِّنها من بث الرسائل الإعلامية بصورة آنية ، فضلاً عن إفتقار معظمها إلى العناصر البشرية ذات الكفاءة العالية في شتى ميادين العمل الإعلامي* »[1] وهو ما إقترحناه في إطار

(١) المرجع السابق ، ص ٩٢ .



الخطة الإقليمية الداخلية لتحسين الصورة ، من وجوب الإهتمام بخَلق الكوادر الإعلامية اللازمة للتصدي لعمل إعلامي عالمي بهذا الحجم .

وقبل الختام لابد من التنويه إلى أننا في هذا الفصل لم نضع خطة فعلية لتحسين صورتنا .. ولكنها مؤشِّرات وأفكار تخدم في سبيل تحقيق ذلك .. أوجزناها في فصل واحد .. في حين أنها تحتمل أكثر من ذلك بكثير .. ولابد أن يُشارك في وضعها عَدَد من الباحثين في عِدَّة تخصُّصات إعلامية كدراسة الصورة الذهنية الحالية .. ودراسة للجمهور المُستهدَف ، وتخصُّص في التخطيط الإعلامي .. والإعلام الخارجي .. على أن يُساهِم في ذلك ليس فقط أكاديميين ولكن أيضاً ذوو الخبرة العملية في مجال الإعلام بكل فروعه .





الخاتمـــة

ليس هناك من شك في أن للإعـلام دوراً خطيـراً في تدعـيم وتثبيت قيم مُعيَّنة ، وهجر قيم أخرى بين المجتمعات على إختلافها .. وهو الدور الذي تطمح إلى إستخدامه في تغيير صورتنا في الخارج بين العدو والصديق .. كصورة إنسانية وليس كصورة دول .. لأن تصحيح ملامح وسمات الصورة الإنسانية في رأيي هي المدخل الصحيح والأساسي للنجاح في تحسين صورتنا كأمّة .. وتَقَبُّل الغرب لقضايانا السياسية .. فلو أننا نجحنا في إستغلال صراع الدول الكبرى إستغلالاً جيداً كما نجحَت هذه الدول في إستغلال الخلافات العربية ، والصراع والتنافس بينها في تشويه صورتنا .. لو تَحقَّق ذلك لتغيَّرت بالفعل الصورة العربية في الخارج ، بل والأوضاع العربية في الداخل تغييراً جذرياً .. ولو تضافرَت كافة الجهود المُخلصَة لتحقيق هدف مُحدَّد ومُتَّفَق عليه .. دون أن تتشتت فتُقدِّم للعدو تسهيلات سخية يمكنه من خلالها تشويهنا أمام الرأي العام العالمي .. ولو استطعنا أن نصل فيما بيننا إلى لُغة واحدة للتفاهم والحوار فسنصل بالضرورة إلى القُدرة على التفاهم مع غيرنا .. ولو نجحنا في تغيير نظرتنا نحن كعرب إلى أنفسنا ، وأن نُصحِّح ونُعدِّل في ملامح وسمات شخصيتنا وبالتالي صورتنا في الداخل ، لاستطعنا أن نُصحِّح للآخرين صورتهم عنَّا ..

أقول لو تواكبَت أيضاً التنمية البشرية للمواطن العربي



وصورته المُقدَّمَة من خلال وسائل الإعلام الداخلية والخارجية .. بحيث تسير التنمية مع مُحاولات تحسين الصورة لنجح الإعلام العربي الخارجي في مسعاه .. فمن غير المعقول أن نُصوِّر أن كل شيء يسير على الوجه الأكمل ، وأن المواطنين العرب على أعلى درجات الوعي والتحضُر ، ولا تشوب سلوكهم أي شائبة .. ونمنحهم الثقة بالنفس ، وبسلامة كل تصرفاتهم .. ونربط ذلك بتاريخهم التليد، فنجعلهم يعيشون فقط على أمجادالماضي .. دون مُحاولَة إستلهام هذا الماضي لتكريس سمات جيدة للشخصية العربية ، ومن ثم الصورة المُنطَبِعَة لدى الآخرين عن العرب .. فمن غير المعقول أن تختلف الشخصية عن الصورة المرغوبة ؛ لأنها لا يمكن أن تنشأ من فراغ ، وأن لا تستند على واقع فعلي .

ولذلك أقول حسماً للأمر بضرورة ترشيد سلوك المواطن العربي من خلال وسائل الإعلام الصادرة محلياً ، سعياً وراء تغيير هذا السلوك إلى الأنبل والأفضل والأنقى ، كي نستطيع النجاح في تغيير الصورة خارجياً ، من خلال وسائل الإعلام ، ومن خلال الإتصال الشخصي الذي يُعَد بحق مرآة صادقة تعكس صورة حقيقية . ولا نملك في النهاية إلا ترديد قول الله عز وجل :

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الله لا يُغيِّر ما بقوم حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم »

صدق الله العظيم

المَراجِـع العـربية

الكُتب:

- الإعلام الغربي والعرب ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة ، الأبحاث المُقدَّمة لندوة الصحافة الدولية، لندن ، ١٩٧٩م .

- البحوث الإعلامية في الوطن العربي ، أعمال ندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي ، دمشق ١ - ١٩٨١/٩/٦ ، مطبوعات المركز العربي للدراسات الإعلامية ، ١٩٨١ ، إعداد الزبير سيف الإسلام .

- أحمد رأفت بهجت ، الشخصية العربية في السينما العالمية ، مطبوعات نادي القاهرة للسينما (٣) ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨ .

- د. أنور السباعي ، التخطيط الإعلامي السياسي .

- ت. أ. لورانس ، أعمدة الحكمة السبعة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠م .

- تحطَّمت الطائرات عند الفجر ، بيروت ، مجهول الناشر والمُترجِم .

- د. حلمي خضر ساري ، صورة العرب في الصحافة البريطانية ، دراسة إجتماعية للثبات والتغيُّر في مجمل الصورة ، سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم (١١) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، يناير ١٩٨٨م .



- د. خليل صابات ، وسائل الإتصال - نشأتها وتطورها ، مكتبة الأنجلو ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩م ، والطبعة الخامسة ١٩٨٧م .
- د. سامي مسلم ، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية ، سلسلة أطروحات للدكتوراه ، رقم (٨) ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، فبراير ١٩٨٥م .
- د. علي عجوة ، العلاقات العامة والصورة الذهنية ، الطبعة الأولى، ١٩٧٣ ، عالم الكُتب .
- د. محمد محمود ربيع ، الأيديولوجيات السياسية المُعاصرة ، قضايا ونماذج ، الكويت .
- ميشال كليرك ، فئران الأنابيب ، ترجمة القصة الفرنسية « بقشيش » .
- د. نادية سالم ، صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ١٩٧٨م .

البحوث غير المنشورة:

- د. عزة علي عزت ، صورة عرب مجلس التعاون الخليجي في الصحافة البريطانية في الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٨٧م ، رسالة دكتوراه من كلية الإعلام - جامعة القاهرة ، أكتوبر ١٩٨٨ .
- د. راجية قنديل ، رسالة الدكتوراه « صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ » .



المقـــالات:

- جاك شاهين ، أسباب الصورة العربية المُشوَّهَة ، ترجمة د. جاسم محمد جرجيس ، مجلة التوثيق الإعلامي ، المجلد الثاني ، العَدَد الأول ، ١٩٨٢ ، بغداد ، مـركـز التـوثيق الإعـلامي لدول الخليج العربي .

- د. جيهان رشتي ، الصـحـافة وحرية النقل المسئول ، جريدة الإتحاد الظبيانية ، العَدَد ٢٤٧٩ ، في ١٩٨٢/١١/٢٨م .

- د. سـهـيـر بركات ، الإعـلام وظاهرة الصـورة المنطبعـة ، مـجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية .

- عبد السلام الطراونة ، تصوُّرات حـول الإعلام العربي ودوره في خدمة القضايا العربية ، مجلة شئون عربية ، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢م .

- عـرفات حـجـازي ، دور الإعلام الجمـاهيري في التعـاون العربي الأوروبي من أجل عدالة القضية الفلسطينية ، مجلة شئون عربية، العَدَد ١٧ ، يوليو ١٩٨٢م .

- د. مـحـمـد علي العويني ، التفـاعُل وليس الغزو الثـقافي ، جـريدة الإتحاد الظبيانية ، العَدَد ٣٢٥٨ ، في ١٩٨٢/٤/١٢م .



صُحُف ومجلات عربية :

- أخبار اليوم — العَدَد ١٨٦٩ ، ١٩٨٠/٨/٣٠ .
  العَدَد ١٨٥٨ ، ١٩٨٠/٦/١٤ .
  العَدَد ١٨٣٥ ، ١٩٨٠/١/٥ .
- الأخبار — العَدَد ٨٦٥٢ ، ١٩٨٠/٣/٦ .
  العَدَد ٨٨١٦ ، ١٩٨٠/٩/١٢ .
- الأهرام — العَدَد ٣٤١٠٢ ، ١٩٨٠/٤/٢٥ .
- الأهرام الاقتصادي — في ١٩٨٠/٨/٢٢ .
- آخر ساعة — العَدَد ٢٣٧٦ ، ١٩٨٠/٥/٧ .
- الجمهورية — العَدَد ٩٦٤١ ، ١٩٨٠/٥/٢١ .
  العَدَد ٩٥٥٣ ، ١٩٨٠/٢/٢٣ .
- المصور — العَدَد ٢٨٨٦ ، ١٩٨٠/٢/١ .
- روزاليوسف — العَدَد ٢٦٩٨ ، ١٩٨٠/٢/٢٥ .
  العَدَد ٢٦٩٧ ، ١٩٨٠/٢/١٨ .
  العَدَد ٢٧٢٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٢ .
- النهار العربي والدولي — ٤ - ١٩٨٠/٨/١٠
  ١٩٨٠/٦/٨ .

- الحوادث العدد ٢٤٠ ، ١٩٨٠/٨/٨ .

- المستقبل العدد ١٨٧ ، ١٩٨٠/٩/١٩ .

العدد ١٨٨ ، ١٩٨٠/٩/٢٧ .

- الوطن العدد ٢٠٩٤ ، ١٩٨٠/٩/٢٠ .

- القبس العدد ٢٨٣٤ ، ١٩٨٠/٤/٦ .

- المستقبل العربي ١٩٨٠/٦/٧ .

- الكفاح العربي العدد ٩٥ - ٧٧٨ ، ٧ - ١٩٨٠/٤/١٣.

العدد ٩٦-٧٧٩ ، ١٤ - ١٩٨٠/٤/٢٠.

العدد ٩٨ - ٧٨١ ، ١٩٨٠/٤/٢٨ .

العدد ١٠٥ - ٧٨٨ ، ١٩٨٠/٦/٢٢ .

العدد ١١٠ - ٧٩٣ ، ١٩٨٠/٧/٢٠ .

العدد ١١٦ - ٧٩٩ ، ١- ١٩٨٠/٩/٧.

- السفير العدد ٢١١٣ ، ١٩٨٠/٣/٩ .

العدد ٢١٦٧ ، ١٩٨٠/٥/٤ .

العدد ٢٢٨٣ ، ١٩٨٠/٩/١ .

- الموقف ١٩٨٠/٣/١٠ .

- الهدف ١٩٨٠/٤/٢٧ .

١٩٨٠/٤/٢٠ .

- المجلة العدد ٣ ، ١ - ١٩٨٠/٣/٧ .

- العصر العدد ١٩ ، ١٩٨٠/١٠/٣٠ .

مُحاضَرات عامة:

- د. سمير محمد حسين ، الإعلام والتنمية في الدول العربية ، محاضرة في إطار الموسم الثقافي بدولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٦ .

- د. كورت فالدهايم ، أزمة الثقة في الشئون الدولية ، ضمن محاضرات الندوة الدبلوماسية لوزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة لعام ١٩٨٤ ، المجلد ١٢ .

أحاديث شخصية:

- د. محمد الرميحي ، حديث خاص ، ١٩٨٣/٢/٢ ، أبو ظبي ، الإمارات العربية المتحدة .

موسوعات:

- الموسوعة العربية المُيسَّرَة ، دار الشعب ، إشراف د. شفيق غربال.

المراجع الأجنبية

Books:

- Elli caidory, Arabic Political Memores and other Studies, Frank Cassette Co. Ltd.
- Esther Wilkin, The Golden Treasury of Prayers for boys and girls.
- Hamond Annes, The Doosned Oasis.
- I. Sserl Harel, Jehad, Cargi Books.
- John Piller, The Control of Oil, Bension Book, New York, 1977.
- John Lavien, The Arab's Mined Need to Understand, Cassell & Co. Ltd., 1975.
- Josette Bros, Coup de Barse a, Bahrain.
- Kogan Irving Smith, Public Relations, Second Edition, New York, Alexander Hamilton, 1973.
- Lucy Diamond, The Story of Joseph.
- Marvin Perry, Man's Unfinished Journey.
- Nicolas Lord, Travelling Horsmen, Saffeer Books Ltd.
- Partricia M. St. Jhon, Story of Light.
- People & Cultures .(كتاب مدرسي)



- Richard Sapper & Rayan Morvy, The Destroyer.
- Richard Hooker & William Petros, M.A.S.H. goes to texes.
- Richard Sapper & Owen Morvy, Oil Slick, (Series of the Destroyer).
- Loe Olden Bouruing, The Herrs of the Kingdom.

Encyclopedias:

- Black Children Encyclopedia, W. Worthy, R.J. Unstead.
- Charlis Brown's cyclopedia, Vol. 12, Junk & Wajnalls Inc.
- Disney's Woderful World of Knowledge, Guido Morlino.
- Encyclopedia of Social Sciences, Harding John, New York, 1958, Vol. 15.
- The Children's picture Atlas, Hamlyn.

Films:

- Robin and Seven Hood.
- Aladdin's Lamp.
- Death of Princess.
- The Pirate.



Newspapers:

- Trance Sair 11/7/1978.
  27/11/1981.
- Demain L'Afrique 21/2/1979.
- Les Adventures de tin tin (Tintin Au pays de lor Noir) (مجلة اطفال)
- Un Canny (مجلةتلوين وقراءة)
- Bugs Bunny, Comic Album.
- June Afrique 19/11/1976.
  10/6/1977.
  No. 994, 23/1/1980.
  19/3/1980.
- Journal Afrique 24/10/1979.
- Le Poine No. 389, 3 - 9/3/1980.
- Le Monde 13/11/1976.
  20/11/1976.
- Le Figaro 4/10/1976.
  7/2/1977.
  29/2/1980.
- Paris Match 7/3/1980.
- Le Novel Observateur No. 28, 19/7/1979.
  No. 45, 5/11/1979.
  No. 34, 20/8/1979



- The Daily Mirror 12/1/1980.
- Daily Expriss 15/1/1980.
  1/4/1980.
- Woman's Own, 16 - 23/2/1980.
- Expot International Teb., 1980.
- Daily Mail 19/4/1980.
- Now 18/4/1980.
  2 - 8/5/1980.
- The Economist 19 - 25/4/1980.
- Financial Times 17/11/1976.
  5/2/1980.
  28/3/1980.
- Middle East Jan. 1980.
- The times 17/12/1979.
- Events 15/10/1976.
- Herald Tribune 22/12/1979.
- World of Knowledge No. 13, 19/4/1980.

- هنا لندن ، فبراير ١٩٨٠ .

- News Week 3/3/1980.
  10/3/1980.
  19/5/1980.
- Time 19/5/1980.
- Reader Digest May 1980.

- News of the World	6/1/1980.
- Punch	16/1/1980.
- Der Spiegel	No. 37, 10/9/1979. No. 38, 17/9/1979. 12/2/1980.
- Stern	12/3/1979. 13/3/1979. No. 12, 15/3/1979. 2/8/1979. No. 36, 30/8/1979. No. 51, 13/2/1980.
- Deie Zeit	20/7/1979.
- Pointi	16/8/1979. No. 5, 24/1/1980.

صُحُف ومجلات هندية :

- Goy today	May 1980.
- Sunday	10/8/1980.
- كارفان	25/6/1980.
- مليالاناردا	22/6/1980.
- Probe India	10/6/1980.
- Bombay	22/5/1980.
- Gulf Malayalee	June 1980.
- India Express	17/3/1980.

- Film Fare	1 - 15/9/1980.
- Inia Today	15/4/1980.
- Society	Julay 1980.
- Onlooker	1 - 15/7/1980.
- Flash	4/6/1980.
- Yowa Darsham	12/9/1980.
- This Fort Night	1 - 15/6/1980.
(اوردية) بلتز -	7/6/1980.
(الأوردية) انقلاب -	17/9/1980.
(اوردية) جنترلكا -	29/7/1980.

صُحُف إيرانية (بالعربية والفارسية):

- الجهاد ١٩٨٠/٣/٣ .
١٩٨٠/٦/٢٥ .
- صوت الأمة ١٩٨٠/٣/١٨ .
١٩٨٠/٧/١٢ .
- الشهيد العَدَد ٣٢ ، ١٩٨٠/١/٢ .
- اطلاعات هفتكي العَدَد ١٩٩٤ ، ١٩٨٠/٧/٦ .



فهـــرس

الباب الثاني

رقم الايداع ٥٣٦٠ / ٩٧

الترقيم الدولى : I.S.B.N 977 - 5471 - I